مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبراري
ودير الشهيدة دميانة بالبراري

دار الطفيون

بحث وثائقي تاريخي
وعقائدي لمواجهة

"عـزازيـل"

الرد على البهتان

في رواية يوسف زيدان

الطبعة الرابعة مزيدة

لنيافة الحبر الجليل
الأنبا بيشوى

مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبراري
ودير الشهيدة دميانة بالبراري



بحث وثائقي تاريخي
وعقائدي لمواجهة

"عزازيل"

الرد على البهتان

في رواية يوسف زيدان

لنيافة الحبر الجليل
الأنبا بيشوى

الكتاب، الرد على البهتان في رواية يوسف زيدان
بحث وثائقي تاريخي وعقائدي لمواجهة "عزازيل"
المؤلف، الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري
ورئيس دير القديسة دميانة للراهبات بالبراري
وسكرتير المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية
والأستاذ بمعهد الدراسات القبطية والكلية الإكليريكية
الناشر، دار أنطون بتكليف من مطرانية دمياط وكفر الشيخ
والبراري ودير القديسة دميانة

الطبعة ، الأولى ابريل ٢٠٠٩م   الطبعة ، الثانية يونية ٢٠٠٩م

الطبعة ، الثالثة يوليو ٢٠٠٩م   الطبعة ، الرابعة أكتوبر ٢٠٠٩م

رقم الإيداع، ٢٠٠٩/٩٠٧٢

الترقيم الدولى، ٢-٠١٥-٤٥٩-٩٧٧-٩٧٨

الغلاف والطبع والتوزيع، دار أنطون بشبرا ، ٢٥٧٨٩١١٠ - ٢٥٧٩٩٨٤٨
٢٥٧٩٩٨٤٧ - ٢٥٧٤٥٩٤١ (٠٢) - ٠١٢/٢١٨٣٦٩٠ فاكس ، ٢٥٧٤٦٥٠٩(٠٢)

E-mail:dar_anton@yahoo.com

www.dar-anton.com

يطلب من المكتبات العامة و أيضا من جميع المكتبات المسيحية
ومن مكتبة دار أنطون / شارع البعثة - بشبرا
وايضاً يطلب من دير القديسة دميانة بالبراري، تليفونات رقم
٢٨٨٠٢١٨ - ٢٨٨٠٠٣٤ - ٢٨٨٠٠٠٧ (٠٥٠)
٢٨٨٠٧٦٢ - ٢٨٨٠٦٧٩ - ٢٨٨١١٤١
٨٨٨١٣٣٩ (٠١٨)، ٤١١١١٢٥ (٠١٨)
فاكس، ٢٨٨٠٠٠٨(٠٥٠) مع تسجيل رسائل
Email : demiana8@demiana.org   demiana@demiana.org
يطلب أيضاً من، مقر الدير بالقاهرة ت، ٢٦٨٤٧٠١٤(٠٢)، ٢٦٨٤٢٤٠٠(٠٢)
ومقر الدير بالإسكندرية ت، ٥٥٦٩٢٨٩(٠٣)



السيد المسيح كلمة الله



صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل الأنبا بيشوى
مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

تصدير

من رسائل القديس كيرلس الأول بطريرك الإسكندرية

الحق يجعل نفسه واضحًا لأولئك الذين يحبونه، ولكني أظن أنه يخفي نفسه ويسعى إلى أن يحتجب عن أفكار الماكرين. فهم لا يظهرون أنفسهم مستحقين أن ينظروا الحق برؤية واضحة[1].

فإن الله يحمي الذي ينادي بحقه، ولكنه يزعزع بشدة، قوة أعدائه ويلاشيها ويبطل خططهم حتى إنهم لا يصلون إلى الهدف الذي كانوا يتوقعونه[2].

ولكن من جهة انتقاد عديمي التقوى، ومن جهة شتيمتهم وكراهيتهم السابقة التي من ذلك النوع، فهذا قليل الأهمية بالنسبة لي. لأنهم إن كانوا قد دعوا ربنا ببعلزبول (مت١٠:٢٥)، إذن فلا يكون أمرًا جديدًا إن دعوني هكذا، وإن كانوا قد اضطهدوه هو، فكيف لا يضطهدونني أيضًا؟ ولكن في كل هذه الأمور نحن نغلب وأتعابنا تأتي بحصادها، أي أن محبة المسيح تزداد ونبلغ نحن إلى المجد غير الفاني... أما من جهة الناس الذين يضلون ويمدحون الهرطقة التي ظهرت في زماننا بواسطة نسطوريوس لكي تمسك بالحمقى وتضللهم، فإني بالضرورة أيضًا وبحسب مقدرتي قد وضعت هذا البحث ضد تعليمه الزائف، كما هو واجب عليَّ[3].

---

[1] الرسالة الثانية إلى سوكينسوس، الرسالة رقم ٤٦، (فقرة ١)

[2] الرسالة إلى الأسقف رابولا، الرسالة رقم ٧٤، (فقرة ٤)

[3] المرجع السابق، (فقرة ٦، ٧)

لم أجد أعذب من كلمات القديس كيرلس الكبير هذه لكي أسْتَهِلّ بها كتابي هذا. وشعرت وأنا أقرأها وكأنه حاضر معنا، لأنه عاش أحداثًا مماثلة لما يجري في زماننا هذا من الافتراء عليه وعلى رسالته المقدسة.

لم أتصور أن الدكتور يوسف زيدان وهو يستضيفنا أكثر من مرة في مكتبة الإسكندرية، ثم وهو يزورنا في دير القديسة الشهيدة دميانة في البراري ونتبادل الهدايا والمحاضرات وصور المخطوطات، أنه كان في نفس الوقت يكتب أبشع كتاب عرفته المسيحية، ويستخدم فيه ما قدمناه إليه من كتب ومراجع وشروحات كوسيلة لمهاجمة كنيستنا وعقيدتنا المسيحية الأرثوذكسية.

كنا نظن أننا سنساهم في إعادة أمجاد مكتبة الإسكندرية التي تغنى العالم بتاريخها العظيم كمنارة للعلم والفلسفة، ونعمل معًا بروح الود والحوار البنّاء فى إقامة حوار الحضارات في محراب هذه المكتبة التي عادت إلى الوجود في عهد الرئيس المحبوب محمد حسني مبارك.

ولكننا أُصبنا بخيبة أمل من رئيس قسم المخطوطات بهذه المكتبة؛ الذي وجدناه يبحث عن الشهرة والمال بشوق عنيف ضاربًا بصداقتنا وبكل القيم التي تمنيناها عرض الحائط، من خلال مخطوط سرياني لا وجود له في عالم الواقع، اخترعه خياله الخصب ليفاجئنا به وهو يحمل كل هذا الكم من العداء لنا وكأن قبلاته كانت هي قبلات الموت لا قبلات الحياة... فواحسرتاه!!

ولكن كما قلنا منذ سنوات إن "**الحق يتكلم حتى ولو صمت، ويتكلم حتى ولو بدا أنه قد ضاع، لأن الحق لا يمكن أن يضيع**". لذلك نقدّم هذا الكتاب لكل محبي الحق والحقيقة ليكون شاهدًا على التاريخ، وعلى العصر.

عيد القيامة المجيد

١٩ إبريل سنة ٢٠٠٩م

بيشوي

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

ورئيس دير القديسة دميانة ببراري بلقاس

وسكرتير المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

ووكيل عام الكلية الإكليريكية اللاهوتية بالإسكندرية

مقدمة

هذا الكتاب هو رد لاهوتي وتاريخي موثّق بالبراهين المستندة إلى أقدم المخطوطات الحقيقية غير الزائفة. وذلك لتصحيح الأضاليل التي أوردها الدكتور يوسف زيدان في روايته "عزازيل"، والتي مزج فيها الأدب الروائي بالتاريخ والعقيدة والشرح اللاهوتي، بنفس الأسلوب الذي كتب به "دان براون" روايته المشهورة "شفرة دافنشي" وكسب من ورائها ملايين الدولارات.

وقد نشرنا في الولايات المتحدة الأمريكية ردًا على روايتَي "دان براون" وهما رواية "ملائكة وشياطين" ورواية "شفرة دافنشي"، وذلك الرد هو باللغة الإنجليزية في كتاب اسمه "الكأس المقدسة الحقيقية" "*The Real Holy Grail*". كما أننا قد قمنا بالرد عليه فى برنامج "البيت بيتك" مع المذيع الصديق العزيز تامر بسيوني في التليفزيون المصري. وقَدَّمنا في تلك الحلقة التليفزيونية الوثائق التي تدحض ادعاءات "دان براون" في روايته "شفرة دافنشي"، والتي رفض مجلس الشعب المصري بقرار بالإجماع توزيعها في مصر بجميع اللغات، وكذلك رفض عرض الفيلم الشهير المبني على هذه الرواية الهدَّامة.

وها نحن اليوم نواجه الحجة بالحجة في الرد على الأهداف الهدَّامة في رواية الدكتور يوسف زيدان. ولن يجديه نفعًا الاحتجاج

المستمر بأن هذا نوع من الأدب الروائي الذي لا دخل لرجال الدين فيه، لأنه استخدم شخصيات حقيقية في تاريخ المسيحية وأقوالاً وأحداثًا، نسبها إليهم بقصد تشويه صورة وسُمعة كنيسة الإسكندرية وعقائدها ودفاعها عن الإيمان المستقيم فى المسيحية.

فمثلاً حينما ينسب إلى البابا القديس ألكسندروس التاسع عشر فى عداد بطاركة الإسكندرية أنه قتل القس المبتدع آريوس بالسم، بينما الثابت تاريخيًا أن البابا ألكسندروس قد توفى قبل آريوس بثمانية أعوام كاملة؛ فهل هذا نوع من الأدب الروائي؟! نحن ننتظر قليلاً من الخجل عند الدكتور يوسف زيدان أو عند من منحوه جائزة في الأدب العربي أو على الأقل عند القارئ العربي بعد أن يطّلع على كتابنا هذا.

ولا يفوتني أن أشكر كل من ساهم معي فى إعداد هذا الكتاب الشامل بكل ما فيه من بحوث تاريخية وفلسفية ووثائقية.

بيشوى

عيد القيامة المجيد

١٩ إبريل سنة ٢٠٠٩م

رئيس دير القديسة دميانة بالبراري

تمهيد

تزييف حقبة من تاريخ مصر هو جريمة في حق مصرنا المحبوبة. فالتاريخ الذي زيّفه د. يوسف زيدان هو جزء من تاريخ المصريين كلهم في فترة زمنية قرابة الــ ٦٤٠ سنة قبل دخول العرب مصر، وليس تاريخ الأقباط المسيحيين وحدهم.

ما هو الهدف من رواية د. يوسف زيدان؟! هل معرفة جزء من تاريخ مصر كما أراده ورآه د. يوسف زيدان وصديقه في حلب نيافة المطران؛ الذي نكاد نرى بصماته في كل فصل من فصول الرواية، وربما في أغلب صفحاتها! أم أن الهدف هو تحطيم إيمان النفوس الضعيفة بإقناع القارئ البسيط أن السيد المسيح ليس هو الله الكلمة وأنه لم يتجسّد، والتشكيك في صَلبه أيضًا. أم الهدف هو التقهقر بالمسيحية إلى البدعة النسطورية. أو ربما يكون الهدف هو تشويه العقيدة المسيحية بدرجة تكفي لاشمئزاز المسلمين منها، مما يمكن أن يسبب فتنة طائفية. أم أن الهدف هو تحطيم القِيَم الأخلاقية لهذا الشعب المصري سواء المسلم أو المسيحي، بالإثارة الجنسية وتعليم الفتيات والشباب كيفية ممارسة الخطية في أبشع صورها، كما عرضها د. يوسف زيدان في روايته باستفاضة انتقدها الكثيرون من ذوي الأخلاق الحميدة، الذين نشكر الله أن مصر لازالت عامرة بهم. ما هي الفائدة؟ هل لمجرد التسلية؟ نحن نحتكم

إلى الضمير المصري الأصيل، هل يصح أو يليق أن نتخذ من الديانة المسيحية العريقة والكنيسة المصرية المجيدة مدعاة للتسلية والتزييف؟ ودعونا نتكلم بصراحة ونسأل، ماذا سيكون رد الفعل لو قام شخص ما بتأليف رواية تناظر هذه الرواية وبنفس مستوى التزييف والتحايل (الذي يسميه د. زيدان إبداعًا أدبيًا) ولكن بالنسبة للديانة الإسلامية؟ هل سيقبل أي مسلم غيور على ديانته، المساس بمعتقداته وتزييف تاريخ الإسلام والتشكيك في مَوْروثاته ومُسَلَّماته، والإساءة إلى شخصيات قيادية يُكَن لها كل تقدير واحترام؟

ألا يمكن أن تشعل هذه الرواية الفتنة الطائفية في مصر ولو على مدى زمني طويل؟ فلنقرأ ما كتبه د. يحيى الجمل في نهاية مقالته لجريدة المصري اليوم في ٢٠٠٨/٧/٢١ على الصفحة ١٧:

> ما الذي أراد هيبا أن يقوله في هذا الرق، أو ماذا يريد د. يوسف زيدان أن يقوله؟ هل من الممكن أن تبلغ الوحشية والقسوة والدونية بأبناء الرب هذا المدى الذي وصفه هيبا وترجمه د. يوسف زيدان؟ هل ممكن أن يدفع التدين مهما بلغ صاحبه من تعصب وجهل إلى هذا المدى من القسوة والوحشية؟ واتصور أن هذا المشهد (يقصد مقتل هيباتيا) في "عزازيل" د. يوسف زيدان يستحق أن نتوقف عنده، ونحاول أن نستكنه ما وراءه. وأن الذي وراءه لكثير.

ما رأيك عزيزي القارئ؟ ألا تُعد الرواية بهذا تصعيدًا لشحن الضمير الإسلامي ضد االمسيحية والمسيحيين؟

يتشدق د. يوسف زيدان بأن روايته لا يوجد بها أي خطأ على حد تعبيره، والحقيقة أنها مليئة بالأخطاء التاريخية واللاهوتية. وهذا ما سوف يقدمه لك هذا الكتاب.

يصرّح د. يوسف زيدان لوسائل الإعلام معترضًا على تدخل رجال الدين في نقد الرواية والاعتراض على ما بها من أخطاء، على الرغم من أن حرية النقد مكفولة للجميع. ويقول بصوت عالٍ ليهتم رجل الدين بمسئولياته الدينية ولا شأن له بالأدب. وهل سبق لنا التدخل في أدبه أو أدب غيره؟ ولكن الأمر الآن يختص بل ويمس قلب الديانة المسيحية، والحفاظ على الإيمان هو أولى مسئولياتنا. بل دعني أقول إنه هو الذي أقحم ذاته فيما لا يعنيه على الإطلاق. إذ أنه أديب كما يقول، فما هو شأنه باللاهوت المسيحي وحقائق وعقائد الدين المسيحي؟ لقد زجّ بنفسه في مجال ليس له بالمرة أن يدخل فيه، وانتهك حُرمة دين سماوي بالخداع والتزييف والتحريف.

فهل انتهت المواضيع التي يمكنه أن ينسج بخياله حولها رواية، حتى يكتب عن اللاهوت؛ الأمر الذي يصعب أحيانًا على المسيحيين أنفسهم إلاّ المتخصصين الدارسين منهم؟!

لقد أخذ منّا العجب مأخذًا عندما قال د. يوسف زيدان في برنامج "البيت بيتك" في التليفزيون، وبلهجة أسيفة إن الأخلاق في مجتمعنا قد تدهورت! كيف يقول هذا في الوقت الذي ينشر فيه هذا الفسق والفساد على عشرات الصفحات –من أقصر الطرق– في

رواية تمزج بين التشهير بالرهبنة والطعن في العقيدة المسيحية والخروج عن الحياء! أية أخلاق هذه التي يتباكى عليها د. يوسف زيدان؟!

صرّح الدكتور زيدان لإحدى المجلات المعروفة[٤] بأنه يسمي ممارسة الجنس **خارج الزواج** " *الفعل الإنساني البديع*"! ويطلق على المشاهد الجنسية الخارجة عن الحياء في روايته: " *كانت تجسيدًا للمفهوم العربي أي العلاقة التي يكتمل بها الوجود الإنساني بين الرجل والمرأة*"!! وأنا أضع هاتين المقولتين أمام القارئ العزيز بلا تعليق. ولكني فقط أتساءل هل تجيز الديانة العلاقات الجنسية خارج الزواج؟

وأذكر هنا أيضًا مقولة أخرى للدكتور زيدان لنفس المجلة:

" *لا يوجد مقدس في ذاته إنما يُقدَّس المقدس باعتقاد الجماعة في قداسته، لذا تجد ما هو مقدس هنا غير ما هو مقدس هناك. ولو كان مقدسًا في ذاته لالتقت الإنسانية كلها على تقديسه*".

وهنا أيضًا سأتركك عزيزي القارئ مع هذه الكلمات بدون تعليق مني.

وعلى الرغم من إني كنت قد شرحت للدكتور زيدان موضوع الشِرْك عند نسطور وما هي عقيدته وما هو الفرق بين عقيدة نسطور وعقيدة القديس كيرلس إجابةً مني على سؤال له –كان ذلك عندما ذهبت إلى مكتبة الإسكندرية وألقيت محاضرة هناك باللغة

---

[٤] مجلة المصور في عددها ٤٤٠٧ في ٢٥| ٣| ٢٠٠٩، على صفحة ٥٢.

الإنجليزية بدعوة منه في مؤتمر دولي عن الاصطلاحات اللاهوتية باللغات العبرية والآرامية (السريانية) واليونانية والعربية التي دارت حولها خلافات في القرن الخامس الميلادي- وكنت قبلها قد أهديته أيضًا كتبًا من إصداراتنا عن المجمع المسكوني الثالث في أفسس (٤٣١م) وعن الكنائس الأشورية النسطورية؛ تشرح باستفاضة الشِرْك الذي ينادي به نسطور، أجده مستمرًا في عملية التضليل. وفي زيارته لدير الشهيدة دميانة بعد أن ألقى محاضرته عن التصوف في الإسلام شرحت له أيضًا معنى قول السيد المسيح: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً" (مت١٠ : ٣٤). فقد كان في بداية انتشار الإيمان يحدث أن يؤمن الابن أو الابنة مثلاً بالمسيحية ولا يؤمن الأب الذي يُسلِّم أولاده للحاكم الوثني ليقتلهم أو يقتلهم أبوهم بنفسه. وهكذا تسبب الإيمان بالسيد المسيح في سفك دماء الشهداء منذ بداية المسيحية. ولدينا أمثلة كثيرة لذلك في تاريخ الشهداء. ويمكن أن يُفهم أيضًا السيف الذي قصده السيد المسيح على أنه سيف الإيمان المستقيم الذي يفصل ذوي المُعتقد القويم عن الهراطقة، حتى لو كانوا أقاربهم أو أحباءهم. وقد ذكر القديس كيرلس هذا المعنى في رسالته الثالثة إلى نسطور والموجود نصَّها في ملحق رقم (١). فكلام السيد المسيح يقصد به مثل هذه الظروف فقط.

فللأسف ينشر د. زيدان الأضاليل ليس عن جهل ولكن عن معرفة، وذلك لتشبُّثه بالرغبة في الطعن في العقيدة المسيحية.

وبينما هو يدَّعي أن الرواية هي رواية أدبية ومن حق الأديب أن يُبدع كما يشاء هكذا بلا ضابط، نجده يُلقي محاضرة في مؤتمر القبطيات الدولي المُنعقد بالقاهرة في الفترة ١٤-٢٠ سبتمبر ٢٠٠٨م، والمفروض أنها لا تدخل تحت المصنفات الأدبية، ولكنه هاجم فيها أيضًا العقيدة المسيحية. وهذا إن دلّ على شئ إنما يدلّ على إصراره على نشر أفكاره المضلِلة والتي كشفت بوضوح عن كراهيته للديانة المسيحية سواء في رواية أو في بحث لمؤتمر علمي، مما يدل على خداعاته تحت ستار الأدب الروائى. ولدينا تسجيلاً صوتيًا كاملاً للمحاضرة ونسخة مطبوعة منها.
والحقيقة لم يكن المنظمون الأجانب للمؤتمر موفّقين في دعوته لكي يهاجم العقيدة المسيحية من داخل الكاتدرائية!

وإليك بعض الملاحظات على مقتطفات من محاضرة الدكتور يوسف زيدان التي قَدَّمها في المؤتمر الدولي التاسع للدراسات القبطية الذي استضافته مؤسسة القديس مارمرقس للدراسات وعُقد في البطريركية بالقاهرة ١٤-٢٠ سبتمبر ٢٠٠٨م بعنوان "اللاهوت العربى قبل الإسلام وامتداده في عِلم الكلام". أرقام الصفحات من المحاضرة مطبوعة وقد أرسلها الدكتور زيدان بالبريد الإلكتروني لكل المشتركين في المؤتمر. والكلمات ما بين القوسين ( ) هي من وضع الدكتور زيدان أيضًا:

في مهاجمته للعهد القديم

عاب في الله كما صَوّرَهُ العهد القديم فقال:

١. "قدمت اليهودية صورة إشكالية للإله" {صفحات ٥– ٨} "الله التوراتي" عنيفًا منتقمًا من الناس لحساب اليهود – نشر الرعب بأرض مصر إرضاءً لشعبه المختار – يحتاج علامة بصرية يميز بها اليهود حتى لا يضربهم سهوًا – يظهر في سفر التكوين حائرًا وثائرًا – غيور غضوب – له صفة الحزن والندم – جبار ثائر منتقم – نسى نوحًا ومن معه – يحب أن يُطاع – يستلذ برائحة الشواء – يندم على أفعاله السابقة – ينتابه القلق لأن الإنسان (آدم) أكل من شجرة المعرفة فصار عارفًا مثل الآلهة – يترصد أعمال البشر غيرةً منهم وحنقًا عليهم – قَلِقًا، حسودًا، حقودًا، غضوبًا، نادمًا، ناسيًا، منتشيًا برائحة الشواء، مغلوبًا.. وهي صفات إنسانية رديئة – الله التوراتي مخصوصٌ ببني إسرائيل – ملتصقٌ بالأرض لا بالسماء، فهو يعيش في (الخيمة) مع الإنسان ويشاركه وقائع حياته.
٢. مهاجمة قصة الطوفان: {صفحة ٥}، واعتبارها على حد تعبيره "ذات الأصل السومري".
٣. "استكمال المنظومة الدينية اليهودية لذاتها، اعتمادًا على الديانتين اللاحقتين (المسيحية، الإسلام) بإدخال فكرة البعث أو القيامة وما يتعلق بها من (الأخرويات) التي خلت منها النصوص اليهودية المبكرة (التوراة، أسفار الأنبياء الكبار)

وتم إدخالها في النصوص اليهودية المتأخرة، كالمشناة والجمارا" {صفحة ٤}.

٤. "آدم أكل من شجرة المعرفة، فصار عارفًا مثل الآلهة – وليس الإله الواحد" {صفحة ٦}.

٥. "... مشكلة الخطية الأولى التي اقترفها آدم وورثها بنوه، الذين لم يشهدوا في واقع الأمر، هذا الخلق الأول، ولم يشتركوا في (الخطية) لكنهم تعرَّضوا مع ذلك لغضب الله، من زاوية القدوسية الإلهية" {صفحة ٩}.

٦. "تاريخ البشرية كله، وفقًا للتوراة، لم يتعدَ حتى يومنا هذا ستة آلاف عام! مع أن مصر القديمة أقامت (الأهرامات) في هذا الوقت الذي تؤكد التوراة أن آدم عاش فيه سني عمره التسعمائة والثلاثين! ثم عاش.. شيث تسعمائة واثنتي عشرة سنة.. و.. أنوش تسعمائة وخمس سنين و.. قينان تسعمائة وعشر سنين..الخ، مع أن البشر في زمن ما قبل الحضارات، لم يتجاوز متوسط عمر الواحد منهم ثلاثين سنة" {صفحة ٨}.

{وللرد على هذه النقطة نقول إن الأهرامات لم تُبنَ منذ ستة آلاف عامًا بل أقل من ذلك بكثير، حيث إنها بنيت في عهد الأسرة الرابعة (سنفرو وخوفو وخفرع ومنكاورع، من ٢٥٦١ إلى ٢٤٥٠ ق.م) حسب تقسيم الكاهن المصري "مانيتون Manéthon" الذي كتب تاريخ مصر خلال حكم الملك "بطليموس الثاني"[٥].

---

[٥] باسكال فيرنوس وجان يويوت، ترجمة: د. محمود ماهر طه، *موسوعة الفراعنة: الأسماء – الأماكن – الموضوعات*، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية القاهرة ٢٠٠١م، ص ٢٥، ٢٨٢.

وأيضًا إن مدة هذه الأعمار التي ذكرها متداخلة، كما يذكر لنا الكتاب المقدس: "عَاشَ آدَمُ مِئَةً وَثَلاَثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ وَلَداً... وَدَعَا اسْمَهُ شِيثاً وَكَانَتْ أَيَّامُ آدَمَ بَعْدَ مَا وَلَدَ شِيثا ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ ... وَعَاشَ شِيثُ مِئَةً وَخَمْسَ سِنِينَ وَوَلَدَ أَنُوشَ وَعَاشَ شِيثُ بَعْدَ مَا وَلَدَ أَنُوشَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَسَبْعَ سِنِينَ ... فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ شِيثَ تِسْعَ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً وَمَاتَ (تك ٥ : ٤ –٨)}.

وعن المسيحية قال في محاضرته بالنص:

- "صدم العرب المسيحية من قبل أن يصدمها الإسلام بقرون من الزمان، عن طريق هذه الرؤى اللاهوتية {يقصد الهرطقات} التي دارت من قريب أو من بعيد حول محور وحيد هو رفض ألوهية الإنسان" {صفحة ١٥}.
- "جاء الإسلامُ من قلب المنطقة العربية، منتصرًا للرؤى {يقصد الهرطقات} المعارضة للإيمان الأرثوذكسي (القبطي، السرياني، الرومي) وأعلن الدينُ الإسلامي منذ بداياته الأولى، عبر عديد من الآيات القرآنية الحاسمة المحكمة عن قبوله التام للمسيحية كدين، ورفضه التام للقول (الزعم) بألوهية المسيح" {صفحة ١٩}.
- "قدمت المسيحية حلاً لهذه المشكلة {يقصد مشكلة الإله التوراتي الملتصق بالأرض} بأن أكَّدت وجود الله في الأرض، لتتوافق بذلك أولاً مع اليهودية، ثم رفعته ثانيةً إلى

السماء... وكان المسيح هو صيغة الخلاص من مشكلة اندماج الله مع الإنسان واندراجه في الأرض" {صفحة ٩}.

- "امتزاج العروبة بالإسلامية وهو امتزاج بدأ بمقدمات واضحة أدَّت إلى نتائج محددة، أعني... أن القرآن عربيٌّ مبينٌ وأن الأئمة من قريش... ومن بعدها وقائع التاريخ الفعلي لدول الإسلام التي أبرزت العروبة في الإسلام مع أنه يطرح نفسه للناس كدين لكل البشر، بل هو (الدين) مطلقاً، بحكم: إن الدين عند الله الإسلام.. وقد أكد الإسلام، مبكراً، ارتباطه باللغة العربية على مستوى التمييز بين المؤمنين (المسلمين) والكفار (وأهل الكتاب)..."{صفحة ٣}
- "(فتوى) الإمام ابن تيمية التي نصها:... وقول الجهم أشر من قول اليهود والنصارى، الذين حكم الله تعالى بكفرهم" {صفحة ٣٠}.

موقف الدكتور زيدان من الهرطقات والهراطقة وكنيسة الإسكندرية كما جاء في نفس المحاضرة في مؤتمر القبطيات بالبطريركية بالقاهرة:

يسمي الهرطقات "الاجتهادات الخاصة بطبيعة المسيح" {صفحة ١١} و"الرؤى اللاهوتية" أو "الرؤى" {صفحة ١٥- صفحة ١٩}.

ويطلق الدكتور زيدان على الهرطوقي لقب "المفكر الكنسي" {صفحة ١٣-١٤} وقد التزم بوضع كلمة "هرطقة" دائمًا بين قوسين كما تلاحظ {صفحات ١٤-١٧} وقد قال:

"إننا نستخدم كلمة (الهرطقة) لتمييز هذه الأفكار فحسب، فهي (هرطقات) بحسب ما تراه الكنيسة الأرثوذكسية بعامةٍ والقبطية بخاصةٍ" {صفحة ١١}.

تَطَابُق أفكار الهراطقة مع العقلية العربية والإسلام لأنهم رفضوا ألوهية المسيح {صفحات ١٧-٢١} وتَعَارُضها مع فكر كنيسة الإسكندرية:

- "إن العقلية العربية ذات الطبيعة العملية، لم يكن من السهل عليها قبول فكرة الألوهية للمسيح، لأسباب تاريخية ونفسية يطول شرحها.. إذ تصور العرب (الإله) دومًا، على أنه (مفارق) للبشر؛ ومن ثم كان يصعب عليهم قبول التطابق التام بين الآب والابن، أو الإيمان السكندري بالــ هو هو! أعني الإيمان الذي مهدت له طبيعة الثقافة الفرعونية التي سادت في مصر لزمن طويل، وعاشت في الإسكندرية الهيلينستية عقودًا طويلة، أعني الإيمان بألوهية الحاكم" {صفحة ١٨}.
- "نسب المسلمون لآريوس (الهرطوقي) ما يفيد بأنه كان مقدمةً من مقدمات الإسلام، وأعطوه اسمًا إسلامياً هو عبد الله بن أريس" {صفحة ٢٠-٢١}.

للرد على هذه الأخطاء الكثيرة والافتراءات على الكتاب المقدس وماجاء فيه وتأويله تأويلاً مغلوطًا ومُشوَّهًا، أوردنا دفاعات عن الكتاب المقدس في هذا الكتاب. ولكن الأمر يحتاج إلى الرجوع إلى كتاب آخر منفصل غير كتابنا هذا، مثل كتابنا بعنوان "الرد على الشكوك الموجَّهة إلى الكتاب المقدس".

ونعود إلى رواية عزازيل فنقدم ملخصًا لهذه الرواية -المبنية على مخطوط خيالي- لكي نوفّر على القارئ مساوئ وأضرار قراءتها:

تبدأ الرواية بمقدمة مؤرخة في ٤-٤-٢٠٠٤، لمترجم الرقوق المكتوبة باللغة السريانية والتي اُكتشفت قبل عشر سنوات في الخرائب الأثرية في الشمال الغربي من حلب. ويعود تاريخ كتابة هذه الرقوق إلى النصف الأول من القرن الخامس. يذكر المترجم أن كاتب الرقوق هو راهب مصري يُدعى هيبا، وهو شخصية لا ذكر لها إلاَّ في هذه الرقوق. بدأ هيبا الكتابة بناءً على إلحاح عزازيل، الذي اقترح عليه فترة اعتكاف لمدة أربعين يومًا يُدَوِّن فيها ما قابله في حياته، وكانت هذه الأربعون يومًا هي آخر أيام قضاها في الدير الذي يقع شمال حلب، والذي وصل إليه بعد مجيئه من أورشليم. تبدأ الأحداث بأن أتى الراهب الطبيب هيبا من أخميم التي درس بها الفلسفة والطب، إلى الإسكندرية طلبًا لمزيد من العلم. [كانت أمه مسيحية ولم يكن يحبها ووصفها بأوصاف ذميمة. أما أبوه فكان وثنيًا وكان هيبا يحبه ويتعاطف معه كثيرًا، وقد وصف مقتل أبيه على يد عوام المسيحيين بطريقة بشعة حين كان هيبا في التاسعة من عمره. بعد ذلك تزوجت أمه بأحد قاتلي أبيه، وأما هو فتربى عند عمه]. في الإسكندرية تقابل مع أوكتافيا الوثنية وقضى معها ثلاث ليالٍ في علاقة خاطئة. تعرَّف بعد ذلك بهيباتيا الفيلسوفة الوثنية الجميلة وأحبها جدًا ولكن لم يمهله الوقت فقد قُتلت بأيدي المسيحيين بقيادة بطرس القارئ. وقد أفاض جدًا في وصف بشاعة مقتلها مدَّعيًا أنه نتيجة لتحريض وتشجيع الأسقف كيرلس، الذي بالغ هيبا في وصفه بأبشع الصفات. على أثر صدمة هيبا العنيفة لمقتل هيباتيا، نزع صليبه وألقاه إلى الأرض وهجر الإسكندرية ٤١٥م بعد أن قضى فيها حوالي ٧ سنوات، إلى فلسطين حيث قضى ٣ سنوات، ثم استقرّ في أورشليم لمدة ٦ سنوات تقريبًا، وتقابل خلالها مع القس نسطور والأسقف ثيئودور المصيصي عند مجيئهم للحج في أورشليم. أحب هيبا نسطور حبًا جمًا وصارت بينهما علاقة حميمة، وشجعه نسطور على الذهاب إلى حلب؛ فكتب له توصية ليسكن في الدير المذكور في شمال حلب حيث قضى حوالي ٧ سنوات (٤٢٤-٤٣١م)، زاره خلالها نسطور مرة قبيل رسامته أسقفًا، وزار هو نسطور بالقسطنطينية بعد أن صار أسقفًا. بدأ عزازيل محاوراته لهيبا أثناء فترة غيبوبة تعرَّض لها لمدة ٢٠ يومًا أثناء وجوده في هذا الدير. وفيه تعرَّف بمرتا المسيحية المُطَلَّقة وأخطأ معها. وانتهت إقامته بالدير بالأربعين يومًا التي ذكرناها. من شخصيات هذا الدير راهب يُسمى بالفريسي الأقنوم يشتهر بعد توبته بالحرص من النساء والتدقيق في حياته. بعد انتهاء هيبا من كتابة الرقوق، دفنها عند بوابة الدير وهجره بلا رجعة، حرًا (على حد تعبيره) والمقصود بالطبع أنه تحرر من قيود الدين والرهبنة سعيًا وراء النساء متشبهًا بالحمام الجبلي!!

* * *

الباب الأول

الأخطاء التاريخية

الفصــل الأول

- لقاء آريوس مع اسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية
- موت آريوس مسمومًا
- إسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية هو الذي دبر قتل آريوس

الفصــل الثاني

- التزييف في أحداث مجمع نيقية
  - ترأس الإمبراطور المجمع وأملى قراراته على الحاضرين
  - الإمبراطور هو الذي حَرَم آريوس وحكم بهرطقته
  - قسطنطين لم يكن يعرف اليونانية
- حرق قسطنطين لكل الأناجيل ماعدا الأربعة المشهورة
- انتصرت الإسكندرية في مجمع أنطاكية ٣٤٢م
- الملكة هيلانة في بدايتها ساقية في مواخير الرُها

الفصل الثالث

- ثيئوفيلس أسقف الإسكندرية يهدم معبد سيرابيوم على رؤوس الوثنيين الذين فيه

الفصل الرابع

- تحريض القديس كيرلس الشعب على قتل هيباتيا
- جماعة محبي الآلام ومقتل جورج الكبادوكي الآريوسي
- بطرس القارئ صار فيما بعد أسقفًا باسم مونجوس

الفصل الخامس

- الرد على الهجوم على القديس كيرلس الكبير، ملامح شخصية القديس كيرلس

الفصل السادس

- التزييف في أحداث مجمع أفسس
  - حضور الإمبراطور ورئاسته للمجمع
  - حضور بابا روما المجمع
  - صياغة قانون إيمان جديد وإضافات على قانون نيقية
  - عقد المجمع قبل وصول الإمبراطور
- هيبا الرهاوي والقديس رابولا الرهاوي

الفصل السابع

- خرَّب المسيحيون الإسكندرية وقتلوا اليهود والوثنيين بعد وفاة القديس كيرلس
- تشويه صورة المسيحيين والتعاطف مع الوثنيين
- تصوير رجال الدين الأقباط بصورة مُنَفِّرة
- المبالغة في مديح نسطور على طول الرواية

الفصـــل الثامن

- يوحنا المعمدان ابن خالة السيد المسيح
- أسفار موسى الخمسة لم تُدَوَّن إلاّ بعد السبي
- التشكيك في مجئ العائلة المقدسة إلى مصر

الفصـــل التاسع

- تشويه صورة الرهبنة واعتبارها بدعة
- رهبنة النساء بدعة

الفصل العاشر

- القديس ديمتريوس أذاق أوريجانوس كؤوس المرار
- طاطيان كان وثنيًا

الفصل الأول

هل التقى آريوس مع إسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية؟

يخلط د. يوسف زيدان بين **ألكسندروس أسقف الإسكندرية الذي تنيح سنة ٣٢٨م**[٦]، **وألكسندروس أسقف القسطنطينية** الذي عاصر واقعة موت آريوس سنة **٣٣٦م** حسب ما ذكر هو نفسه في الرواية. فكتب في روايته ص ٥٤,٥٥:

نسطور: *في اليوم السابق على لقائه المرتقب مع الإمبراطور وأسقف الإسكندرية، كان آريوس يسير ساعة الظهر مع جماعة، فدهمه مغص مفاجيء لا مقدمات له، وانتحى عن الطريق ليلبي نداء الطبيعة، فنزل منه دم كثير وقطع من لحم البطن وأجزاء الأمعاء.. ومات ميتة مخجلة، إذ سقط فوق ما نزل من بطنه. كان ذلك في يوم سبتٍ من أيام العام السادس بعد الثلاثين وثلاثمائة للميلاد، قبيل الغروب.*

وفي موضع آخر من الرواية ص ٢٥٣:

[6] Margaret M. Mitchell and Frances M. Young, eds, *The Cambridge History of Christianity* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), p. 565; *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Alexander of Alexandria" p. 20 ; Johannes Quasten, *Patrology*, vol. 3 (Westminster, Maryland & Texas: Christian Classics, 1950-1960), p. 14; *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Alexander of Alexandria (d. 328)" p. 30.

هيبا: *استدرج الإسكندرانيون الراهب آريوس إلى القسطنطينية من منفاه ببلاد القوط (إسبانيا) بعدما كان قد استقر هادئاً هانئاً بأقصى العالم. استدرجوه، بعدما حرموه وعزلوه ومثَّلوا بسمعته. لم يرضوا له أن يموت في سلام. ولما انخدع وذهب ليلتقي بالأسقف إسكندر في بلاط قسطنطين الإمبراطور، أملاً في الوفاق وحلّ النزاع اللاهوتي الذي أغضب الإسكندرية، لقى آريوس مصيره المفجع ومات مسمومًا. ولم يكن أسقف الإسكندرية أيامها بمثل قوة أسقفها اليوم، ولا كان آريوس مسكيناً مثلي!.*

هكذا يتضح أن إسكندر أسقف الإسكندرية قد توفيَّ قبل وفاة آريوس بثمانِ سنوات. فكيف يقتل آريوس بعد وفاته هو واعتلاء أثناسيوس كرسي الإسكندرية من بعده في نفس العام وهو عام ٣٢٨م. كما أن أثناسيوس نفسه كان منفيًا عند وفاة آريوس.



هل مات آريوس مسمومًا؟
هل إسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية هو الذي دبر قتل آريوس مسمومًا؟

ونأتي إلى خطأ تاريخي آخر ذكره الدكتور زيدان، وهو أنه جاء على لسان نسطور في الرواية أن آريوس قد مات مسمومًا وأن قسطنطين ارتضي باغتيال آريوس.

ص ٥٣ **نسطور:** *لقد ضيَّع الإمبراطور قسطنطين قديمًا، حكمة آريوس.. مثلما تضيع اليوم على يد الجهلة الذين يزعمون أنهم أتباعه، ويتخذونه مدخلاً للهرطقة ونَقْض الديانة. إن الآريوسيين الذين يملأون اليوم البلاد من حولنا، يجنون على آريوس مثلما جنى عليه الإمبراطور قسطنطين قبل مائة عام، وارتضى باغتياله في وَضَح النهار.*

ص ٥٤ **نسطور:** *اكتوى* (يقصد آريوس) *بنيران الإسكندرية ياهيبا.. ولما دعاه الإمبراطور من منفاه الطويل بأرض القوط، ليوفّق، قَسْرًا، بينه وبين أسقف الإسكندرية كي يضمن هدوء الحال ويُرضي المدينة العظمى؛ تَمَّ اغتياله بالسُّمّ.* **هيبا:** *مات مسمومًا!*

ص ٢٥٣ **نسطور:** *لم يرضوا له أن يموت في سلام. ولما انخدع وذهب ليلتقي بالأسقف إسكندر في بلاط قسطنطين الإمبراطور، أملاً في الوفاق وحل النزاع اللاهوتي الذي أغضب الإسكندرية، لقى آريوس مصيره المفجع ومات مسمومًا.*

سوف نسرد هنا هذا الحدث التاريخي الهام كما أوردته أشهر المراجع الأجنبية المُعَوَّل عليها علميًا وعالميًا فيما يخص التاريخ

الكنسي، بالإضافة إلى ما ذكره المؤرخون الأنطاكيون الثقاة أنفسهم. ثم نناقش بعد ذلك ما جاء بالرواية من زور وبهتان وتزييف للتاريخ.

بمجرد استبعاد القديس أثناسيوس، تم استقبال آريوس بشكل صوري وكئيب، وكان بالفعل في طريقه من مجمع بأورشليم إلى الإسكندرية، وقد زادت آماله بسبب خلو كرسي الكرازة، ولكن كان الشعب حزيناً جدًا بسبب وصوله وأيضًا بسبب نفي أثناسيوس[٧]. ولذلك ظهرت مشاكل كبيرة، ولهذا السبب استدعى الإمبراطور آريوس إلى القسطنطينية، وذلك إما -كما يذكر سقراط[٨]- لكي يحاسبه على الثورات التي تحدث في الإسكندرية، أو أن اليوسابيين كانوا قد خططوا أن يوقعوا تأثيراً في قبول الهرطوقي في القسطنطينية. وإذ لم يكن ألكسندر أسقف تلك الإيبارشية يميل بأي حال إلى رغباتهم، لذلك فقد دبَّروا أن يستدعي قسطنطين آريوس أمامه. فاختبر قسطنطين إيمان آريوس مرة أخرى وجعله يوقّع صيغة إيمان أرثوذكسي، وأقسم آريوس أن العقيدة التي بسببها قد تم حرمه منذ أكثر من عشر سنوات من قِبَل ألكسندر أسقف الإسكندرية لم تكن له. ولكن الإمبراطور لدى انصراف آريوس قال: "لو أن إيمانك كان صحيحًا، فقد أقسمتَ حسنًا، وإن كان باطلاً فليحكم الله عليك بحسب تجديفك!"[٩].

[7] Charles Joseph Hefele, *A History of the Councils of the Church*: *A.D. 326 to A.D. 429*, vol. 2 (Edinburgh: T. & T. Clark, 1896), pp. 32, 33.
[8] Soc. *H.E.* i. 37., quoted in Hefele, vol. 2, pp. 32, 33.
[9] Hefele, vol. 2, p. 33.

وعلى ذلك، فإن قسطنطين تحت ضغط اليوسابيين، قد أعطى أمرًا لأسقف القسطنطينية بقبول آريوس في شركة الكنيسة، وقد هدَّدَ اليوسابيون الأسقف بالطرد والنفي؛ إذا أبدى اعتراضًا. وأعلنوا أنهم في اليوم التالي (الموافق السبت) –سواء شاء أم أبى– سيحتفلون بالخدمة الإلهية مع آريوس. وأدرك الأسقف ألكسندر أنه لا معين له في هذه المحنة سوى الصلاة، فذهب إلى كنيسة القديسة إيريني "St. Irene" وصلى إلى الله قائلاً:

"دعني أموت قبل أن يأتي آريوس إلى الكنيسة، ولكن إن شئتَ أن تشفق على كنيستك، فامنع هذه الجريمة، أن لا تدخل الهرطقة إلى الكنيسة مع آريوس!"[١٠].

يذكر قداسة البطريرك الأنطاكي المتنيح مار إغناطيوس يعقوب الثالث (مار سويريوس يعقوب توما مطران بيروت من قبل) في كتابه "تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية" أنه في الوقت نفسه اقترح مار يعقوب أسقف نصيبين السرياني –الذي وُجد في القسطنطينية في ذلك الحين– على مؤمني القسطنطينية أن يصوموا سبعة أيام من أجل أسقفهم، ففعلوا[١١].

وبعدها بساعات قليلة، وفي مساء السبت نفسه، ذهب آريوس مع حراسة كبيرة عبر المدينة، وعندما اقترب إلى بلاط قسطنطين،

---

[10] Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 2, p. 33.

[11] Henry Wace and William C. Piercy, eds, *A Dictionary of Christian Biography* (Massachusetts: Hendrickson, 1994), p. 549.

راجع: سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، ج١، بيروت ١٩٥٣، ص ٢١٨.

اضطر أن ينزوي في مرحاض ليلبي نداء الطبيعة، وهناك مات فجأة بسبب انسكاب أحشائه، وذلك في سنة ٣٣٦م، وشهد الكثيرون موتَه كعقاب من السماء[١٢]. ولم يذكر أي من المؤرخين أن أسقف القسطنطينية له أية علاقة مادية بموته. لكن من الواضح أن صلواته وصلوات المؤمنين كانت هي الفاعلة. وقد أجمع أغلب المؤرخين على أن موت آريوس بهذه الطريقة كان معجزة إلهية. وهذا ليس بغريب على كنيستنا (أقصد هذا التدخل الإلهي بصورة معجزية) ويذكر لنا التاريخ أمثلة عديدة.

ويذكر المؤرخ سوزومين (أرَّخ للفترة ما بين٣٢٤ و ٤٣٩م وقد دوَّن ما كتبه ما بين ٤٣٩ و٤٥٠م) مقالة عن موت آريوس كتبها القديس أثناسيوس يقول فيها:

> "كان الرب هو القاضي، وأعلن ذاته ضد الظلم"؛ وأن آريوس "فَقَدَ استعادة الشركة وحياته معاً في آنٍ واحد"[١٣].

كما يذكر سقراط الذي عاش من (٣٨٠- ٤٥٠م) بعد أن وصف الطريقة البشعة التي مات بها آريوس كما ذكرناها، يعلّق قائلاً:

> "إن موضع هذه المأساة (الفاجعة) ما زال يُشاهد في القسطنطينية، كما ذكرت، خلف الخرائب في صف الأشجار: ولأن الناس يشيرون بالأصبع على المكان،

[12] Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 2, p. 34.

[13] Soz. *H.E.* ii. 30., vol. 2 of *Nicene and Post-Nicene Fathers*, Second Series (*NPNF*, 2nd ser.) (Massachusetts: Hendrickon, 1995), p. 280.

فهناك ذكرى دائمة محفوظة لذلك النوع غير العادي من الموت"[١٤].

وهكذا نرى مدى التزييف الذي استعمله د. زيدان في هذه الرواية، وما زالت هناك بقية. ربما لا يعرف الدكتور زيدان أن الآريوسية كانت قوية جدًا في ذلك الزمان وكان عدد كبير من الأساقفة قد اعتنقوا الآريوسية بالفعل. وقد عقدوا عدة مجامع آريوسية. ومما يدل على ذلك، هو كيف أنهم أثَّروا على الإمبراطور نفسه لكي يضغط على ألكسندروس أسقف القسطنطينية (إسكندر كما يسميه د. زيدان) ليقبل آريوس في الشركة، وتدخل الله في الوقت المناسب كما يفعل دائمًا. وقد كان الإمبراطور يسعى إلى الصلح وليس لأن يُغتال آريوس كما ذكر د. زيدان في الرواية.

[14] Soc. *H.E.* i. 38., vol. 2 of *Nicene and Post-Nicene Fathers*, Second Series (*NPNF*, 2nd ser.) (Massachusetts: Hendrickon, 1995), p. 35.

الفصل الثاني

التزييف في أحداث مجمع نيقية

هل تَرَأس الإمبراطور مجمع نيقية وأملى على الحاضرين قراراته؟

ص٤٩ **هيبا:** ... *بعد مائة عام فقط على المجمع الكنسي العالمي (المسكوني) الذي رأسه هذا الإمبراطور.*

ص٥٢ **نسطور:** *الحقيقة يا هيبا، أنَّ الأمر كله تلبيسٌ. فإبليسُ هو المحرك الرئيسي لكل ما جرى قبل مائة عام في مجمع نيقية. أعني بإبليس، شيطان السلطة الزمانية التي تغلب سَكْرتُها الناس، فينازعون الرب في سلطانه، ويتمزَّعون فيما بينهم، فيفشلون وتذهب ريحهم بَددا. تغلبهم أهواؤهم، فيتحامقون ويخالفون روح الديانة، سعياً لإمتلاك حطام الدنيا الفانية.. ما جرى يا هيبا في نيقية باطلٌ من تحته باطل، ومن فوقه باطل. فالإمبراطور قسطنطين كان متعجلاً لإعلان ولايته على أهل الصليب، حتى أنه لم يصبر على دعوته المسكونية للمجمع، إلى حين اكتمال مدينته الجديدة القسطنطينية، فعقد المجمع في القرية المجاورة نيقية التي كانت، لسوء اختيار موضعها تسمى أيامها: مدينة العميان! وقبلها بعام واحد، كان الإمبراطور يقضي حياته مشغولاً بأمر وحيد، هو تثبيت سلطانه بالحرب ضد قدامى رفاقه العسكريين. ولما انتهى من حروبه إلى الظفر بهم، أراد الظفر بالولاية الدينية على رعاياه، فدعا كل*

رؤوس الكنائس للمجمع المسكوني، وأدار جلساته وتدخل في الحوار اللاهوتي، ثم أملى على الحاضرين من الأساقفة والقسوس القرارات. مع أنه، فيما أظن، لم يقرأ كتاباً واحداً في اللاهوت المسيحي!

مجمع نيقية المسكوني الأول هو أحد الثلاثة مجامع المسكونية التي يؤمن بها كل المسيحيين على اختلاف طوائفهم. وقد اتفق الآباء في هذا المجمع على صيغة قانون إيمان موحد لكل المسيحيين، فيه تأكيد على ألوهية السيد المسيح ومساواته للآب في الجوهر والأزلية، وهذا أساس المسيحية. وكان عددهم ٣١٨، وقّعوا جميعًا على قانون الإيمان ما عدا اثنين فقط. فبأي حق يصفه د. زيدان بهذه الأوصاف الذميمة التي لم نسمعها من قبل؟!

دعا الإمبراطور جميع أساقفة العالم لحضور هذا المجمع لحل النزاع الآريوسي، ومن أجل توحيد ميعاد الاحتفال بعيد الفصح. وهذا الأمر صار مألوفًا في الكنيسة فيما بعد، فالمجامع المسكونية التي عُقدت بعد ذلك كانت كلها بدعوة من الأباطرة بمرسوم منهم، ولم يكن هناك أية معارضة من أحد، كما لم يعتبر أحد ذلك تعديًا من السلطة المدنية على السلطة الكنسية، لا بل اعتبروها دعمًا وسندًا لهم[١٥]. وحسب Ferguson في "موسوعة المسيحية المبكرة" *Encyclopedia of Early Christianity*

---

[١٥] الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، *المجمع المسكوني الأول نيقية الأول (٣٢٥)*، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص١٤٧

"حضر الإمبراطور المجمع ولكنه سمح لأساقفة الشرق أن يترأسوه"[١٦].

عندما دخل الإمبراطور وقف في الوسط ولم يجلس إلا بعد أن أعطوه الأساقفة إشارة تعبر عن رغبتهم في أن يجلس. وهنا يتضح إلى أي مدى قدم الإمبراطور الاحترام والتكريم لأولئك الأساقفة[١٧].

ويذكر المؤرخ Philip Schaff في كتابه المشهور History of the Christian Church نفس الوصف السابق، ويضيف مقارنة بين مشاعر الكنيسة تجاه الإمبراطور في زمن الاستشهاد القريب، ومشاعرهم الآن وهم ينظرون إلى قسطنطين وكأنه ملاك من السماء، **وقد كرموه بالرئاسة الشرفية للمجمع** رغم أنه لم يكن قد تعمد بعد[١٨]. ولكنه رغم ذلك كان يعيش مسيحيًا.

وكما يذكر شاف Philip Schaff فإن الإمبراطور بعد أن ألقى خطابه أخلى الطريق **للرؤساء الكنسيين** للمجمع وبدأ المجمع العمل[١٩].

---

[16] *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Constantine the Great (ca. 285-337" p. 280.

[١٧] الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، *المجمع المسكوني الأول نيقية (٣٢٥)*، ص١٥٥. & Soc. i. 8, vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 9

[18] Phillip Schaff, *History of the Christian Church*, vol. 3, (Michigan: Eerdmans Publishing, 1910), p. 625

[19] Schaff, vol. 3, p. 626.

يذكر لنا أيضًا هيفيليه Hefele [٢٠]ما يلي:

أفسح الإمبراطور المجال لرؤساء المجمع. وقد افتتح الإمبراطور المجمع كنوع من الرئاسة الشرفية، واستمر حاضرًا؛ ولكن إدارة المناقشات اللاهوتية، والكلام بحق، كانت بالطبع هي شأن القادة الكنسيين للمجمع، وقد تُركت لهم.

وعلى الرغم من حضور الإمبراطور المجمع، ورئاسته الشرفية فقط له، لكنه لم يكن له حق التصويت، مما يكفل للمجمع استقلاليته[٢١]. وقد انضم الإمبراطور فورًا إلى الرأي العام ووافق على قانون الإيمان المعروض، عندما لاحظ إجماع الآباء على صيغة قانون الإيمان هذا. واعتبر أن ما وافق عليه هذا العدد الكبير من الأساقفة هو موحى به ومُصَدَّق عليه من الله، ولا يجوز بأية حال الحيدان عنه[٢٢]. وطالب المجمع الإمبراطور، بعد إدانة آريوس، بحرق كتب هذا المبتدع فنفذ قسطنطين مطلبهم[٢٣].

يذكر المؤرخ سقراط[٢٤] (٣٨٠-٤٥٠م) إن بعض الأساقفة قد رأوا أنها فرصة لكي يقدم كل منهم للإمبراطور، ما يلوم به

---

[20] Charles Joseph Hefele, *A History of the Christian Councils*: *To the Close of the Council of Nicaea: A.D. 325* (Edinburgh: T. & T. Clark, 1894), p. 281.

[21] Leo Donald Davis, *The First Seven Ecumenical Councils: (325-787): Their History and Theology* (Minnesota: Liturgical Press, 1983), p. 57; &
الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب ، *المجمع المسكوني الأول نيقية الأول (٣٢٥)* ص١٦٠

[22] Soz. i. 20., vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., p. 255.

[٢٣] الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، ص١٦١.

[24] Soc. i. 8., vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., p. 9; &
الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب ، ص١٥٤.

الآخر في أمور بعيدة عن القضية الأساسية التي هي هرطقة آريوس، فكتب كل منهم ما يريد وحدد لهم الإمبراطور يومًا ليقدم كل منهم اتهاماته. وفي اليوم المحدد استلم منهم هذه الرسائل الموجهة إليه وقال للجميع: "إن لهذه الاتهامات يومًا مناسبًا هو يوم الدينونة العامة، وسيقضي فيها ذاك الذي سيحاكم الجميع. أما أنا، فلست سوى إنسان، ومن غير المسموح به أن أستمع لمثل هذه الأمور، خصوصًا أن المتَهَمين ومتّهِميهم أساقفة... ولتُمحَ كل هذه الاتهامات بالمسامحة المتبادلة ولنعمل جميعًا من أجل الإيمان لهذا السبب نحن مجتمعون هنا". ثم أحرق الشكاوي أمامهم.

انعقد في أنطاكية مجمعًا في بداية عام ٣٢٥م[٢٥] (أي قبل انعقاد المجمع المسكوني بنيقية في حوالي منتصف العام) لانتخاب أسقفٍ لهذه المدينة، فاجتمع ٥٦ أسقفًا. وبعد انتخاب أوسطاثيوس أسقفًا لأنطاكية، ناقش الأساقفة المجتمعون هرطقة آريوس واكتشفوا بل وتأكدوا من تعارضها وابتعادها عن تعاليم الكتاب المقدس، وخروجها عن التقليد الكنسي الرسولي واللاهوتي. فطالبت الأغلبية بإدانة آريوس للمحافظة على وديعة الإيمان سالمة صحيحة. ووقّع الجميع على حرم آريوس ما عدا يوسابيوس القيصري وأسقفين آخرين. وهكذا نرى أن الآباء كانوا قد تأكّدوا من فساد رأي آريوس حتى قبل انعقاد المجمع

[٢٥] الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، *المجمع المسكوني الأول نيقية الأول (٣٢٥)*، ص١٤٨

وفي غياب الإمبراطور. ولكن في نيقية ناقشوا آريوس وجادلوه وشرحوا له الإيمان المستقيم، وأعطوه فرصة لكي يتراجع ولكنه أصرّ على رأيه الفاسد، فحرموه وكل من يقول بقوله وقدموا صيغة أرثوذكسية لقانون إيمان تلتزم به كل كنائس المسكونة.

ونذكر أيضًا ما جاء في كتاب "تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية"، وفي كتاب "المجمع المسكوني الأول، نيقية الأول (٣٢٥)" [٢٦]:

> ثم نهض قسطنطين ورمق الجميع بعين البشاشة ولفظ بصوته العذب خطابًا ممتعًا... فيه حثَّ الجميع على السلام والوئام، مُخَوِلاً إياهم السلطة الشرعية للبت في القضايا المُختَلف عليها، وذلك بتسليمه إليهم خاتمه وصولجانه وسيفه قائلاً إنه أعطاهم سلطانًا على الكنيسة والمملكة كلها، ليفعلوا ما يرونه ملائمًا لنصرة الدين وبنيان المؤمنين.

ولكي ندلل على تقدير نسطور لمجمع نيقية ودفاعه عن قانون إيمان نيقية؛ نلاحظ في أعمال مجمع أفسس ٤٣١م، أن المجمع المضاد برئاسة يوحنا الأنطاكي، الذي كان في ذلك الوقت مواليًا لنسطور، قد اتهم المجمع الأصلي، خطأً، من ضمن عدة اتهامات زائفة، بالآريوسية والانحراف عن الإيمان النيقاوي. مما يدل على احترام

[٢٦] سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، ج١، بيروت ١٩٥٣، ص١٩٧.& الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، *المجمع المسكوني الأول نيقية الأول (٣٢٥)*، ص١٥٠، ١٥١(حاشية).

نسطور وتقديره لمجمع نيقية ولقوانينه، سواء قانون الإيمان أو حرم آريوس، واعتباره الآريوسية هرطقة يتهم بها خصومه (المستقيمي الإيمان في الحقيقة، ونحن بالطبع لا نوافق نسطور على اتهامه القديس كيرلس بالهرطقة ولا نوافقه على ما ذكره هنا ولكننا فقط أردنا أن نُعَرِّف القارئ برأي نسطور في الآريوسية وفي قانون الإيمان النيقاوي عكس ما ذكره د. زيدان). ونذكر هنا ما قاله هيفيلي Hefele بهذا الخصوص:

> ... وقد وافق الاجتماع (مجمع الأنطاكيين [المضاد]) على هذا الاقتراح، ثم أعلن يوحنا الحكم بالطريقة التالية: "يعلن المجمع المقدس المجتمع فى أفسس [يقصد المجمع المضاد] ... لأنكم عقدتم اجتماعًا منفصلاً [هو المجمع الأصلي المسكوني المستقيم الإيمان] له ميل هرطوقى وقح وعنيد.... وملأتم المدينة والمجمع المقدس بالبلبلة، لكي تمنعوا فحص **هرطقاتكم** الأبولينارية و**الآريوسية** والإفنومية، فلتكونوا مقطوعين من الشركة حتى تدركوا خطأكم وتتصلحوا **وتقبلوا من جديد الإيمان النيقاوى** (كما لو كانوا هم أنفسهم خاضعين له!) بدون أية إضافات غريبة"[٢٧].



[27] Mansi, t.iv.p.1259 sqq.; Hardouin, t.i.p.1447 sq, Fuchs, l.c. Bd. iv.S.92 ff. quoted in Hefele, vol. 3, p. 57.

هل كان الإمبراطور قسطنطين لا يعرف اللغة اليونـانية؟

ص ٥٢ **نسطور:** *فالإمبراطور قسطنطين... لم يكن يعرف اللغة اليونـانية التـي كان يحتدمُ بها الحوارُ اللاهوتـي بين الأساقفة فـي نيقية.*

تذكر المراجع أن قسطنطين كانت له دراية باللغة اليونانية[٢٨]. على غير ما قاله د. زيدان على لسان نسطور من أنه يجهلها.

* * *

هل الإمبراطور هو الذي حرم آريوس وتعاليمه وحكَم بهرطقته ليرضي إسكندر (البابا ألكسندروس) أسقف الإسكندرية

٥٣ **نسطور:** *ثم انتصر الإمبراطور للأسقف إسكندر ليضمن قمح مصر ومحصول العنب السنوي، وحَرَمَ الراهب آريوس، وحَرَّم تعاليمه، وحكم بهرطقته كي يرضي الأغلبية من الرعية، ويصير بذلك نصير المسيحية...*

كنسيًا ليس من سلطة الإمبراطور أن يحرم أحدًا. فقد أعطى الله سلطان الحِل والربط للكهنة ورؤسائهم فقط، ولكن الإمبراطور يؤيد الحرم. فكما أوضحنا سلفًا أن الذي حرم آريوس هم

[28] Soc. i. 8., vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., p. 9; Soz. i. 20., vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., p. 255. & الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، ص ١٦٠

الأساقفة المجتمعون في نيقية وكان عددهم ٣١٨. وانحاز الإمبراطور إلى الرأي العام الذي وافق عليه ٣١٦ أسقفًا في البداية ثم أجمع عليه الكل. وقد أصدروا حرمهم بعد أن ناقشوا آريوس وأوضحوا له خطأه. ولكنه أصرّ عليه فحرموه وكل من يقول بقوله. ونذكر هنا نص الحرم الذي ذُيل به قانون الإيمان النيقاوي الذي أصدره المجمع:

"وكل من يقول إنه كان هناك وقتٌ لم يكن فيه ابن الله، أو إنه لم يكن موجودًا قبل ولادته، أو إنه مخلوق (made) من أشياء لم تكن موجودة (أي من العدم)، أو إنه من جوهر مختلف عن جوهر الآب، أو إنه مخلوق، أو إنه قابل للتغير أو التحول، كل من يقول ذلك تحرمه الكنيسة الجامعة الرسولية"[٢٩].

ويتضح من ذلك أن

"الحروم الأخيرة للقانون تهاجم مباشرة الافتراضات الآريوسية.... الحرم الأخير مُوَجَّه ضد عقيدة آريوس في أن الابن كمخلوق، هو قابل للتغير ويبقى ثابتًا في الفضيلة بتدريب الإرادة"[٣٠].

وتأكيدًا لنفس المعنى نذكر ما جاء في الرسالة المجمعية التي أرسلها المجمع لكنيسة الإسكندرية:

[29] Vol. 14 of *NPNF*, 2nd ser., p. 3; Hefele, *A History of the Christian Councils*, pp. 294, 295.

[30] Davis, *The First Seven Ecumenical Councils*, pp. 60, 62, 63.

١- إلى الكنيسة المقدسة والعظيمة -بنعمة الله- التي للإسكندريين، وإلى أخوتنا الأحباء في كل مصر وليبيا والخمس مدن الغربية، يرسل الأساقفة المجتمعون في نيقية، الذين يؤلفون المجمع العظيم المقدس، تحياتهم في الرب.

٣- في المكان الأول اُختبر الإثم وعدم التقوى اللذان لآريوس ومسانديه. وقد تقرر بإجماع الحاضرين أن آراءه الكفرية لابد أن تُحرم مع كل تعبيراته التجديفية. التي استعملها لتأكيد أن ابن الله خرج من لا شيء. وأنه كان هناك وقتٌ لم يكن فيه الابن، وأن ابن الله لأنه يملك حرية الإرادة فهو يستطيع فعل الرذيلة أو الفضيلة[٣١].

وكما رأينا ليس الأمر هو القمح والعنب، ولكن الإيمان المستقيم. وأيضًا أن الذي أصدر قرار حرم آريوس هم الأساقفة وليس الإمبراطور كما ادعى د. زيدان.



[31] Soc.i. 9., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 12; B.J. Kidd, ed., *Documents Illustrative of the History of the Church: 313-461 A.D.*, vol. 2 (New York: Macmillan, 1932), p. 10.

هل حرق قسطنطين كل الأناجيل ما عدا الأربعة المشهورة؟

يردد الدكتور يوسف زيدان نفس الإيحاءات والمعلومات التي أوردها المؤلف "دان براون" في روايته المشهورة "شفرة دافنشي" – التي تم منع توزيعها في مصر بجميع اللغات، وكذلك منع عرض الفيلم الخاص بها، وذلك بقرارات من مجلس الشعب ومجلس الشورى ووزير الثقافة ووزير الإعلام– وذلك بأن الإمبراطور قسطنطين قد أحرق كل الأناجيل ما عدا الأناجيل التي تثبت ألوهية السيد المسيح، فيقول على لسان الراهب المزعوم هيبا:

ص ٥٣ **هيبا:** *"كما أمر الإمبراطور يا أبتِ، بإحراق كتبه وبإحراق كل الأناجيل التي بأيدي الناس، عدا الأربعة المشهورة.."*

ص٣٥٨ **هيبا:** *"انتبهتُ لأمر دقيق. لم يكن مجمع نيقية قبل مائة عام، وإنما كان قبل مائةٍ وستٍ من السنين! الذي كان قبل مائة عام بالضبط، هو اللجنةُ الرهيبة التي شكَّلها الإمبراطور قسطنطين، من القسوس المتشددين، سعيًا منه لإرضاء الأساقفة. كان ذلك سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة للميلاد. اللجنةُ راحت تفتش دور الكتب وتدهم بيوت الناس، لتجمع كتب الفلاسفة والمهرطقين، والأناجيل غير الأربعة المعترف بها، والكتب الدينية المخالفة لما استقر من رأي الأساقفة، والرسائل الغنوصية. كانوا يجمعون كل ذلك في ساحات المدن والقرى، ويحرقونه علناً، مهددين من يخفي هذه الكتابات الممنوعة، بالويل.. الويل".*

بالرجوع إلى المراجع العالمية المشهورة[*] لم نجد أي أثر لمثل هذا الحدث الذي اخترعه د. زيدان، ولا حتى أي تلميح لتكوين لجنة أو إحراق أية أناجيل أو كتب لفلاسفة أو غنوسيين. لم يُذكر عن قسطنطين إلاَّ إحراقه لكتابات آريوس الهرطوقي الذي أدانه مجمع نيقية المسكوني الأول ٣٢٥م، وحَرَمَه هو وكتاباته.

عانت الكنيسة في عصور الاضطهاد التي مرت عليها، من إبادة وإتلاف أعداد خيالية من الكتب المقدسة. وبالأخص في عصر داكيوس (٢٤٩- ٢٥١م) ودقلديانوس (٣/٣٠٢ – ٣٠٥م) وحتى صدور مرسوم ميلان للتسامح الديني ٣١٣م، ولكن ما زالت بين أيدينا الآن نسخ كاملة من المخطوطة الفاتيكانية والمخطوطة السينائية والمخطوطة الإسكندرانية للكتاب المقدس كاملاً. والنسخة الفاتيكانية[٣٢] تحوي الترجمة السبعينية لأسفار العهد القديم بالإضافة للعهد الجديد. والمفقود منها قليل جدًا. وهي محفوظة في مكتبة الفاتيكان وكُتبت ما بين (٣٢٥ –٣٥٠م) ويوجد لديَّ شخصيًا نسخة طبق الأصل منها. أما المخطوطة السينائية[٣٣] (٣٤٠م) فمحفوظة في المتحف البريطاني وتحوي

[*] Soc. i. 9, vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., p. 14; Soz. i. 21, vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 255. Hefele, *A History of the Christian Councils*, p. 297. Schaff, vol. 3, pp. 11-37. *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. “Constantine the Great (ca. 285-337)” pp. 280, 1. *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. “Constantine 1” ‹p. 193. Wace and Piercy, *A Dictionary of Christian Biography*, pp. 203-212. Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, s.v. “Constantine the Great (ca. 274/ 280-337)”, pp. 255,6.

[32] Norman L. Geisler and William E. Nix, *A General Introduction to the Bible: Revised and Expanded* (Chicago: Moody Press, 1986), p. 390.

[33] Geisler and Nix, p. 392.

أيضًا معظم العهد القديم حسب الترجمة السبعينية والعهد الجديد كله. والمخطوطة الإسكندرانية[٣٤] (٤٥٠ م) وتحوي العهد القديم كله مع استثناءات بسيطة ومعظم العهد الجديد وهي محفوظة في المكتبة الوطنية للمتحف البريطاني. ولديَّ شخصيًا أيضًا النسختين السينائية والإسكندرانية على أقراص مُدمجة.

ولمزيد من المعلومات عن الأناجيل الحقيقية فإننا نذكر على سبيل المثال أنه في متحف بودمر (Bodmer) بجنيف بسويسرا؛ توجد أقدم نسخة في العالم من إنجيل يوحنا (من منتصف القرن الثاني الميلادي) على بردية باللغة اليونانية مُرقمة دوليًا (Papyrus 66). وكذلك أقدم نسخة من إنجيلَيّ لوقا ويوحنا معًا (ما بين ١٧٥-٢٢٥م) على بردية باللغة اليونانية مُرقمة دوليًا (Papyrus 75) ولدينا نسخة رسمية من كل منهما، وقد اكتُشفت هذه النسخ من الأناجيل في القرن العشرين في دشنا ونجع حمادي بصعيد مصر. وهي مطابقة لما بين أيدينا الآن من هذه الأناجيل [انظر صور من البرديات (66)، (75) للأناجيل في ملحق الصور].

عرفنا كما مرّ أن آباء مجمع نيقية طلبوا من الإمبراطور حرق كل كتب آريوس الهرطوقية. ولماذا يثير هذا الأمر غضب د. زيدان إلى هذه الدرجة؟ فحرق الكتب الآريوسية هو أمر طبيعي يتمشى مع وضع القوانين التي تحدد تعريف الإيمان ولا يقل أهمية عنه. ولكن توجد رسائل للقديس ألكسندروس موجَّهة

[34] Geisler and Nix, p. 394.

إلى آريوس تحمل تعاليم آريوس للرد عليها، وكذلك كتابات القديس أثناسيوس للرد على الآريوسية CONTRA ARIANS. وبذلك فإن تعاليم آريوس لم تختفِ بإحراق أغلب نسخ كتبه.

يفتخر هيبا بطل الرواية بأن في حوزته عددًا لا بأس به من الكتب الممنوعة، وهي كتابات غنوسية قد حرمتها الكنيسة لاحتوائها على خرافات الفلسفات الوثنية. ويسمي بعضها فيتضح أن من بينها إنجيل يهوذا. وهذا الإنجيل غنوسي، وسوف أعرض لك عزيزي القارئ بعضًا مما جاء فيه من الخرافات، إذ أنني أيضًا كنت قد حرصت أثناء سفري للخارج أن أقتني عدة نسخ للترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا[٣٥]، (وها قد حانت الفرصة لاستخدامها. انظر ملحق الصور) وإليك بعض مقتطفات من هذا الكتاب الغريب، من الصفحات: ٣٩،٣٨،٣٧,٣٦ (أرقام الصفحات حسب الترجمة الإنجليزية، وما بين الأقواس{ } وُضع لتوضيح الترجمة من الإنجليزية):

يدعو{كلٌ من} الآب والـ ٧٢ المنيرين الذين مع المولود من ذاته{الذي خلق نفسه} وأيوناته الـ٧٢، {يدعون} خضم هؤلاء الغير مائتين، بالكوزموس {الكون} أي الهلاك(١٠٧).

فيه {أي في الكوزموس} ظهر الإنسان الأول مع قواته {سلاطينه} الغير قابلة للفساد. والأيون الذي ظهر مع ولادته، الأيون الذي فيه سحابة المعرفة (gnosis) والملاك، يدعى إيل [...] أيون [...] وبعد ذلك [...] قال، فليُخلق ١٢ ملاكًا

[35] Rodolphe Kasser, Marvin Meyer, and Gregor Wurst, eds, *The Gospel of Judas* (Washington D.C: National Geographic Society, 2006), pp. 36, 37, 38, 39.

ليسيطروا على chaos (الشواش) والعالم السفلي. وانظر، من السحابة هناك ظهر [ملاك] وجهه يتوهج بالنار، وشكله مُشَوَّه {مُنَجَّس} بالدم. اسمه نِبرو(١١١) الذي يعني "المتمرد"(١١٢) وآخرون يسمونه يالداباأوث(١١٣) Yaldabaoth. ملاك آخر، ساكلاس(١١٤)، أتى أيضًا من السحابة وهكذا خلق نِبرو ستة ملائكة –بالإضافة إلى ساكلاس– ليكونوا مساعدين، وهؤلاء خلقوا ١٢ ملاكًا في السموات، مع كل واحد يتقبل قسمًا {جزءًا} في السموات.... ثم قال ساكلاس لملائكته، فلنخلق إنسانًا على الشبه والصورة. جبلوا آدم وزوجته حواء، التي تُدعى، في السحابة، زوئي Zoe. لأنه بهذا الاسم تقصد كل الأجيال الإنسان، وكل منهم يدعو المرأة بهذه الأسماء. الآن، ساكلا لم يأ[مر...] إلا[...] الأجـ[يال...] هذا [...]. وقال [الحاكم] لآدم، "سوف تعيش طويلاً، مع أطفالك".

(انظر النص باللغة الإنجليزية في صور صفحات من كتاب الترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا، في ملحق الصور)

حاشيات للمترجم صـ ٣٧ في الترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا بنفس أرقامها في النص الإنجليزي:

حاشية رقم (١٠٧): الكون الذي لنا بعكس المملكة الإلهية العُليا، مُعَرَّض للاضمحلال ومن ثم يمكن أن يسمى عالم الهلاك.

حاشية رقم (١١١): في "الكتاب المقدس للروح العظيمة الغير مرئية" ٣: ٥٧ نِبروايل Nebroel هي شيطانة عظيمة تتزوج

ساكلاس وتنتج ١٢ أيونًا. انظر أيضًا دور نِبروايل في النصوص المانوية. هنا الاسم نِبرو يُعطى بدون اللاحقة التكريمية "إيل" (أيضًا "الله" في العبرية، انظر الاسم إيل أعلاه). في "الكتاب السري ليوحنا" ٢ :١٠، الخالق يالداباأوث له شكل أفعى بوجه أسد، وعينيه مثل صواعق {متوهجة}. في "الكتاب المقدس للروح العظيمة الغير مرئية" ٣: ٥٦-٥٧، حكمة المادة {أو الجسد} دموية {وحشية} الشكل: "سحابة {تدعى} حكمة المادة ظهرت.... {هي} عاينت مناطق (الشواش chaos)، ووجهها يشبه... في شكلها... دم".

حاشية رقم (١١٢): أو، "المرتد" (قبطي، من اليوناني، apostates). تُشتق كلمة نِبرو على الأغلب من نِبرود في تكوين ١٠ : ٨- ١٢ (انظر أخبار الأيام الأول١: ١٠) من السبعينية، حيث نِبرود (وبالعبري نِمرود) تعكس التقليد لوجه أسطوري معروف في الشرق الأوسط القديم. الكلمة نِمرود ربما تكون مرتبطة بالكلمة العبرية لكلمة "متمرد" {أو عاصي}.

حاشية رقم (١١٣): يالداباأوث Yaldabaoth هو الاسم الشائع للخالق في Sethian texts ربما تعني يالداباأوث: "طفل الشواش child of chaos" أو، أقل احتمالاً، "child of (S)abaoth" في الآرامية.

حاشية رقم (١١٤): ساكلاس (أو ساكلا، كما في إنجيل يهوذا ٥٢) هو اسم آخر شائع للخالق في Sethian texts . Saklas (Sakla) تعني "أحمق – fool" في الآرامية.

هاجم القديس إيريناوس أسقف ليون (١٢٠-٢٠٢م) في كتابه "ضد الهرطقات" -الذي كتبه ما بين ١٨٢ و١٨٨م أي في القرن الثاني الميلادي- "إنجيل يهوذا" المزعوم. وذلك بعد أن استفاض في شرحه لتخاريف الغنوسيين المخزية. ذكر فيه[٣٦] آراء الغنوسيين عن يالداباأوث: إنه الابن الأول للأم، وإنه بدوره تحدَّر منه "ياأو" الذي تحَدَّر منه "صاباأوث" إلخ.. إلى ستة بعده. تشاجر معه أولاده هؤلاء بخصوص السلطة العليا.. مما سبب له الحزن واليأس. صار له ابن اسمه "نوس" {νους} أي العقل، لَفَّ أو بَرم نفسه في شكل حية ومن ثَم تَحَدَّر منه الروح والنفس! فارتفعت معنويات يالداباأوث وقال: "أنا الأب وأنا الله وفوقي ليس آخر". ولكن أمه عندما سمعت ذلك صرخت فيه قائلة: "لا تكذب يا يالداباأوث لأن أب الكل الإنسان الأول هو أعلى منك وهكذا الإنسان ابن الإنسان".... قال يالداباأوث "تعالوا، فلنصنع الإنسان على صورتنا".

وأيضًا من ضمن هذه الخرافات الغير منسجمة، يقول القديس إيريناوس إن هؤلاء الغنوسيون يقولون إن الإلهة الأم الحكمة

[36] St. Irenaeus, *Adv. haer*. i. 30., vol. 1 of *Ante-Nicene Fathers* (*ANF*) (Massachusetts: Hendrickon, 1995), pp. 355-8.

(sophia) اخترعت بمكر خطة لخداع آدم وحواء عن طريق الحية، لكي يتعديا على وصية يالداباأوث. يالداباأوث بدوره طرد آدم وحواء من الفردوس لأنهم تَعَدَيا وصيته. كان يالداباأوث يرغب في أن ينجب أولادًا من حواء، ولكنه لم يتمكن من تحقيق رغبته، لأن أمه قاومته من كل وجه. وفي الخفية أفرغت أمه، آدم وحواء من النور الذي كان منثورًا عليهما، وذلك لكي لا يشترك هذا الروح المنبثق من القوة العليا، في اللعنة والخزي الذي سببهما التعدي. ويُعَلِّم الغنوسيون أيضًا بأنه لكونهما (أي آدم وحواء) قد تفرَّغا من الجوهر الإلهي، فقد لُعنا منه (أي من يالداباأوث) أيضًا وطُردا من السماء إلى هذا العالم. والحية التي كانت تعمل ضد الأب طردها إلى هذا العالم السفلي. يالداباأوث مرة أخرى، أغاظه البشر لأنهم لم يعبدوه ولم يكرموه كأب وكإله، فغضب وقرر أن يبيد العالم كله. ولكن قاومته الحكمة sophia في هذه النقطة أيضًا، وأنقذت نوح وعائلته بالفلك؛ بواسطة انتشار هذا النور الذي ينبثق منها. ومن خلاله (أي نوح) امتلأ العالم مرة أخرى بالبشر. اختار يالداباأوث إنسانًا معينًا من البشر اسمه إبراهيم، وأقام معه عهدًا. وتستمر القصة المعروفة عن موسى والأنبياء وفي كل هذا يأخذ يالداباأوث دور الله في العهد القديم. ولكي لا أطيل عليك عزيزي القارئ، تستمر الخرافات إلى أن يذكر القديس إيريناوس إنهم يقولون إن "المسيح يجلس عن يمين أبيه يالداباأوث"!

يقول القديس إيريناوس عن شيعة أخرى من الغنوسيين اسمها القايينيون Cainites نسبة إلى قايين أخي هابيل:

> يقولون إن قايين تلقى كينونته من القوة العليا، وإن عيسو وقورح والسادوميين وكل من هم على شاكلتهم، لهم علاقة ببعضهم. ويعلنون أن يهوذا الخائن مُلِمٌ بدقة بهذه الأمور، ولأنه وحده يعلم الحقيقة التي لا يعلمها غيره، فقد نَفَّذَ أُلْغُوزَةَ الخيانة؛ وطُرحت بواسطته كل الأشياء، الأرضية والسمائية، إلى التشوش (الالتباس). **لقد صنعوا تاريخًا خياليًا (زائفًا) من هذا النوع، لَقَّبوه "انجيل يهوذا"**"[٣٧].

يقول القديس إيريناوس أيضًا إنه "من المستحيل أن تكون الأناجيل أكثر أو أقل من أربعة[٣٨]" ويشرح باستفاضة دلالة الرقم "أربعة". ويُعَقِب بأن الله الكلمة نفسه أعطانا الإنجيل في أربعة صور، ولكن هذا الإنجيل يحييه روح واحد[٣٩].

كانت هذه نبذة عن كتابات الغنوسيين من مصدر قديم، حاولتُ أن تكون مختصرة بقدر الإمكان؛ لكي تستطيع معي عزيزي القارئ أن تتخيل ماهية هذه الكتب التي يتباكى عليها د. زيدان ويبالغ في تصوير حزنه على حرقها الذي لم يحدث إلاَّ في خياله فقط.



[37] Iren. i. 31., vol. 1 of *ANF*, p. 358.
[38] Iren. iii. 11., vol. 1 of *ANF*, p. 428.
[39] Iren. iii. 11., vol. 1 of *ANF*, p. 429.

مجمع أنطاكية ٣٤٢م

بمناسبة افتتاح الكنيسة الذهبية المثمنة في أنطاكية

يقول د. زيدان إن الإسكندرية انتصرت في هذا المجمع، ولكن الحقيقة هي عكس ذلك كما سنرى:

ص٥٥ **نسطور:** *خاصةً بعدما اجتمع الأساقفةُ بعد وفاة آريوس بخمس سنين، في أنطاكية، أيام مجمع التدشين. وصاغوا بياناً قالوا فيه بوضوح، فاضح، إننا لم نكن يومًا من أتباع آريوس، إذ كيف يعقل ونحن أساقفة أن نسير وراء كلام قَسّ!.. وهكذا انتصرت الإسكندرية.*

وفي الحاشية يذكر د. زيدان:

هو المجمع الذي انعقد بانطاكية سنة ٣٤٢ بمناسبة افتتاح الكنيسة الذهبية المثمنة. (المترجم).

هذا المجمع عُقد عام ٣٤١م وليس كما يذكر د. زيدان ٣٤٢م. وعُقد أثناء تدشين الكنيسة العظيمة في أنطاكية المعروفة باسم الكنيسة الذهبية، التي بدأها قسطنطين الكبير وأُكملت في عهد ابنه قسطنتيوس. ولذلك عُرف المجمع دائمًا باسم مجمع٣٤١م أو مجمع التدشين. حضره ٩٧ أسقفًا وكان التأثير الأقوى فيه لليوسابيين الذين كانوا في عداوة مع القديس أثناسيوس وهم (أنصاف الآريوسيين) بقيادة يوسابيوس النيقوميدي ويوسابيوس القيصري. وكل أعضائه شرقيون وأغلبهم يتبعون الكرسي الأنطاكي. وهذا المجمع في بعض قراراته اتهم القديس أثناسيوس الرسولي تهمًا باطلة وقرر عَزْله.

ويشهد بذلك كل من سقراط وسوزومين[٤٠] بقولهما "إن عزل أثناسيوس جاء أولاً ثم أُصدرت القوانين". ذلك لأنهم عزلوه بناءً على قوانين لم يكونوا قد أصدروها بعد ولكنهم أصدروها بعد عزله! والتي ينص أحدها وهو القانون الرابع، على أن "الأسقف الذي يعزله المجمع... يسقط من رتبته كليًّاً إذا تجاسر وخدم الكهنوت، بل يفقد حق الاحتجاج في مجمع آخر، ويُبعد من شركة الكنيسة من يشترك معه أيضًا" ووضعوا قانونًا آخر قصدوا به مناوءة القديس أثناسيوس هو القانون الحادي عشر "ويقضي بعزل الأسقف.. الذي يرفع دعواه إلى الملك بدون تفويض من أساقفة تلك الولاية.. وإبعاده عن شركة الكنيسة"[٤١].
وهكذا فعلى حد قول المؤرخ سقراط إنهم "أدانوا أثناسيوس في المقام الأول بأنه تصرَّف ضد قانون أصدروه بعد ذلك إذ أنه استرد سلطته الأسقفية بدون إذن مجمع عام من الأساقفة "[٤٢].
وقد لام البابا يوليوس بابا روما المجمع النصف آريوسي لعزله أثناسيوس، داعيًا إلى مجمع عام للاستعلام عن التُهم الموجهة ضد القديس[٤٣]. في هذا المجمع ٣٤١م تم تعيين غريغوريوس الكبادوكي أسقفًا على الإسكندرية بدلاً من أثناسيوس. وأمروا في هذا المجمع وبتأييد الإمبراطور أن يُثَبَّت غريغوريوس بقوة

---

[40] Soc. ii. 8-10., vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., pp. 38, 39, 40; Soz. iii. 5., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 285.

[٤١] سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، الجزء١. ١٩٥٣م، ص٢٢٠، ٢٢١.

[42] Soc. ii. 8., vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., p. 38.

[43] *The Synod of Antioch in Encaeniis: A.D. 341*, vol. 14 of *NPNF,* 2nd ser., p. 106.

الحكومة[٤٤]. وقد ذكروا فعلاً ما ذكره د. زيدان، ولكن كان ذلك خداعًا منهم إذ هم يُدعَون بالنصف آريوسيين، لأنهم يتحاشون دائمًا القول بمساواة الابن للآب في الجوهر والأزلية. وفي هذا المجمع تحديدًا وحسب ما ذكر سوزومين، وضعوا:

> تعبيرات غامضة بحيث لا يستطيع سواء الآريوسيون أو أتباع قوانين مجمع نيقية أن يجدوا عليهم مأخذًا. وتحاشوا (مغرضين) التعبيرات المرفوضة من الجانبين... ولكنهم لم يصفوا عقيدة الابن بكونه مساوٍ للآب في الجوهر والأزلية أو العكس"[٤٥].

أي أنهم في الحقيقة لم يؤمنوا بألوهية الابن ومساواته للآب في الجوهر والأزلية.

يتضح مما سبق أن د. زيدان يُطَوِّع الأحداث التاريخية لكي تخدم أهدافه الخاصة في الكتابة. فيُظهر تعاطفًا مع آريوس، ويقول *"وهكذا انتصرت الإسكندرية"*، على الرغم من أن المجمع المذكور كان مجمعًا نصف آريوسي وقرر عزل البابا الإسكندري ظلمًا كما ذكرنا شهادة المؤرخين بذلك. ولكن د. زيدان يحاول دائمًا ولا يُفَوّت أية فرصة لكي يُشَوِّه بالتزييف صورة الإسكندرية! وقد تَعَمَّد إخفاء حقيقة يعرفها جميع اللاهوتيين وهي ما يسمى بدعة النصف آريوسيين التي قادها يوسابيوس القيصري أسقف

---

[44] Soz. iii. 5, vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., p. 285.
[45] Soz. iii. 5, vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., p. 285.

قيصرية ويوسابيوس النيقوميدي أسقف نيقوميدية. فقد سادت الآريوسية الإمبراطورية الرومانية ولكن في صورة مخففة هي ما يسمى بالنصف آريوسية التي تنادي بأن "الابن مشابه للآب في الجوهر" وليس" مساوٍ للآب في الجوهر"[٤٦]. وقد عانى القديس أثناسيوس مُرّ المعاناة من اليوسابيين الذين كرهوه وأرادوا تحطيمه؛ فهم الذين تسببوا في الحكم بنفيه خمس مرات تم تنفيذ أربع مرات منها، وذلك بما كان لهم من دهاء ومكر وأيضًا نفوذ عند الإمبراطور قسطنطين ومن خلفوه. وهذا المجمع الذي نحن بصدده هو دليل على ذلك. بل وعلى سبيل المثال أيضًا نذكر مجمع صور (٣٣٥م) برئاسة يوسابيوس القيصري المؤرخ[٤٧]؛ الذي أدان وعَزَل القديس أثناسيوس من أجل اتهامات زائفة أظهرت العناية الإلهية، على حد تعبير المؤرخ سقراط، براءة أثناسيوس منها[٤٨].



[46] Schaff, vol. 3, p. 635.
[47] Hefele, vol. 2, p. 19.
[48] Soc. i. 27- 32., vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., pp. 29-32.

هل كانت الملكة هيلانة في بدايتها ساقية في مواخير الرُها؟

ص ١٨٤ **نسطور:** *هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين، كانت في ابتداء أمرها ساقيةً في مواخير الرٌّها..*

لم نجد في أي المراجع[*] أية إشارة لهذا الأمر، وما ذكرته المراجع هو إنها من أصل متواضع أي ليست من سلالات الأباطرة أو الولاة. ولكن لم يذكر أحد إنها كانت ساقية في مواخير الرها!

والثابت المعروف عند آباء الكنيسة، إن هيلانة كانت ابنة قسيس سرياني من قرية فجي بجوار الرُها. وكانت جميلة الخُلق والخَلق. إنسانة تقية تحب الصلاة والصوم وكان لها تأثير كبير في حياة ابنها قسطنطين. فبتأثيرها منح المسيحيين حرية تامة مثلما فعل أبوه. ويُذكر لها سعيها في البحث عن خشبة الصليب المقدسة حتى وجدتها. وشيدت العديد من الكنائس العظيمة والجميلة في القدس وفي بلاد عديدة[٤٩]. "أما الأماكن المقدسة فجادت عليها هيلانة بأموال جزيلة، وبنت كنيسة القيامة العظيمة وغيرها. وبذلت مالاً كثيرًا على أهل

---

[*] Soc. i. 27, vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., pp. 21, 22; Soz. ii. 2., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 259. *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. " Helena (ca. 250-ca. 330)" pp. 515,16. *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Helena" p. 371. Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, s.v. " Helena (ca. 248-ca. 327)" p.458.

[٤٩] سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، الجزء الأول ١٩٥٣م، ص١٨٠ ،١٨١، ٢٠٥، ٢٠٧. & قداسة مار إغناطيوس افرام الأول برسوم بطريرك انطاكية للسريان الأرثوذكس، *الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة*، المجلد الأول، ١٩٤٠م، ص٤٤٥،٤٤٤ ،٤٤٦.

البؤس، وصارت للنساء مثالاً يحتذى في الوداعة واللطف، وأعدت بيديها طعامًا للعذارى المتزهدات والفقراء"[٥٠].

وقد ذكرت المراجع العالمية[*] أيضًا نفس هذا الكلام.

ومن ضمن الكنائس الجميلة التي شيدتها، كنيسة القديسة الشهيدة دميانة ببراري بلقاس بمصر حيث قامت ببناء مقبرة فخمة للشهيدة دميانة والعذارى الأربعين، وطلبت من البابا ألكسندروس، بابا الإسكندرية التاسع عشر أن يقوم بتدشينها، فقام بذلك يوم ١٢ بشنس (٢٠ مايو) في أوائل القرن الرابع الميلادي[٥١].

---

[٥٠] سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، الجزء الأول ص ٢٠٨.

[*] Soc. i. 27., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 22; Soz. ii. 2., vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 259. *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. " Helena (ca. 250-ca. 330)" pp. 515,16. *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Helena" p. 371. Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, s.v. "Helena (ca. 248-ca. 327)" p.458.

[٥١] مخطوط سيرة القديسة دميانة بديرها العامر بالبراري، مخطوط رقم (٧٢٦٣١) وتاريخ نسخها ١٧٣٢م، ومخطوط رقم (٧٢٥٥٥) وتاريخ نسخها ١٧٨١م، واللتان نقلتا عن المخطوطة التي كتبها الأنبا يوحنا أسقف البرلس - نقلاً عن مخطوطة أقدم منها- في القرن السادس في زمن البابا دميانوس الـ٣٥ (٥٦٣- ٥٩٨م).

الفصل الثالث

هل هدم البابا ثيئوفيلس معبد سيرابيوم على رؤوس الوثنيين المعتصمين فيه؟

هنا يتضح إلى أي مدى زيّف د. زيدان الحقيقة، فقام بتبديل الأدوار بحيث جعل المسيحيين يقومون بما فعله الوثنيون والعكس. فقد قال إن البابا ثيئوفيلس هدم معبد سيرابيوم على رؤوس الوثنيين، والحقيقة كما سوف نرى، هي أن الوثنيين هم الذين عذّبوا المسيحيين وقتلوهم والعجيب إن هذا حدث داخل معبد سيرابيوم نفسه! بل أن الوثنيين تركوا المعبد وهربوا قبل أن يدخله البابا ثيئوفيلس.

ص٧١، ٧٢ **هيبا:** *مررتُ بجماعة من رجال الكنيسة يتجهون شمالاً، وحولهم عمالٌ يحملون معاول. كان العمال يردّدون خلفهم: باسم يسوع الإله الحق، سنهدم بيوت الأوثان، ونبني بيتاً جديداً للرب"..."إنه تمثال الإله كانوا يسمونه سيرابيس، وقد استبقاه أسقف الإسكندرية السابق ثيوفيلوس من معبد السرابيون الكبير، بعدما هدمه علي رؤوس الوثنيين المعتصمين فيه.*

ص ١٥٢ **البابا كيرلس:** *يريدون إعادة بيت الأوثان الكبير الذي انهدم على رؤوسهم قبل سنين.*

هجوم على البابا ثيئوفيلس وشدة محاربته الوثنية:

ص١٤١ **هيبا**: *لم أخبره بما أعرفه من أنهما كانا يرفضان أفكار الأسقف ثيئوفيلوس وأعماله العنيفة، وأن بينهما رسائل متبادلة في ذلك. مع أنهما كانا في شبابهما من تلامذته، وكانا يعتقدان أنه يحارب الوثنية التي حاربت المسيحية طويلاً، ولما وجداه يطيل حربه إلى ما لا نهاية، نفرا منه واجتنباه.*

لم تذكر المراجع أية إشارة من قريب أو من بعيد لتورط القديس ثيئوفيلس في قتل أي أحد من الوثنيين[٥٢]. وسنرجع إلى مؤرّخيْن معروف عنهما في تاريخ علم الباترولوجي عدم الارتياح للقديس ثيئوفيلس بل ومعاداته أحيانًا، وهما سقراط وسوزومين[٥٣]. لو كانت هناك أدنى شبهة على القديس ثيئوفيلس لكان هذان أول من ذكرا ذلك. خاصة أنهما في أحداث أخرى تكلما عنه بعداء شديد.

المؤرخ سقراط [٥٤] Socrates (**٣٨٠-٤٥٠م**):

كتب سقراط مؤرِّخًا للفترة ما بين ٣٠٥ و٤٣٩م. وفي وصفه لواقعة معبد سيرابيوم التي حدثت ٣٩١م، حكى أن القديس ثيئوفيلس بعد أن حصل على تصريح من الإمبراطور بهدم معابد الأوثان في الإسكندرية وبناء الكنائس على أنقاضها، وإن كان

---

[52] Theod. *H.E.* v. 22., vol. 3 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 147-8; *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Theophilus. Patriarch of Alexandria" p. 831; Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 100; Wace and Piercy, *A Dictionary of Christian Biography*, pp. 982-3.

[53] *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Theophilus. Patriarch of Alexandria" p. 831.

[54] Soc. v. 16., vol. 2 of *NPNF,* 2nd ser., p. 126. ; Wace and Piercy, *A Dictionary of Christian Biography*, pp. 982-3.

سوزومين قد صحح تلك المعلومة بقوله إن الإمبراطور منح البابا ثيئوفيلس –بناء على طلبه– معبد ديونيسيوس لكي يقيم مكانه كنيسة. ويكمل سقراط بأن البابا أخذ الرموز التي كانت تُستخدم في عبادة سيرابيس وغيره من الآلهة الوثنية، وفضحها وأظهر خزيها أمام العامة وكل الشعب في السوق (Agora)، ليوضح لشعبه مدى فساد هذه العبادة الشيطانية. لم يحتمل الوثنيون وبالذات أساتذة الفلسفة هذه الفضيحة، فغضبوا جدًا وتآمروا فيما بينهم على أن يثأروا لكرامتهم بطريقة أكثر وحشية تفوق بكثير كل ما اقترفوه سابقًا. فاتفقوا فيما بينهم على علامة معينة ليسهل تجمعهم في وقتٍ واحد، ثم انقضّوا مثل المجانين المسعورين بنفس واحدة على المسيحيين وقتلوا كل من صادفهم منهم.

حاول المسيحيون الأبرياء الدفاع عن أنفسهم فلم يفلحوا، إذ أن عنصر المباغتة مع الهيجان والثورة العنيفة لم يمكّناهم من ذلك. فقبض الوثنيون على عدد كبير من المسيحيين وجروهم بعنف شديد وبسرعة إلى داخل معبد سيرابيوم الذي كان أشهر معقل للوثنية في ذلك الحين، وحاولوا إجبارهم على تقديم الذبائح للأوثان. فلما رفضوا عذبوا البعض بعذابات أليمة وقتلوا البعض الآخر.

عندما بلغ الأمر حاكم الإسكندرية أسرع إلى معبد سيرابيوم وطلب من الوثنيين أن يتركوا أسلحتهم ويستسلموا، ولكن دون

جدوى. وهكذا لم يتوقف الوثنيون إلاّ بعد أن شعروا بالارتواء من رؤية كثرة دماء المسيحيين.

اسمح لي عزيزي القارئ أن أُذَكِّرك أن الوصف هنا للمؤرخ سقراط الذي لم يكن يحب البابا ثيئوفيلس. وهذا الكلام مثبت في المراجع العالمية المشهورة الموجود بيانها في الحاشية على صفحة ٦٢، ولا يستطيع أحد أن ينكره.

في هذه الأثناء وصل منشور من الإمبراطور يأمر بهدم كل معابد الأوثان. اضطر الوثنيون إلى ترك المعبد بعد أن سمعوا المنادي ينادي بصوت عالٍ بنص المنشور وعلا أيضًا صوت هتاف المسيحيين بالفرح.

قام البابا ثيئوفيلس ومعه مجموعة من الجنود، وسط تهليل المسيحيين وذهول الوثنيين، بصعود المائة درجة من الدرَج المؤدي إلى تمثال سيرابيوم. وكان بعض المسيحيين البسطاء قد صدقوا كلام أوليمبيوس الفيلسوف المعروف الذي كان أشد الثائرين المعاندين للحاكم والذي ادّعى أنه سمع في الليلة السابقة صوت ترتيل يأتي من هيكل سيرابيوم يقول هلليلويا. لذلك فعندما وصل البابا ثيئوفيلس إلى التمثال الضخم، أمر الجندي الذي كان بيده فأسًا أن يضرب عنق التمثال بقوة ففعل الجندي. وعندئذٍ انفصلت الرأس عن جسم التمثال، وخرج عدد كبير من الفئران كانت تسكن في إله المصريين! فرح المسيحيون وازداد هتافهم وكسروا جسم التمثال الخشبي ثم أحرقوه. أما رأسه فوضعت في

مكان عام ليراها كل الشعب. وبعدها بدأ تنفيذ أمر الإمبراطور بهدم معابد الأوثان. وقد اعتاد الوثنيون أن يقولوا إن معبد سيرابيوم هو أجمل معبد في العالم. بل وسادت بينهم بعض الخرافات، التي منها أنه لو مشى أحد بجوار تمثال الإله سيرابيوم سيحدث زلزال يؤدي إلى موت كل الناس. ولذلك أراد البابا ثيئوفيلس أن ينقذ شعبه من هذه الضلالات.

خاف الوثنيون بعد ذلك من غضب الإمبراطور وتوقّعوا أن يُنزل بهم أشد العقوبات، بسبب ما فعلوه بالمسيحيين، فهربوا إلى أماكن متعددة ومتفرقة في البلاد وترك الكثيرون منهم الإسكندرية.

المؤرخ سوزومين Sozomen[٥٥]:

كان معاصرًا لسقراط ولا يُعرف على وجه التحديد تاريخ ولادته أو موته. لكن من المعروف أنه أرَّخ للفترة ما بين٣٢٤ و ٤٣٩م وقد دوَّن ما كتبه ما بين ٤٣٩ و٤٥٠م.

ذكر سوزومين كل ما ذكره سقراط وأضاف بعض التفاصيل. فأكد أولاً أن هجوم الوثنيين العنيف على المسيحيين وتعذيبهم وقتلهم كان داخل معبد سيرابيوم نفسه. ويذكر أن المسيحيين الذين رفضوا التضحية للأوثان، صَلَب الوثنيون بعضهم وكسروا سيقانهم وقتلوا البعض الآخر بطريقة لا تتفق مع الإنسانية. وذلك بعد أن حاصروا المعبد من الخارج ومنعوا أي اتصال بالذين في

[55] Soz. vii. 15., vol 2 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 385-6.

الداخل. حاول رئيس الجيش رومانوس وإيفاجريوس حاكم الإسكندرية أن يُذَكِّراهم بما تنص عليه القوانين، وأن يسلِّموا أسلحتهم ويخرجوا من المعبد ولكن دون فائدة. فلما لم يُجدِ معهم الكلام نفعًا أبلغا الإمبراطور. وكان رد فعل الإمبراطور طيبًا جدًا، إذ أنه اعتبر المسيحيين الذين قُتلوا وتعذبوا أنهم شهداء، وفي نفس الوقت سامح الوثنيين المعتدين، ربما يشجعهم هذا على اعتناق المسيحية دين التسامح. ولكنه أصدر منشورًا يقضي بضرورة هدم كل معابد الأوثان في الإسكندرية. وعندئذ هرب الوثنيون وتركوا المعبد فأخذه المسيحيون وبنوه كنيسة.

من هذا السرد الواضح للتاريخ بواسطة سقراط وسوزومين أقرب المؤرخين لهذه الأحداث، يتضح أن الإمبراطور هو الذي أمر بهدم معابد الوثنيين بالإسكندرية بعد المذبحة البشعة التي فعلوها ضد المسيحيين في معبد سيرابيوم.

الفصل الرابع

هل حرّض القديس كيرلس الشعب
على قتل هيباتيا؟

جماعة محبي الآلام ومقتل جورج الكبادوكي الآريوسي

مقتطفات من مقال "إعادة تقييم هيباتيا الإسكندرية" لـــ بريان ويتفيلد Bryan J. Whitfield

الدفاع عن القديس كيرلس الإسكندري في قضية مقتل هيباتيا

وصف هيباتيا

يبالغ الدكتور زيدان في وصف هيباتيا الفيلسوفة الوثنية على لسان هيبا *"وكأنها كائنٌ سماويٌّ"* لكي يشعر القارئ بفداحة الجريمة:

ص١٣٥ **هيبا:** *هيباتيا امرأةٌ وقورٌ وجميلة، بل هي جميلة جداً. أو لعلها أجمل امرأة في الكون. كان عُمرها في حدود الأربعين، وكان أنفها جميلاً جداً وفمها، وصوتها، وشعرها، وعيناها.. كل ما فيها، كان أبهى من كل ما فيها. ولما تكلمت زاد بهاؤها ألقاً.*

ص١٣٦ **هيبا:** *هيباتيا.. وكأنها كائنٌ سماويٌّ هبط إلى الأرض من الخيال الإلهي، ليبشّر الناس بخبرٍ ربانيّ رحيم. كانت لهيباتيا تلك الهيئة التي تخيَّلتُها دومًا ليسوع المسيح، جامعةً بين الرقَّة والجلال.. في عينيها زرقةٌ خفيفة ورُماديةٌ، وفيها شفافية. في جبهتها اتساعٌ ونورٌ سماويٌّ، وفي ثوبها الهفهاف ووقفتها، وقارٌ يماثل ما يحفُّ بالآلهة من بهاء. من*

أي عنصر نوراني خُلقت هذه المرأة؟.. كانت تختلف عن بقية الناس! فإن كان الإله خنوم هو الذي ينحت أجسام الناس، فمن أي صلصال طاهر نحتها، وبأي عطرٍ سماويٍّ سَبَكَها؟.. يا إلهي، إنني أُجدِّف.

ص١٣٤ لكي يبريء د. زيدان هيباتيا يقول على لسان **هيبا**:

ثم عرفتُ أن الرياضيات لا شأن لها بالوثنية ولا بالإيمان.

جماعة محبي الآلام ومقتل جورج الكبادوكي الآريوسي

ص١٤٩ **هيبا**: *وكان القَسّ يوأنس يرعاني من بعيد، ويوصيني دوماً بأن أتجنب الاندماج مع الرهبان الإسكندرانيين، خاصةً، الذين يسمون أنفسهم جماعة محبي الآلام.. كان منهم راهبٌ طاعنٌ في السن، يرهبونه كثيراً، عرفتُ بعد شهور سرَّ نفوري من نظرته القاسية. دعاني إليه بإشارةٍ من عصاه التي تتكئ عليها سنواته السبعون، ولما اقتربت منه قال لي هامساً: عُدْ سريعاً إلى بلدتك، فالإسكندريةُ ليست مكانك! كان صوته أقرب لفحيح الأفاعي، وكانت لهجته لاذعةً كلسع العقارب. لم أفهم إشارته، وقد نصحني القس يوأنس لما أخبرته بالأمر، بالابتعاد عنه. بعدها بأيام أخبرني خادم المضيفة بسر دفين، قال بعدما تلفّتَ حوله: هذا الراهب المسن، محب الآلام، هو أحد أبطال الكنيسة! فقد كان في شبابه واحداً من الجماعة الذين فتكوا بأسقف الإسكندرية جورج الكبادوكي ومزقوه بالسواطير في شوارع الحي الشرقي.. أضاف الخادم هامساً، بعدما تلفت ثانيةً: جرى ذلك قبل ثمانٍ وأربعين سنة، في العام السابع والسبعين للشهداء! يقصد سنة إحدى وستين وثلاثمائة للميلاد.*

ص١٨٤، ١٨٥ **نسطور**: *يا هيبا ما يجري في الإسكندرية لا شأن للديانة به.. إن أول دم أريق في المدينة، بعد انتهاء زمن الاضطهاد*

الوثني لأهل ديانتنا، كان دمًا مسيحيًا أراقته أيادٍ مسيحية! فقد قتل الإسكندرانيون قبل خمسين سنة أسقف مدينتهم جورجيوس (هو نفسه جورج الكبادوكي)، لأنه كان يوافق على بعض آراء آريوس السكندري. وقَتْلُ الناس باسم الدين، لا يجعله دينًا. إنها الدنيا التي ورثها ثيؤفيلس، وأورثها من بعده ابن اخته كيرلس. فلا تخلط الأمور ببعضها يا ولدي، فهؤلاء أهلُ سلطانٍ لا أصحاب إيمان.. أهلُ قسوةٍ دنيوية، لا محبة دينية.

تكلم د. زيدان عن جماعة أسماها جماعة محبي الآلام، ربما قصد بها على سبيل الخطأ جماعة الرهبان التي تُعرف بـــ "البارابالاني" والتي سوف يأتي الكلام عنها بعد قليل في معرض كلامنا في الدفاع عن القديس كيرلس. وسوف نثبت بالأدلة التاريخية الدامغة وبعدد ليس بقليل من المراجع العالمية، براءة القديس كيرلس من هذه التهمة الشنعاء وأيضًا البارابالاني. وسوف نتتبع بتدقيق أصل هذا الافتراء لكي نعرف أين ومتى بدأ. وذلك بشهادة كل من المؤرخين القدامى والمعاصرين على السواء.

ص١٤٥ يقول **هيبا**: *لن أنجو من وشايات الجماعة الرهيبة المسماة محبي الآلام، وسوف ألقي بسببهم مصير أبي.*

لا توجد أية علاقة بين "البارابالاني" ومقتل جورج الكبادوكي الآريوسي، ولم تذكر أي من المراجع ذلك. والمعروف تاريخيًا

أن "البارابالاني" لم يأتِ ذكرهم قبل مطلع القرن الخامس، حين ابتدأ أن يكون لهم مؤسسة قوية[٥٦].

بعد بحوث عميقة لقضية مقتل جورج الكبادوكي، عدنا فيها إلى المؤرخين القدامى الأقرب إلى الأحداث، حسب المخطوطات المعترف بها دوليًا لنصل إلى حقيقة الأمر، وجدنا الآتي:

فُرض جورج الكبادوكي الآريوسي المذهب، أسقفًا على الإسكندرية بدلاً من أسقفها الشرعي القديس أثناسيوس الرسولي. وكان ذلك بواسطة قسطنتيوس الإمبراطور الآريوسي، في مطلع عام ٣٥٧م. وللوقت بعد أن تولّى قام بسلسلة من الأعمال الإرهابية العنيفة ضد كلٍ من الوثنيين وأيضًا أتباع القديس أثناسيوس أي المستقيمي الإيمان. ولذلك ثاروا عليه جميعًا في أواخر ٣٥٨م وأجبروه على مغادرة الإسكندرية. ولكنه تمكَّن من العودة إليها مرة أخرى في نوفمبر ٣٦١م، بعد أربعة أيام فقط من موت الإمبراطور قسطنتيوس الذي كان يحميه، وتولّي الإمبراطور يوليان الجاحد. يذكر سقراط[٥٧] إن الوثنيين قد كرهوا جورج الكبادوكي ولم يحتملوا إهانته لهم*، فاغتالوا عددًا من

---

[56] *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Parabalani" p. 648.

[57] Soc. *E.H* . iii. 2, vol 2 of *NPNF*, 2nd ser. pp.78, 79.

* لأنه عندما أراد أن يبني كنيسة في موقع كان الوثنيون يستخدمونه سابقًا في ممارسة طقوس سرية وتقديم ضحايا بشرية لميثرا Mithra، وكان مهجورًا لفترة طويلة، اكتشف أتباع جورج أثناء تنظيف المكان، المَقدِس السري وفيه وجدوا جماجم لعديد من الأشخاص لجميع الأعمار كانوا يُقدَّمون قربانًا من أجل العرافة (أو الكهانة) عن طريق فحص الأحشاء، حيث كان الوثنيون يمارسون هذه وغيرها من فنون السحر التي بها يسحرون أو يسبون نفوس الناس. قام أتباع جورج بفضح هذه الممقوتات للعيان واللعن من الجميع.[Socrates, *E.H.* iii. 2, vol 2 of *NPNF*, 2nd ser., pp.78, 79]

المسيحيين بأي سلاح وصلت إليه أيديهم وبأي طريقة ممكنة. جرَّ الوثنيون جورج خارج الكنيسة وربطوه في جمل وبعد أن قطَّعوه إربًا أحرقوه هو والجمل.

رُوجت إشاعة أن الذين أبغضوه من أجل أثناسيوس (أتباع أثناسيوس) ارتكبوا هذا الاعتداء على جورج... ولكن الرسالة التي أرسلها الإمبراطور (يوليان الجاحد) إلى الإسكندريين، تلقي اللوم بوضوح على العامة وليس على أي من المسيحيين[*].

مقتطفات من رسالة الإمبراطور:

بسبب كل هذه الروايات الساخطة ضد جورج كعدو للآلهة، قد لوَّثتم مرة أخرى مدينتكم المقدسة؛ في حين كان يجب أن تتهموه أمام القضاة. لأنكم لو كنتم فعلتم هذا لما اُرتكب القتل أو أي أعمال أخرى غير قانونية؛ ولكن تنفيذ القانون بإنصاف كان سيحفظكم أبرياء من هذه الإفراطات المخزية، بينما يجلب عليه العقوبة نتيجة جرائمه الغير ورعة[*].

كما يذكر سوزومين المؤرخ[**]:

عندما نما إلى علم الوثنيين في الإسكندرية أن يوليان صار الحاكم الأوحد بعد موت قسطنتيوس... هاجموا جورج بصياح وتوبيخ كما لو كانوا سيقتلونه... ووضعوه في السجن. وفي الصباح الباكر اندفعوا إلى السجن وقتلوه وقذفوا بالجثة على جملٍ. وبعد أن عرَّضوها لكل إهانة أثناء النهار، أحرقوها ليلاً. أنا لا أجهل أن الهراطقة الآريوسيين

[*] Soc. *E.H.* iii. 2, vol 2 of *NPNF*, 2nd ser. p. 79.

[**] Soz. *E.H.* v. 7, vol 2 of *NPNF*, 2nd ser. p. 330.

يؤكدون أن جورج تلقى هذه المعاملة الوحشية من أتباع أثناسيوس، ولكن يبدو لي أن الأكثر احتمالاً هو أن مرتكبي هذه الأعمال هم الوثنيون؛ إذ أن عندهم سببًا لبغضته، أكثر من غيرهم من الناس.

ثم ذكر سوزومين نفس ما قاله سقراط بخصوص معبد ميثرا وقتل الوثنيين للمسيحيين وأضاف:

... قتل الوثنيون جورج بمجرد أن سمعوا أن يوليان صار إمبراطورًا. هذه الحقيقة أكدها ذلك الإمبراطور نفسه والتي لم يكن ليعترف بها إلاَّ لأن الحق قد أجبره، لأنه على ما أعتقد، كان الأجدر به أن يتهم المسيحيين أيًا كانوا –وليس الوثنيين– بقتل جورج، ولكن هذا لا يمكن إخفاؤه.

فمن أين أتى د. زيدان بهذه المعلومة وربط بطريق الخطأ بين مقتل جورج الكبادوكي الآريوسي الدخيل، والجماعة التي سمَّاها جماعة محبي الآلام. ولماذا يلصق التهمة بالمسيحيين؟

ما قبل مقتل هيباتيا

ص١٥٠، ١٥١ **هيبا:** *إن كراهية البابا لهيباتيا كانت قد بلغت المدى. كانوا يقولون إن الحاكم أوريستوس طرد رجلاً مسيحياً من مجلسه، فغضب البابا. ويقولون إن الحاكم يعارض ما يريده البابا من طرد اليهود بعيداً عن الإسكندرية، بعدما طردهم الأسقف ثيوفيلوس إلى رَبْع اليهود الكائن بالجهة الشرقية، وراء الأسوار.... أخذ الاسقف يعيد الصلاة حتى أخذ الناس النشيج ... ثم صار صوته ناريًا متأججًا وهو يقول لهم: يا أبناء الله ... إن مدينتكم هذه هي مدينة الرب العظمى... ولقد طهَّرناها من اليهود، المطرودين. أعاننا الرَّبُّ على طردهم، وتطهير مدينته منهم. ولكن أذيال الوثنيين الأنجاس، مازالت تثير غبار الفتن في ديارنا. إنهم يعيثون حولنا فسادًا وهرطقةً....*

اعتقل أوريستوس الحاكم أحد أتباع القديس كيرلس واعتقله وعذّبه علانية وذلك لمجرد الاشتباه في تهمة التجسس. وكانت

هذه هي بداية المتاعب التي أثارها الحاكم كما سنرى فيما بعد. ثم تطورت الأمور إلى أن تهوَّر أحد الرهبان وقذفه بحجر تعبيرًا عن استيائه منه بسبب بعض ما أتاه من تصرفات غير لائقة، إذ أنه رفض محاولات الصلح التي قام بها البطريرك. كانت النتيجة أن عُذب هذا الراهب عذابًا عنيفًا حتى مات.

إذن لم يكن الأمر مجرد أن الحاكم طرد رجلاً مسيحيًا من مجلسه كما ادّعى د. زيدان. ولم يذكر أحدٌ من المؤرخين أن القديس ثيئوفيلس قد طرد اليهود من الإسكندرية، لكنهم اتفقوا جميعًا على أنه قاوم الوثنية جدًا وحوَّل الكثير من البرابي ومعابد الأوثان التي خلت من الوثنيين إلى كنائس. وهذا أمر طبيعي إذ أنه معروف من الكتاب المقدس أن "كل آلهة الأمم شياطين"[٥٨]، وعبادة الأوثان هي عبادة الشيطان. ولكن لم تذكر المراجع أية إشارة من قريب أو من بعيد لتورط القديس ثيئوفيلس في قتل أي أحد من الوثنيين. ولم تذكر المراجع أيضًا أن هناك أية صلة بين القديس ثيئوفيلس وطرد اليهود.

قضية طرد اليهود من الإسكندرية:

ذبح اليهود عددًا كبيرًا من المسيحيين الأبرياء هبوا بناءً على نداء أطلقه اليهود أن هناك كنيسة تحترق، فلما هبّ المسيحيون الأبرياء لإنقاذ الكنيسة خرج عليهم اليهود من كمينهم وذبحوا عددًا كبيرًا منهم. فتوقع القديس كيرلس أن يرد رعاع

[٥٨] مزمور ٩٥: ٥ (الترجمة السبعينية)

المسيحيين على المذبحة التي قام بها اليهود، فتدارك الموقف ولجأ إلى أن يوجه اليهود إلى وجوب سرعة مغادرة الإسكندرية، منعًا لمزيد من الدماء. والدليل على ذلك هو ما اتفقت عليه جميع المراجع العالمية في أنها لم تذكر أنه قد مات يهودي واحد في هذه الأحداث[٥٩]، فقط رحلوا خارج الإسكندرية. وقد ذكرنا ذلك في معرض مقالة الدفاع عن القديس كيرلس في مقتل هيباتيا. ولكن أولئك المغرضين الذين وضعوا على عاتقهم تشويه سمعة القديس كيرلس، صَوّروا الموقف على غير حقيقته إمعانًا في تحقيق غرضهم.

وصف مقتل هيباتيا

وَصفَ الدكتور زيدان مقتل هيباتيا ببشاعة زائدة تثير الاشمئزاز بدرجة تكفي أن يكره القارئ وبشدة، المسيحيين وبالأخص رجال الدين وعلى رأسهم البطريرك! ولكننا بعد أن نستعرض ما ذكره، سنأخذك عزيزي القارئ في جولة سريعة في ثنايا رسائل القديس كيرلس وتأملاته. ومن كلامه هو، يمكنك التعرف على هذه الشخصية المتميزة جدًا والتي قلّما يجود الدهر بأمثالها. لتدرك معنا إلى أي مدى وصل الافتراء عليه، وذلك في فصل خاص عن ملامح شخصية القديس كيرلس بعد أن ننتهي من الدفاع عنه فيما يخص قضية مقتل هيباتيا.

ص ١٥٤ **هيبا:** *فاندفع إلى ناحيته أحدهم وهو يصيح صيحةً هائلةً ويُخرج من تحت ردائه الكنسي سكيناً طويلاً.. صدئاً*

---

[59] Wace and Piercy, p. 236.

وهنا يصور زيدان رجال الدين بطريقة منفّرة جدًا وكأنهم سفّاحون فعلاً.

ص١٥٦، ١٥٧ **هيبا:** *انفلت شعرها الطويل الذي كان ملفوفًا كالتاج فوق رأسها، فأنشب فيه بطرس أصابعه، ولوى الخصلات حول معصمه، فصرختْ، فصاح: باسم الرب سوف نطهر أرض الرب...*

سحبها بطرس من شعرها إلى وسط الشارع، وحوله أتباعه من جُند الرب يهللون... الجذبة القوية انتزعت خصلات من شعرها، فرماها، نفضها من يده.. نظر بطرس ناحيتي بوجه ضبع ضخم، وتهلل وهو يقول: أيها الراهب المبارك، اليومَ نطهر أرض الرب. وكان البقية يتجمعون حول فريستهم، مثلما تجتمع الذئاب حول غزالٍ رضيع.. لما أوشكتْ أصابع هيباتيا أن تعلق بيدي الممدودة إليها، امتدت يد نهشت كُمَّ ثوبها، فتطوحت كَفُّها بعيداً عني، وتمزق الثوبُ في اليد الناهشة، فرفعه الناهشُ ولوح به، وهو يزعق بعبارة بطرس: باسم الرب سوف نطهر.. العبارة التي صارت يومها أنشودة للمجد الرخيص.

من المعروف أنه لم يتورط في مقتل هيباتيا أحدٌ من رجال الكهنوت، ولكن فقط بطرس القارئ ومعه مجموعة من الرعاع الثائرين. والقارئ في الكنيسة لا يُعد من رتب الكهنوت. فلماذا وعلى أي أساس ينسب د. زيدان الجريمة إلى رجال الكهنوت؟!

ص ١٥٧ **هيبا:** *لم استطع انتزاع عيني عن جثة أوكتافيا التي أهاجتْ دماؤها الصخبَ، فاشتدت بجند الرب تلك الحمى التي تتملَّك الذئاب حين تُوقع صيداً. صارت عيونهم الجاحظة مثل عيون المسعورين، وهاجت بواطنهم طلباً لمزيد من الدم والافتراس..*

ص١٥٨ **هيبا:** *هيباتيا.. أستاذة الزمان.. النقية.. القديسة.. الربة التي عانت آلام الشهيد، وفاقت بعذابها كل عذاب.*

ص١٥٩ **هيبا:** *وسكتت صرخاتُ هيباتيا، بعدما بلغ نحيبها من فرط الألم، عنانَ السماء. عنانَ السماء، حيث كان الله والملائكة والشيطان يشاهدون ما يجري ولا يفعلون شيئًا.*

هيبا.. ماهذا الذي تكتبه؟

هيبا لعزازيل: *اسكت يا عزازيل، "اسكت يا ملعون".*

قال **هيبا لعزازيل:** *"اسكت يا ملعون"* تعليقاً على الجملة السابقة، وليس تعليقًا على تشكيك عزازيل في عقيدة التجسد عندما قال لهيبا *:"التجسد خرافة"* ص٣٦٢، كما ادّعى د. زيدان في برنامج البيت بيتك في التليفزيون.

ص١٦٠ يقول د. زيدان على **لسان هيبا**، بعد مقتل هيباتيا:

أفقت من ذهولي، على حيرتي في مقصدي، هل أعود للكنيسة المرقسية.... فأشارك الأخوة هناك احتفالهم بنشوة الظفر والانتصار على آخر رموز الوثنية الغابرة، وأُعلن معهم الابتهاج باستعلان الديانة واستيلائها التام على المدينة؟ أم ألقي بنفسي على الجمر الباقي حول جسد هيباتيا فأحتضنه.... أوكتافيا... حاولتْ حمايتها... فصارت جثة ملقاه على جانب الطريق مكفَّنةً بدمائها الطاهرة.

ص١٦١ عن هيباتيا يقول **هيبا:** *وأنا لم أُغث شقيقة يسوع من أيدي أخوتي في الديانة.. لكنهم ليسوا أخوتي ..أنا لستُ منهم، ولستُ مني.*

ص١٧٥ **نسطور:** *كيرلس دفع لهذه اللجنة القضائية* (التي أرسلها الإمبراطور للتحقيق في مقتل هيباتيا) *رشاوي كثيرة، وبذل لهم الهدايا النفيسة حتى ينطمس الأمر؟*

من الطبيعي أن تسقط هذه الدعوى بسقوط اتهام القديس كيرلس أصلاً بمقتل هيباتيا. فهو ليس له علاقة بالجريمة فما الذي يضطره أن يفعل ذلك؟

وما هو مرجع الدكتور زيدان في هذه المعلومة التي ليست لها أية علاقة بالواقع المتفق عليه والثابت تاريخيًا في جميع المراجع العالمية الموثوق في مصادرها. إذ لم يُقر به أبدًا أي من المؤرخين، حتى ولا المعادين للقديس كيرلس.

كتمهيد لإعادة تقييم قضية مقتل هيباتيا ودور القديس كيرلس فيها، نورد هنا بعض مقتطفات من مقال لـــ بريان ويتفيلد Bryan

J. Whitfield وهو يعرض لنا الخلفية التاريخية التي تساعدنا على فهم المقال التالي لهذا المقال.

مقتطفات من مقال:

حلاوة العقلانية

إعادة تقييم هيباتيا الإسكندرية[٦٠]

بريان ويتفيلد

منذ كتابات القرن السادس للكاتب داماسيوس Damascius إلى الكُتّاب الأكثر حداثة مثل تشارلز كنجسلي Charles Kingsley، وإدوارد جيبون Edward Gibbon، وكارل ساجان Carl Sagan، نجد أن مأساة قتل هيباتيا قد استُخدمت كحدث للتعبير اللئيم الذي يزّيف وقائع التاريخ، إما لخدمة قصة أكبر، أو للدعاية. هؤلاء المؤرخون المتحيزون يقدمون هيباتيا كشهيدة وثنية شريفة، وعذراء ضحية قُتلت بتحريض من القديس كيرلس، أسقف الإسكندرية المسيحي "الشرير"، من أجل رفضها التخلي عن ديانة اليونانيين. فصارت هيباتيا تجسيدًا للحضارة الإغريقية التي تم تدميرها بواسطة هجوم المسيحية الطائش، وهي الحضارة التي تمثّل خلاصة ما وصلت إليه حكمة القدماء.

ربما تصلح قصة مقتل هيباتيا أن تكون قصة مسرحية من نوع رفيع، ولكنها فقيرة تاريخيًا وتسئ إلى أعمال هيباتيا الحقيقية

[60] Bryan J. Whitfield, “The Beauty of Reasoning: A Reexamination of Hypatia of Alexandria,” *The Mathematics Educator*, Volume 6 Number 1: 14-21.

وتتجاهل استمرارية التقليد الفلسفي السكندري بعد موتها. لذلك فإن فحص دلالتها لابد أن يبدأ بدحض هذه الصورة المثالية ثم متابعة تطور سيرتها وأعمالها باستخدام مصادر تاريخية أكثر وثوقاً بالإضافة إلى الاستنتاجات المنطقية التي يمكن الوصول إليها من السياق الفكري والحضاري الذي عاشت فيه.

حل العُقد الجدلية polemical

إن محاولة استخدام موت هيباتيا كهدف جدلي بدأ أولاً مع كتابات داماسيوس Damascius العلاّمة الأثيني وآخر رئيس للأكاديمية قبل أن تغلق بواسطة جوستنيان. لقد كتب من منفاه، كأحد آخِر الوثنيين (آخِر واحد منهم)، وإذ كان شغوفًا بأن يستغل فضيحة موت هيباتيا، فقد نسب مسئولية موت هيباتيا إلى أتباع كيرلس، حتى يتصورها القرَّاء كأنها شهيدة الهيلينية، وذلك في مقابلة مع الإمبراطور يوليانوس الذي جعلوا منه بطلاً، وهو الذي سعى لإعادة الوثنية كديانة للإمبراطورية، وقُتل -كما قيل- بواسطة مسيحي خائن (Lacombrade[٦١], 1978; Chuvin[٦٢], 1990). إلاّ أن موت يوليانوس لا يُعتبر استشهاداً بالقدر الذي يعتبرون به قتل هيباتيا.

كان لآراء داماسيوس تأثيرها في العصور القديمة؛ فكانت أساساً لكثير من المعلومات التي وردت في الموسوعة المعجمية البيزنطية المعروفة بسودا *Suda* والتي أثَّرت بقوة على التقارير الخاصة

[61] Lacombrade, C. (1978). Introduction. In Synesios de Cyrene*, Tome I: Hymns,texte et traduction.* Trans. C. Lacombrade. Paris: Societe d'edition les belles letters.

[62] Chuvin, Pierre. (1990). *A Chronicle of the Last Pagans*. Trans. B. A. Archer. Cambridge: MA: Harvard University Press.

بموت هيباتيا. كما أنه من المرجّح أن يكون داماسيوس قد أثّر على مصادر المعلومات البيزنطية الأخرى عن هيباتيا، بما في ذلك كتابات فوتيوس Photius وجوهانز مالالاس Johannes Malalas ونيكيفورس كاليستوس Nicephorus Callistus (Ogilvie[٦٣], 1986; Lacombrade, 1978).

على أن أسلوب التحيز لهيباتيا لم يقتصر على المؤرخين البيزنطيين فقط، بل إننا نجد أن المؤرخ الإنجليزي إدوارد جيبون، كنظيره الأثيني، قد عمد على تشويه سمعة كيرلس، فبدأ وصفه لموت هيباتيا بالتعليق التالي: إن الأسقف: "تأهب سريعاً أو قَبِل ذبيحة عذراء" (Gibbon[٦٤], 1946, p. 1562). وكان جيبون طوال روايته حريصاً على التركيز على الصراع بين هيباتيا العفيفة وكيرلس الإنفعالي الذي، من ضمن أخطاء أخرى له، "كان ينظر بعين الغيرة إلى موكب الخيول والعبيد الرائع المزدحم عند باب أكاديميتها" (Gibbon, 1946, p. 1562).

وفي وصف جيبون لموت هيباتيا اقتبس كمصدر له كتابات المؤرخ الكنسي سقراط المعاصر لها. لكن المصدر الرئيسي لجيبون لم يكن سقراط وإنما تقرير المعجم المعروف بالسودا *Suda* (*Suidas*)، وهو معجم بيزنطي من القرن العاشر أو الحادي عشر اعتمد على أراء داماسيوس. وحتى في اختياره لمصدر مادته، كانت النقطة الجدلية

---

[63] Ogilvie, M. B. (1986). *Women in Science: Antiquity Through the Nineteenth Century*. Cambridge, MA: The MIT Press.

[64] Gibbon, E. (1946), *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*, 3 vols. New York: The Heritage Press (p. 1562).

لجيبون واضحة مثله في ذلك مثل داماسيوس. وحتى عنوان مجلده التاريخي يدل على أن النموذج الذي يحتذي به هو نموذج منحرف. فقد سجل جيبون تاريخاً صوّر فيه التعارض المعقد بين العقلانية الهيلينية والعاطفية المسيحية، وقد رأى "التحول من الفيلسوف القديم إلى الراهب المسيحي كصورة مصغرة من 'الانحدار والسقوط' في الحضارة القديمة" (Shiel[٦٥], 1968, p.112). وعليه، فقد طَعَّمَ جيبون رؤيته الجدلية عن النــزاع بين الوثنية والمسيحية بواسطة طريقة عرضه لتاريخ هيباتيا. فالتفاوت بين كيرلس "المتعطش للدماء" وهيباتيا الحكيمة قدم له واحدة من سلسلة الأدوار التي تبرز الصراع الكبير بين الثقافتين المتعارضتين. فكان موت هيباتيا بالنسبة له ببساطة هو فرصة لتعزيز جَدَله ضد نمو المسيحية.

وإذا كان المؤرخون مثل داماسيوس وجيبون متلهفين لاستخدام موت هيباتيا كغرض للجدل ضد المسيحية، فإن هناك آخرين كانوا متلهفين لاستخدام هذا القتل لأغراضهم الطائفية. فبمعطيات هذا الهجوم ضد كيرلس، أصبحت قصة هيباتيا وسيلة سهلة للجدل البروتستانتي ضد الكاثوليكية التي يمثلها هذا الأسقف. ففي القرن الثامن عشر كتب جون تولاند John Toland وهو معاصر لجيبون، مدحاً في هيباتيا ضد الإكليروس بعنوان "هيباتيا" فقال: "هيباتيا: أو تاريخ السيدة الأكثر جمالاً، والأكثر فضيلة، والأكثر علماً،

---

[65] Shiel, James. (1968), *Greek Thought and the Rise of Christianity*. London: Longmans Green and Company (p. 112).

والناجحة في كل شيءٍ؛ التي تم تمزيقها إلى قطع بواسطة كهنة الإسكندرية، إرضاءً لكبرياء ومنافسة وقسوة رئيس أساقفتهم الذي يدعى –بدون استحقاق– القديس كيرلس" (Ogilvie, 1986). وبعد مرور أكثر من مائة سنة على ذلك، واصل الكاتب الروائي الإنجليزي تشارلز كنجسلي Charles Kingsley في القرن التاسع عشر هذا الجدل ضد الكاثوليك في روايته الطويلة "هيباتيا أو الأعداء الجدد بوجه قديم" (Kingsley[٦٦], 1853). هؤلاء الأعداء الجدد كانوا من دائرة جون هنري نيومان John Henry Newman الذي صار هدفاً لنقد كنجسلي المستمر منذ تحوله إلى الكاثوليكية. فقد أدار كنجسلي حملة ضد الكاثوليكية من خلال الصحافة ومن خلال رواياته (Trevor[٦٧], 1963). هكذا كشفت هذه الرواية عن وجهة نظر كنجسلي الخاصة، أكثر مما كشفت عن هيباتيا التاريخية، والتي لا تحمل بالتأكيد أي شبه لبطلة الرواية العاجزة المتباهية والشهوانية (Snyder[٦٨], 1989, Rist[٦٩], 1965).

لكن بينما تمثل رواية كنجسلي ذروة الاستخدام الجدلي لقصة هيباتيا إلا أن ميراثها لم يحظَ بالنصيب الكافي في القرن الحالي. ففي الوصف الأكثر انتشاراً لموت هيباتيا، يرسم كارل ساجان Carl Sagan صورة واضحة لهيباتيا لكنه مثل داماسيوس وجيبون من

[66] Kingsley, C. (1853) *Hypatia: New Foes with an Old Face*. Rpt. New York: Garland Publishing, 1975.
[67] Trevor, M. (1963). *Newman: Light in Winter*. Garden City, NY: Doubleday.
[68] Snyder, J. M. (1989). *The Women and the Lyre: Women Writers in Classical Greece and Rome*. Carbondale, IL: Southern Illinois University Press.
[69] Rist, J. M. (1965). *Hypatia. Phoenix*, 19, pp. 214-225.

قبله، يُصعِّد المقارنة بين كيرلس وهيباتيا كأمثلة لانتصار الانفعال المسيحي الغير منطقي على شجاعة وعفة وحكمة الهيلينية فيقول:

> وقفت هيباتيا في المركز بالنسبة لهذه القوى الاجتماعية الجبارة، فقد كرهها كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية بسبب صداقتها القوية للحاكم الروماني، ولأنها كانت رمزاً للعلم وللعلوم التي كانت في الكنيسة الأولى ترتبط بالوثنية. ورغم تعرضها لمخاطر شخصية إلاّ أنها استمرت في التعليم والنشر، حتى سنة ٤١٥م، حينما كانت في طريقها لعملها حيث هاجمها رعاع متعصبون من أتباع كيرلس، فجرّوها من مركبتها، قطّعوا ملابسها وسلخوا جلدها من عظمها بأصداف بحرية. ثم حُرقت بقاياها ومُحيت أعمالها ونُسي اسمها. وأُعلِن كيرلس قديساً (Sagan[٧٠], 1980, pp. 335-336).

ولسوء الحظ لم تحظَ هيباتيا بالنصيب الكافي حتى في كتب تاريخ الرياضيات. فقد سجل بورتون Burton[٧١] (1985) أن هيباتيا:

> كان لها دور في آخر محاولة لمعارضة الديانة المسيحية. فكرمز حي للحضارة القديمة، قُدّر لها أن تكون رهناً في النــزاع السياسي للسيادة في الإسكندرية.

[70] Sagan, C. (1980). *Cosmos.* New York: Random House, (pp. 335-336).

[71] Burton, D. M. (1985). *The History of Mathematics: An Introduction* (2nd ed.) Dubuque, IA: Wiliam C. Brown Publishers. (p. 242).

ومع أن بورتون كان حريصاً على أن يتجنب الجدل ضد كيرلس، وهو بحق ينسب سبب موت هيباتيا إلى عنف الرعاع، إلا أنه أصر على أن يجعل هيباتيا ممثلة للوثنية التي كانت تتعارض مع قوة المسيحية المتزايدة.

يصمم (1965) Rist ريست بقوله: "يجب أن ننتقل من الخيال والانحدار العاطفي للتاريخ إلى الحقائق" (p. 215).

إن تقرير المؤرخ الكنسي سقراط الذي كان معاصراً لهيباتيا له أهمية خاصة في هذه المأمورية إذ أنه مصدر قديم وأكثر موضوعية بالمقارنة بدماسيوس.

لقد صار دور كيرلس، رئيس أساقفة الإسكندرية، في موت هيباتيا دوراً مركزياً في جدل الكُتَّاب أمثال جيبون وكنجسلي. فادعاؤهم بتورّط رئيس الأساقفة المباشر في القتل سمح لهؤلاء الكتَّاب بأن يصفوه بأنه رمزٌ لمسيحية مليئة بالعواطف وبعدم العقلانية، ورمز يوضح التناقض الصارخ مع هيباتيا. إلاّ أن الفحص الدقيق للمصادر غير المتحيزة يكشف لنا عن عدم ظهور أي تورط مباشر لكيرلس في مقتل هيباتيا. حتى كاتب السودا Suda نفسه كان مدركاً تباين المصادر التي استند إليها: فكتب إن هيباتيا "عانت من هذه المعاملة بسبب الحسد وبسبب حكمتها السامية خاصةً في مجال علم الفلك؛ والبعض يقولون إن الحسد كان من جانب كيرلس، بينما آخرون يدّعون أن هذه الأحداث تمت بسبب الاندفاع الفطري والميل نحو التحريض على الفتنة بين السكندريين"

(quoted in Snyder, 1989, pp. 115-116)

علاوة على ذلك، فإن سقراط يضع حادثة موت هيباتيا ضمن سياق أشمل هو شغب المدنيين السكندريين. ففي الفصلين السابقين لحديثه عن سيرة هيباتيا، نجده يصف سلسلة أحداث من خطين متداخلين: الأول هو زيادة عنف الرعاع، والثاني هو زيادة الشقاق بين كيرلس وأورستس Orestes والي الإسكندرية.

(Socrates[٧٢],1952; see also the summary in Chuvin, 1990)

ويعلق سقراط في مقدمته لهذين الفصلين بما يلي:

> إن عامة الشعب السكندري يسعد بالشغب عن أي شعب آخر؛ ففي أي وقت تسنح له الفرصة يندفع بطريقة مفرطة ومبالغ فيها، ولا يتوقف إلا بإراقة الدماء.

(Socrates, 1952, p. 159)

هكذا أيضًا يؤكد ألان بومان أنه من نهاية القرن الثالث فإن تاريخ الإسكندرية كان تاريخاً من العنف المتكرر وهذا نشأ جزئيًا نتيجة للتعددية في المدينة. فقد كان هناك عنف ضد اليهود حتى منذ عهد فيلو Philo. لكن بقيام المسيحية كانت الخصومة الأكثر شيوعًا هي بين الوثنيين والمسيحيين. هذا التاريخ المستمر للصراع أحدث سلسلة من أحداث العنف المتكرر أدت إلى تآكل الطبقات الاجتماعية وحطمت آثار الحضارة المتبقية. فرعاع الإسكندرية

---

[72] Socrates Scholasticus. (1952). *The Ecclesiastical History*. In P. Scaff and H. Wace (Eds.), *A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church* (Vol 2). Grand Rapids, MI: W.B. Erdmans.

خربوا عمدًا السرابيوم عام ٣٩١م [كان ذلك بناءً على منشور من الإمبراطور، انظر ص ٦٦،٦٤ في كتابنا هذا]، حينما كانت هيباتيا في بداية العشرينات من عمرها (Bowman[٧٣] 1986). كما أن العنف المتكرر خلق جوًا متقلبًا يسهل معه هياج حركة الرعاع أيًا كان السبب، حقيقي أم خيالي (Bowman 1986).

لكن سقراط يلخص الحدث بحرص بقوله: إنها (أي هيباتيا) وقعت "كضحية للغيرة السياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت" (Socrates, 1952 p. 160).

ليس هناك أقل دليل يربطه (أي كيرلس) مباشرة بموت هيباتيا. لذلك فإنه من أجل الأمانة، لا يمكن حسبانها كشهيدة للهيلينية. بل يجب أن يحسب موتها بالأحرى أنه نتيجة مأساوية لعنف الرعاع ضد الصراع السياسي بالإسكندرية.



---

[73] Bowman, A. K. (1986). *Egypt After the Pharaohs: 332 BC-AD 642 from Alexander to the Arab Conquest*. Berkeley: The University of California Press, 1986.

الدفاع عن القديس العظيم كيرلس الإسكندري
في قضية مقتل هيباتيا

يُعتبر القديس كيرلس هو الأب المشتَرَك للكنيسة الجامعة، وصيغته اللاهوتية الخاصة بطبيعة السيد المسيح: "طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة" *μία φύσις τοῦ θεοῦ λογοῦ σεσαρκωμένη*
mia physis tou Theou Logou sesarkomeny
تُعد حجر الزاوية في جميع الحوارات المسكونية الخاصة بطبيعة السيد المسيح. وتعتبره الكنيسة اليونانية المرجع الأعظم في كل المشاكل الكريستولوجية. وقد دعاه أنسطاسيوس السينائي (بُعيد٧٠٠م) بـــ "خاتم الآباء" لأنه جمع تراث التقليد الآبائي في تعليمه الثالوثي لذلك فهو يختتم عهد الآبائية في العالم اليوناني. ولُقّب بـــ "عالِم الكنيسة اللاهوتي" في ١٨٨٢م، وتمجده الكنيسة اليونانية في مدائحها قائلة:

> السلام لك أيها النجم اللامع المحارب المدافع عن العذراء القديسة، والذي ارتفع صوته على كل الرؤساء في أفسس بأنها والدة الإله.. ابتهج أيها المبارك كيرلس، ينبوع اللاهوتيات، ونهر معرفة الله. لا تتوقف عن أن تتشفّع عنّا أمام المسيح[٧٤].

[74] St. Cyril of Alexandria, *On the Unity of Christ*, trans., John Anthony McGuckin, (New York: St Vladimir's Seminary Press, 1995), p. 32.

وتكرم الكنيسة السريانية أيضًا القديس كيرلس في ليتورجيتها في تذكار الآباء والمعلمين (الملافنة) فتقول:

> وبالأخص مار قوريللس (القديس كيرلس) العظيم، البرج العالي الذي بثبات وبكل إخلاص برهن على تأنس كلمة الله، ربنا يسوع المسيح المتجسد[٧٥].

وهكذا نلاحظ مدى تكريم الكنائس الأخرى (غير كنيسة الإسكندرية) لهذا القديس العظيم.

إنه لخطأ تاريخي بل واجحاف أن يُتهَم هذا القديس العظيم البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية الــ٢٤(٤١٢-٤٤٤م) بالتحريض على قتل هيباتيا الفيلسوفة الوثنية (٤١٥م). حيث نتج عن ذلك زعم تاريخي قاصر ليس له أي أساس، ضد واحد من أعظم اللاهوتيين الأقباط الكبار الأكثر شهرة والذي تطلق عليه الكنيسة القبطية لقب "عمود الإيمان الأرثوذكسي".

وتُعْرَف حياة القديس كيرلس بالتقوى والقداسة ومحبة الدفاع عن الحق. ولم تذكر سيرة حياته حدوث أي شيء أو فعل من جانبه يقودنا إلى الاعتقاد بأنه كان مسئولاً عن قتل الفيلسوفة. وحقيقةً إنه ليس فقط من السذاجة افتراض أن يُعد القديس كيرلس مسئولاً عن قتل هيباتيا، ولكن هذا الاستنتاج أيضًا يتجاهل بالضرورة تحليل سياق اجتماعي- ثقافي أكبر وأوسع للحياة الدينية في الإسكندرية

---

[٧٥] نيافة المطران مارثاوفيلوس جورج صليبا، *خبز الحياة*: كتاب القداس الإلهي حسب طقس كنيسة إنطاكية السريانية الأرثوذكسية، جبل لبنان ٢٠٠٢م ، صـ ٢٣٠، ٢٩٨، ٣٦٩.

في القرن الخامس. إن الإصرار على نسبة هذا الفعل الوحشي إلى القديس كيرلس الكبير، يُقَوِض ما ينادي به من إيمان مستقيم وينال من صفاته الأخلاقية القوية، وهو الشخصية التي تُكرم ليس فقط بين المسيحيين الأرثوذكس الأقباط بل المسيحيين الأرثوذكس في العالم أجمع كما أشرنا.

من المعروف إن كتابة التاريخ لا تتصف أبدًا بالموضوعية الكاملة، لكنها عادةً ما تتمازج بسياسة السُلطة. والمؤرخ له دائمًا برنامج سياسي ديني أو اجتماعي ينشره بواسطة كتابته لنمط معين من التاريخ. وغالبًا ما توجد دوافع أكبر هي التي توجه قلم المؤرخ الذي عادة ما يتأثر سواء بالبيئة الثقافية أو الحضارية المحيطة والمعاصرة -بما فيها من ضغوط- أو بما يميل إليه هو شخصيًا من آراء أو أفكار أو اتجاهات معينة. وهذا يعني أنه يجب أن نسأل أنفسنا هذا السؤال الجوهري: لماذا وضعت بعض المصادر اللوم على القديس كيرلس، وكيف حقق لهم ذلك تعزيزًا لأهدافهم السياسية الخاصة؟ وأخيرًا أيضًا يجب أن نسأل: ما الذي يضطرنا أن نقبل هذه الوثائق التاريخية التي تلقي اللوم على القديس كيرلس في قتل هيباتيا وكأنها نوع من الحقيقة الموضوعية؟ ولماذا يجب أن نقبل هذه الاتهامات بدون أن نتحرّى صدقها من عدمه.

هذه هي نفس الظاهرة التي حدثت مثلاً في تلقيب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية خطأً بلقب "مونوفيزايت" Monophysite أي "أصحاب الطبيعة الوحيدة"، مع أن الكنيسة القبطية تؤمن بطبيعة

واحدة متحدة من طبيعتين للسيد المسيح استمر فيها الوجود الديناميكي للطبيعتين بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا انفصال. فتسمية "مونوفيزايت" هي بلا شك تسمية تاريخية سائدة تسعى أن تعزز نوعًا معيناً من التاريخ بدون أن توضع في الاعتبار التسمية المقابلة أو المضادة (أي أن الكنيسة القبطية ليست مونوفيزيتية). والسؤال هنا: لماذا يُلقب كثير من المؤرخين الكنيسة القبطية بالمونوفيزيتية؟ ذلك لأنهم لم يرجعوا إلى المصادر ولم يدرسوها دراسة نقدية ولم يتعرفوا على الدوافع التي وراء تلك التسمية التاريخية الخاطئة. وهكذا نجد أنه من المهم أن تُراجع مثل هذه الوثائق التي تصنع هذه الادعاءات، والمؤرخ الجيّد يجب عليه أن يفعل ذلك بكل أمانة.

هذا البحث هو رد أو نوع من الرواية المقابلة في مواجهة بعض هذه الكتابات التاريخية السائدة والتي بسذاجة تضع لوم غير واجب على القديس كيرلس في مقتل هيباتيا.

السنوات الأولى لباباوية القديس كيرلس

كانت السنوات الأربع الأولى لباباوية القديس كيرلس سنوات عاصفة، حيث كان على عاتقه أن يدافع عن الإيمان الأرثوذكسي المقدس ضد الهراطقة النوفاتيين (الذين رفضوا توبة الذين أنكروا الإيمان أثناء الاضطهاد)، وأن يرد على عنف ودسائس اليهود لكي يتمكن من إنقاذ قطيعه. وكان من واجبه أيضًا أن يوجّه شعبه

ويبعدهم عن الفلسفة الوثنية. وهكذا نجد أنه كان على القديس كيرلس أن يحارب في عدة جبهات. بالإضافة إلى أن أوريستوس حاكم الإسكندرية (والذي كان يريد أن يعين الأرشيدياكون تيموثاوس بطريركًا بدلاً من القديس كيرلس قبل رسامته بطريركًا) خلق مشاكل كثيرة للقديس كيرلس منذ بداية أسقفيته.

وندلل على ذلك بالمقتطفات الآتية والمأخوذة من عدة أعمال تاريخية متنوعة:

يقول A. Louth:

> انتُخب البطريرك في عام ٤١٢م لكي يخلف خاله، ولم يكن هذا هو الاختيار المفضّل للهيئات المدنية. وكانت السنوات الأولى لأسقفيته مضطربة[٧٦].

يكتب S. J. Davis:

> منذ وقت انتخاب كيرلس في عام ٤١٢م وجد البطريرك نفسه في خلاف حاد مع القوات المدنية لحكومة الإسكندرية. وكان قد انُتخب بالرغم من المعارضة الشديدة للقيادات المحلية العسكرية[٧٧].

[76] Frances Young, Lewis Ayres, and Andrew Louth, eds, *The Cambridge History of Early Christian Literature: First Edition* (Cambridge University Press, 2004), p. 353.
[77] Stephen J. Davis, *The Early Coptic Papacy: The Egyptian Church and its Leaders in Late Antiquity* (Cairo: American University in Cairo Press, 2004), p. 72.

يعلق F. Young:

كانت الإسكندرية في كل الأحوال مدينة عالمية تميل إلى الاضطرابات والشغب، مع وجود مشاحنات عِرْقية [عنصرية] لها طبيعة مستوطنة. وكان العنصر الثالث الذي هو عامة المسيحيين دائمًا محاصرًا من الوثنيين واليهود، ولكنه مع ذلك كان قويًا في تأثيره وأعداده. هل أثار كيرلس أية متاعب؟ وهل هي سلسلة من الصُدف وحدها أثارت الاختلافات كما يحدث غالبًا عندما ينقسم سكان المدن المزدحمة إلى أجناس وعقائد مختلفة؟[٧٨].

يعلق J.A. McGuckin:

إن أفعال كيرلس المبكرة كبطريرك تبينه كمُصلح حاول أن ينظم إدارته االكنسية، ولكنه لم يتمكن تمامًا من السيطرة على القوات الشعبية التي اعتمدت عليها قاعدة سلطته[٧٩].

أوريستوس: المتسبب في اندلاع العنف

هناك حقيقة يعرفها من يقرأ التاريخ بصدق، وهي أن أوريستوس حاكم الإسكندرية كان هو المتسبب في اندلاع العنف، عندما اعتقل أحد الأنصار المتحمسين للقديس كيرلس وعذّبه علانية لمجرد أنه

---

[78] Frances Young, *From Nicaea to Chalcedon* (London: SCM Press, 1983), p. 243.
[79] John Anthony McGuckin, *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy: Its History, Theology & Texts*, (Leiden: E.J. Brill, 1994), p. 7.

شك –بوشاية من اليهود– في قيامه بالتجسس لحساب القديس كيرلس.

يكتب Young:

> إن أول اندلاع للعنف كان عندما تم ضبط أحد الأنصار المتحمسين لكيرلس وهو يتصنّت في وقت كان فيه الحاكم يصدر تنظيمات [أو قوانين رسمية] بخصوص العروض اليهودية في السبت. واعتقل أوريستوس جاسوس كيرلس المزعوم وعذّبه علانية[٨٠].

وكتب Davis:

> إن خلافات كيرلس مع الحكومة وخصوصًا مع أوريستوس، تصاعدت بسرعة أثناء الشغب والاضطرابات التي حدثت بين المسيحيين واليهود في المدينة. وفي ليلة هذا الشغب كان أوريستوس قد اخضع أحد اتباع كيرلس–وهو معاونه الأكثر حماسًا– لتعذيب علني بسبب الاشتباه في تهمة التجسس[٨١].

واندلاع العنف –بصرف النظر عن الشكاوى المتكررة التي قدمها أوريستوس ضد القديس كيرلس للبلاط الإمبراطوري– يبرهن بقوة على أن أوريستوس أراد إثارة المتاعب ضد القديس كيرلس لكي يتخلص منه. وتخيل أوريستوس أن القديس كيرلس كان منافسًا له،

[80] Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.
[81] Davis, *The Early Coptic Papacy*, p. 72.

بل أن شهرة البطريرك وسط قطيعه، وأيضًا معرفة الشعب القبطي ونظرته للبطريرك على أنه الراعي الصالح الذي يبذل نفسه لأجلهم، ربما جعلت أوريستوس يشعر أن سلطته على المدينة قد باتت في خطر.

تصاعد التوتر بين المسيحيين واليهود

يعطي Young نبذة قصيرة ولكنها دقيقة عن أحداث التوتر الذي حدث بين المسيحيين واليهود في الإسكندرية:

يقول Young:

> اشتكى كيرلس لقادة اليهود الذين تآمروا حثيثًا ضد المسيحيين. ففي الليل أطلقوا صيحة عالية أن كنيسة معينة تحترق، ثم ذبحوا جميع المسيحيين الذين هبوا للمساعدة في إطفاء الحريق[٨٢].

وهنا نلاحظ بوضوح كيف أن المسيحيين ذُبحوا ومع ذلك لم يتخذ أوريستوس الحاكم أي موقف. أما القديس كيرلس فكراعٍ صالح تحرك بأسرع ما يمكن لكي ينقذ قطيعه ولكي يمنع المزيد من نزف الدماء، ومع شعبه المسيحيين أخرجوا اليهود خارج المدينة. ولكنه لم يأمر بقتل ولا يهودي واحد منهم بالرغم من موت مسيحيين كثيرين في تلك الليلة. وكتب القديس كيرلس للإمبراطور قائلاً إنه

[82] Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.

"كان يدافع عن مصالح المسيحيين في المدينة في وجه هجمات قاسية"[83].

"البارابالاني" Parabalani

كتب Young إنه بعد حادثة اليهود، عندما أحسوا بالحاجة لمساعدتهم "أتى حوالي خمسمائة راهب إلى المدينة من صحراء نيتريا للدفاع عن بطريركهم"[84] وذلك يثبت من الوهلة الأولى أن الرهبان أتوا فقط بعد حادثة اليهود. سُمي هؤلاء الرهبان بالبارابالاني وقد أتوا من الصحراء للدفاع عن بطريركهم وشعبهم ضد الأفعال العنيفة مخاطرين بحياتهم من أجل الإيمان المسيحي الأرثوذكسي. وقد نشأت خدمة "البارابالاني" أصلاً في مصر مع خدمة دفن جثث آلاف الشهداء وكذلك دفن ضحايا الأوبئة.

ملحوظة على لقب أو تسمية "البارابالاني"

معناها باليونانية "يخاطر أو يغامر" أي "يُعَرِّض نفسه للخطر"، ويدل الاسم على أعضاء أخوية في الكنيسة الأولى، ظهرت أولاً في الإسكندرية ثم في القسطنطينية، كان عملهم العناية بالمرضى ودفن الموتى. وقد خاطروا بحياتهم بتعرضهم للأمراض المُعْدية والتي غالبًا ما تكون بدأت أثناء الأوبئة. كما أنهم كانوا على نوعٍ ما حراسًا للبطريرك وكانت أعدادهم صغيرة. حددت the Codex

---

[83] McGuckin, *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy*, p. 15.
[84] Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.

Theodosianus عام ٤١٦م عدد الملتحقين بـــ ٥٠٠ فقط في الإسكندرية وزاد العدد فيما بعد إلى ٦٠٠، بينما في القسطنطينية كان قد انخفض عددهم من ١١٠٠ إلى ٩٥٠ وذلك تبعًا لـــ the Codex Junstinianus. يتم اختيارهم بواسطة البطريرك وتحت سيطرته... وكانوا يُعَدون ضمن رجال الإكليروس وتمتعوا بامتيازاتهم. شاركوا في الحياة العامة وإن كان حضورهم في الاجتماعات العامة أو في المسارح ممنوعًا قانونيًا. ويبدو أنهم لم يُذكروا بعد عصر جوستينيان[٨٥].

ويجب التفريق بين "البارابالاني" ورعاع المسيحيين الذين قتلوا هيباتيا. فلم يكن "للبارابالاني" أي دور في قتلها[٨٦]، ولكن كما سنرى سيوضع اللوم كاملاً وبحق على رعاع المسيحيين.

الوثنية والوثنيون بالنسبة للأقباط

كتب Young أن "البارابالاني"

> باغتوا أوريستوس في عربته. وإنه لمن الواضح أن الرهبان نظروا إلى أوريستوس على أنه ممثل للوثنية، بالرغم من اعتراضاته بأنه عُمد بواسطة بطريرك القسطنطينية. ثم أساءوا معاملته وقذف أحدهم حجرًا اصطدم برأس

[85] James Dixon Douglas, ed., *The New International Dictionary of the Christian Church: Revised Edition* (Michigan: Zondervan 1978), p. 747.
[86] Susan Wessel, *Cyrill of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic* (New York: Oxford University Press, 2004), p. 56.

أوريستوس. واندفع كل شعب المدينة لانقاذه. وعُذب الراهب الذي أذى الحاكم عذابًا عنيفًا حتى مات[٨٧].

ويلخص Davis مسلسل الأحداث كما يلي:

بعد استبعاد كيرلس لليهود من أجزاء معينة في المدينة، أرسل أوريستوس خطابًا للإمبراطور يشكو من أنشطة كيرلس. وعندما رفض أوريستوس محاولات الصلح التي قام بها البطريرك، تحرش به مجموعة كبيرة من الرهبان أنصار كيرلس في شوارع الإسكندرية بينما كان في عربته، وصرخ عدد منهم بإهانته وسموه "وثنيًا". وألقى أحد الرهبان المتحمسين بشدة ويدعى أمونيوس، حجرًا على أوريستوس وأصابه في رأسه. ومرة أخرى كان رد أوريستوس الرسمي سجن الطرف المهين وتعذيبه، ومات أمونيوس كنتيجة للتعذيب الشديد[٨٨].

وفيما يتعلق بما سبق لابد أن يؤخذ في الحسبان مايلي:

أولاً: إن أبرز نقطة تستحق الالتفات هي حقيقة أنه قبل هذا الحادث بين "البارابالاني" وأوريستوس وقبل قتل هيباتيا، حاول القديس كيرلس المصالحة مع أوريستوس ولكن بدون جدوى. وأنه لَمن المرجح جدًا إنه لو قبل أوريستوس الصلح لكان من الممكن فعلا أن يمنع ذلك سلسلة الأحداث التي انتهت بمقتل هيباتيا. وهكذا

[87] Young, *From Nicaea to Chalcedon*, p. 243.
[88] Davis, *The Early Coptic* Papacy, p. 72.

نجد أنه ليس من الدقة في شيء أن يوصف القديس كيرلس بالإجرام، بينما في الحقيقة كان أوريستوس هو الذي رفض السلام الذي عرضه القديس كيرلس.

ثانيًا: لم يُعطَ أي اهتمام لمناصر القديس كيرلس المتحمس الذي عذبه أوريستوس علنًا، ولم يُلتفت أدنى التفات إلى الراهب الذي عُذب أيضًا حتى الموت كثاني فعل عنيف من جهة أوريستوس.

ثالثًا: اتخذ أوريستوس الجانب المعادي للمسيحيين، وهذه الحقيقة تأكدت في سلسلة أحداث اليهود، وكما سنرى فيما بعد في قضية مقتل هيباتيا.

رابعًا: إن الوثنية –التي تعتبر بحق قوة شيطانية– كانت ولازالت تُمارَس في الإسكندرية في ذلك الوقت. فأخذت الكنيسة على عاتقها مسئولية إنقاذ مؤمنيها من تأثيرها المدمر على أرواحهم وحياتهم الأبدية.

مقتل هيباتيا

في بداية العام الرابع لبطريركية القديس كيرلس، كَمنَ بعض من رعاع المسيحيين لعربة فيلسوفة الأفلاطونية الحديثة الشهيرة هيباتيا وسحبوها داخل كنيسة وقتلوها. منذ زمن الفيلسوف الوثني

Damascius وحتى يومنا هذا اعتاد أعداء القديس كيرلس أن يحمّلوه شخصيًا مسئولية هذه الجريمة.

يذكر يوحنا النيقيوسي John Bishop of Nikiu في كتابه *Chronicle* الذي كتبه عام ٦٩٠م:

> ظهرت في تلك الأيام في الإسكندرية فيلسوفة وثنيّة اسمها هيباتيا كرّست نفسها في كل الأوقات للسحر... وأضلت أناس كثيرين بخداعاتها الشيطانية. وكان حاكم المدينة يكرمها إلى أبعد حد لأنها قد أضلته بسحرها، وقد توقف عن حضور الكنيسة كما كان معتادًا... وهو لم يفعل ذلك فقط بل قد جذب كثير من المؤمنين إليها، وهو نفسه استقبل غير المؤمنين في منزله[٨٩].

ويقول Young عن هيباتيا:

> هي أكثر الوثنيين شهرة في عصرها... فيلسوفة الأفلاطونية الحديثة التي تستطيع أن تثبت نفسها بجدارة في أي محفل أكاديمي. كان من الواضح انبهار أوريستوس بها، وكانا أحيانًا كثيرة في صحبة بعضهما البعض. قرر رعاع المسيحيين أنها هي التي أثّرت على أوريستوس ضد كيرلس، الصلة بالوثنية مرة أخرى![٩٠]

---

[٨٩] John Bishop of Nikiu. *The Chronicle*, trans., R. H. Charles and D. Litt (Oxford University Press, 1916).

[90] Young, *From Nicaea to Chalcedon*, pp. 243-244.

وهكذا نرى، كما ذكر كل من يوحنا النيقيوسي و Young أعلاه، فإن المجتمع المسيحي الكبير (وليس "البارابالاني") كان يكره هيباتيا مفترضًا أنها كانت تؤثّر على أوريستوس بفلسفتها حيث إنها كانت دائمًا في صحبته. وهذه الجمهرة من الرعاع المسيحيين –وليس من بينهم "البارابالاني"– اعتقدت أن هيباتيا كانت السبب في عداء الحاكم للكنيسة.

وبنظرة فاحصة إلى التاريخ المسيحي المبكر نرى أن أجيال المسيحيين الذين لم يستسلموا للوثنية (أو أي ممارسات دينية أخرى تتعارض مع معتقداتهم المسيحية) قد عُذِّبوا بقسوة بدون النظر إلى السن أو الجنس، وعُذِّبوا أحيانًا لسنوات، ثم قُتلوا ونالوا الشهادة على أيدي الأباطرة الوثنيين والحكام. ونجد أن أحداث عذاباتهم وموتهم لم يلتفت إليها أحد من المؤرخين الحديثين. وهنا يجب أن نسأل: لماذا إذن أثار مقتل فيلسوفة وثنية واحدة –هيباتيا– على أيدي رعاع المسيحيين كل هذا الاهتمام، بينما قَتْل الكثير من المسيحيين لم يُلاحَظ أو يُذكَر؟ ونجيب على هذا السؤال قائلين مرة أخرى: إن للمؤرخ دائمًا برنامجًا سياسيًا أو دينيًا أو اجتماعيًا ينشره ويعلنه عن طريق كتابته لنوع معين من التاريخ، وتوجد دائمًا قوة أكبر هي التي توجه قلم المؤرخ. بالإضافة لذلك فإنه في حالة مقتل هيباتيا نستطيع أن نبرهن بوضوح على أن النظريات أو المفاهيم المعاصرة والساخرة جدًا التي تجانس جوهريًا التعددية والتنوع الاجتماعي [بمعنى تذويب الفوارق الاجتماعية وضمنًا بين الأديان] كان لها تأثير كبير على كيفية فهم بعض المؤرخين الحديثين لأحداث القرن الخامس. ليس فقط أن هذا النسق يُعد مفارقة تاريخية

– حيث إنه يفرض تصورًا للانطباع الشخصي الغربي المعاصر لما يسمى بالمجتمع المساواتي، على موقف حدث في القرن الخامس – ولكنه أيضًا مخاطرة بإعادة تأليف قصة تاريخية سائدة بطريقة غير عادلة. وبلا شك فإن قتل هيباتيا كان حدثًا مرعبًا تمامًا كما كان قتل آلاف الشهداء المسيحيين، ولكن في فهم الأحداث المحيطة بهذا الحادث المشئوم لا يجب علينا أن نكون متسرعين بزيادة في تطبيق تحليلاتنا المألوفة على موقف لا علاقة له بهذه التحليلات.

تحليل المؤرخين الحاليين في ضوء كتابات المؤرخين المعاصرين للحدث

بعد أن درسنا الأحداث المحيطة بمقتل هيباتيا، فإنه من المُلِّح أن ندرس كتابات بعض المؤرخين والكُتَّاب الذين قدموا تفسيرًا تحليليًا عادلاً لهذه الرواية التاريخية. ومن هذه المصادر سوف نرى بمنتهي الوضوح أنه من الخطأ تمامًا أن نفترض أن القديس كيرلس كان متورطًا في هذه الجريمة.

كتب McGuckin في كتابه "القديس كيرلس الإسكندري والجدل الكريستولوجي"

Saint Cyril of Alexandria and the Christological Controversy,

شرحًا مختصرًا لحادث هيباتيا، وبكل تعقل واتزان يشرح كيف أن هؤلاء المؤرخين الذين يتهمون القديس كيرلس بقتل هيباتيا قد

جرّدوا الأحداث التاريخية تمامًا من كل ما أحاط بها من قرائن أو سياقات ووضعوا بالخطأ عبء مقتل هيباتيا على أكتاف القديس كيرلس مع أن سقراط (٣٨٠/٤٠٨-٤٥٠م) المؤرخ الوحيد المعاصر للقديس كيرلس لم يوافقهم على هذا الرأي:

يقول سقراط إن هذا الحادث لم يأتِ ولا بأقل ملامة على كيرلس أو كنيسة الإسكندرية. والبعض –وأشهرهم جيبون Gibbon الذي يسمي الجريمة "عمل كيرلس البطولي"– يفسرون تفسيرًا خاطئًا وبوقاحة هذه الملحوظة عندما يعتبرون أن القتل هو فعل كان (كيرلس) متورطًا فيه شخصيًا... وقد أعاد الفيلسوف الوثني Damascius سرد الحادث خصيصًا ناسبًا اللوم والاشتراك في الجريمة لكيرلس شخصيًا، ولكن ما كتبه كان بعد ١٣٠ عام من الأحداث، وكل ما كتبه هو إجحاف واضح من البداية ومملوء كرهًا شديدًا للطريقة التي استخدمتها المسيحية في قمع مهنته وأسلوب حياته. وبعد جيبون جاء تشارلز كينجسلي Charles Kingsley معطيًا للرومانسية اعتبارً أكبر من اعتباره للحقيقة في روايته "هيباتيا"، ولم يضيع أي فرصة لتصوير كيرلس على أنه الوغد الشرير في الرواية. وذلك التصوير المغالىَ فيه والأسطوري الذي قدمه صار هو السائد حديثًا. ومؤخرًا كان ويكهام Wickham أكثر عدلاً لكيرلس، بالتأكيد على أساس حكم أكاديمي دراسي

أعمق، حيث إنه لخص الأزمات المبكرة لإدارته كما يلي: "الوقائع لا يمكن إنكارها. الصورة التي قدموها ليست صورة قس متعصب متعطش للسلطة يقود رعاع غاضبين ولكنها كانت محاولة لقائد غير مجرب حاول، ولكنه فشل مبدئيًا في السيطرة على القوات الشعبية"[٩١].

وعلى نفس نهج تحليل J.A. McGuckin كتب Wace and Piercy قائلين:

أما عن تأكيد Damascius أن كيرلس هو الذي شجع القتل... فإننا لا يمكننا أن نستند على شهادة فيلسوف وثني عاش ١٣٠ عامًا بعد الحدث وكان كارهًا بشدة للمسيحية. ولنا ما يبررنا –مع كانون روبرتسون– في اعتبار ما قاله إنه افتراء لتشويه السمعة وغير مستند على شيء[٩٢].

ويقدم J.A. McGuckin أيضًا في كتابه "لاهوت القديس كيرلس الإسكندري" *The Theology of St Cyril of Alexandria: A Critical Appreciation* تقييمًا حاسمًا للموقف:

كان كيرلس الإسكندري ضحية لقصر النظر العلمي الشديد الذي للأوروبيين في القرون الحديثة والذي كان معظمه بسبب اتجاهات امبريالية غير معروفة، والبعض لا يخلو من العنصرية... وفي أجزاء من دراساتي التاريخية

[91] McGuckin, *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy*, pp. 14-15.
[92] Wace and Piercy, p. 236.

لكيرلس والتي بالنسبة لي كانت ذات مغزى (وإن كانت جانبية بالنسبة للقصة الأساسية) حاولت أن أوضح كيف أنه سواء خطة جيبون Gibbon التي تُعَرِّف كيرلس على أنه أسوأ شخصية في القصة (ليدلل على كم أفسدت المسيحية الإمبراطورية الرومانية) أو البرنامج الفيكتوري *Victorian agenda* أثناء حكم الملكة فيكتوريا ١٨٣٧-١٩٠١م، الذي انتقده أخلاقيًا بشدة (كجزء من محاولة خلع الكريستولوجيات الأنجلو-كاثوليكية السكندرية *Anglo-Catholic Alexandrian Christologies* في سبيل تحقيق كريستولوجية الإخلائية-الإنسانية السائدة حديثًا

(*a newly ascendant Kenotic-Humanist Christology*)
فكل منهما كان بقوة اعتبار غير متمشي مع العصر الذي حدث فيه [ينطوي بوضوح شديد على مفارقة تاريخية] وقد تصاعد بواسطة الدارسين الذين لهم مصالح [رغبات] راسخة... ويوجد الاتهام -الذي يعوزه حس المسئولية- لشخصية كيرلس الأخلاقية، خاصة في الهراء الرومانسي والذي اُستبدل [اُعتبر] كتاريخ في رواية تشارلز كينجسلي "هيباتيا". وهذا قد كلَّف كيرلس عدم ترجمة كتاباته في السلسلة الفيكتورية للترجمات الآبائية إلى الإنجليزية مثل *The Nicene and Post-Nicene Fathers*... ويمثل جور وريلتون C. Gore and H.M. Relton أولئك الذين بينما هم

قد تضلّعوا في العقيدة المسيحية المبكرة لكنهم يدافعون عن كريستولوجية الإخلائية–الإنسانية. ولذلك كان كيرلس أحد ضحايا التغيير الجذري [غير المتوقع] في مواجهة الكريستولوجية الأنجليكانية في العصر الذي تلى حركة اوكسفورد وفي وقت كانت فيه الكنيسة تزداد في الانحياز إلى البرنامج البروتستانتي الأوروبي التحرري[٩٣].

وشهادة أخرى لـــ Wickham في "موسوعة المسيحية المبكرة" *Encyclopedia of Early Christianity :*

أفسد العنف السنوات الأولى لأسقفيته [أي أسقفية القديس كيرلس الإسكندري] في مدينة تعاني من الشغب والإعدام بدون محاكمات قانونية. بلغ الشجار بين الوثنيين واليهود والمسيحيين، وبين كيرلس والحاكم أوريستوس إلى ذروته في القتل البشع للرعاع المسيحيين للفيلسوفة الشهيرة الوثنية هيباتيا عام ٤١٥م... وكون كيرلس مسئولاً عن العنف فهذا ليس إلا أسطورة ادُخرت في رواية تشارلز كينجسلي "هيباتيا" ودامت منذ ذلك الوقت. فكونه لم يكن مسيطرًا على شعبه لعدة سنوات هو استنتاج عادل، ولم تدنه الحكومة شخصيًا في ذلك الوقت[٩٤].

---

[93] Thomas G. Weinandy and Daniel A. Keating, eds, *The Theology of St Cyril of Alexandria: A Critical Appreciation* (London: T&T Clark, 2003), pp. 205, 207-208.
[94] *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Cyril of Alexandria (ca. 375-444)" pp. 310-11.

كما كتب A. Louth المؤرخ أيضًا:

> عانى كيرلس هذا الإهمال في الأزمنة الحديثة، ففيما عدا رسائله المجمعية فهو غير مُمَثَّل في الترجمة الفيكتورية الإنجليزية المتأخرة للآباء، *Library of Nicene and Post-Nicene Fathers* مكتبة آباء نيقية وما بعد نيقية. ومما تسبب في ذلك، هو بلا شك تصويره في رواية شارلز كينجسلي الشهيرة "هيباتيا" في عام ١٨٥٣م كشخص شرير قاسٍ وعديم الضمير. ومع ذلك فكل هذا يعطي أساسًا فقيرًا لفهم شخص اعتبره المسيحيون على الأقل منذ القرن السابع فصاعدًا "خاتم الآباء"[٩٥].

ويجب هنا أن نتساءل لماذا صور تشارلز كينجسلي بخبث القديس كيرلس بهذه الصورة، ولماذا يكتب روائي عن مقتل هيباتيا بعد ١٤٣٨ عام من الحدث نفسه، مستحضرًا في ذهنه مثل هذا التخيل القدحي الزائف عن القديس كيرلس وبابويته؟! وحيث إننا قد لا يمكننا الرد المباشر على هذا السؤال فإنه من الضروري أن نؤكد حقيقة أن أعمال كينجسلي ليست تاريخًا، ولا يجب أن تُقرأ على أنها مقالة تاريخية عن الخلاف الديني والاجتماعي في القرن الخامس في الإسكندرية ولكن بالحري كقصة خيالية. ونفس الكلام نقوله بالنسبة لرواية زيدان التي نحن بصددها والمملوءة بالأخطاء التاريخية والتزييف والافتراءات على الكنيسة ورجالها وعلى رأسهم البابا كيرلس الكبير.

[95] Young, Ayres, and Louth, *The Cambridge History of Early Christian Literature*, p. 353.

يبرهن J.A. McGuckin بحق على أنها مجرد ثقافة غير مسئولة من جانب المؤرخين الذين اعتبروا أعمال كينجسلي تاريخًا أكثر منها خيالا. ونحن نكرر نفس الرأي بالنسبة لاعتبار رواية "عزازيل" تاريخًا وليس خيالاً، وهنا تكمن الخطورة، بالرغم من أنه يراوغ ويقول إنها مجرد رواية أدبية ثم يعود ليقول إن الأحداث التاريخية التي فيها هي أحداثٌ صحيحة.

وعلى أساس ما قاله J.A. McGuckin فيما يخص انتقاد البرنامج الفيكتوري بقسوة للشخصية التاريخية للقديس كيرلس، فإننا نرى بوضوح أن هذا الوضع السياسي المتصلب يُعتبر بكل أسف ثقافة غير مسئولة أصبحت في النهاية تاريخًا يحكى بالخيال.

وفي *Hypatia of Alexandria*[٩٦] by M. Dzielska "هيباتيا الإسكندرية"، التي كتبتها م. دزيلسكا، تعرض الكاتبة مراجعة للتاريخ في قصة هيباتيا ونقد الادعاءات ضد القديس كيرلس. وفي خطاب إلكتروني [e-mail] مع دزيلسكا[٩٧] قالت:

> تاريخيًا لم يكن هناك ارتباط مباشر بين تحريض القديس كيرلس وقتل هيباتيا. بالرغم مما في كتابات دامسيوس Damascius' (*Life of Isidorus*) من عبارات متحيزة تتهم

[96] Maria Dzielska, *Hypatia of Alexandria* (Cambridge: Harvard University Press, 1995).

[٩٧] Excerpt from email correspondence with Maria Dzielska on Thursday, 2 March, 2006.

أرسلته دزيلسكا مؤلفة الكتاب المذكور، ردًا على رسالة إلكترونية منا (عن طريق إحدى معارف الدير وهي Harvard Divinity School scholarship holder) للحصول على معلومات بخصوص اتهام القديس كيرلس في مقتل هيباتيا فأجابت بهذا الرد المفيد جدًا.

كيرلس، فإن المصادر الباقية تجعل هذا العمل الإجرامي يظهر على أنه قتل له طابع سياسي وليس ديني، مرتبطًا بالضغوط الاجتماعية والصراعات المتضاربة التي حدثت في ذلك الوقت في الإسكندرية بين الجماعات المتنافسة داخل السلطات العلمانية والكنسية.

القديس كيرلس الكبير



تقول سوزان ويسيل Susan Wessel في كتابها[98] "القديس كيرلس والجدل النسطوري"

Cyril of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic

لم يتورط "البارابالاني" أبدًا، رسميًا في الفعل الأكثر إرهابية لذلك الزمان وهو مقتل هيباتيا. لأنه لم يُشر أي قانون من القوانين أبدًا إلى الحادث.

وأضافت في نفس الكتاب قائلة:

في فبراير ٤١٨م، أصدر ثيئودوسيوس الثاني عدة قوانين جديدة استعادت سلطة كيرلس على "البارابالاني" مرة أخرى، ورفع عددهم إلى ٦٠٠...

فلو كان القديس كيرلس و"البارابالاني" متورطين بغير التباس في مقتل هيباتيا، لَمَا كان الإمبراطور ثيئودوسيوس قد أعاد المجموعة لتكون تحت سلطة القديس كيرلس.

ربما يكون من المعقول ظاهريًا أن نخلص إلى أن مقتل هيباتيا يمكن أن يُعزى إلى مجموعة من المسيحيين المتوحشين، لم يكونوا من "البارابالاني"، ولكنهم اعتقدوا أن مقابلات هيباتيا الواضحة جدًا مع حاكم الإسكندرية هددت سلطة (أو قوة) القديس كيرلس في المدينة.

كذلك فإن في كتاب س.ج. دافيز:

S. J. Davis' book, *The Early Coptic Papacy: The Egyptian Church and its Leaders in Late Antiquity*[99]

يشرح دافيز أن الاتهامات ضد القديس كيرلس كانت على غير

[98] Susan Wessel, *Cyrill of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic*, pp. 56, 57.

[99] (Cairo: American University in Cairo Press, 2004).

أساس وكانت غير دقيقة تاريخيًا في اتهامه بالقتل. وهو يُقَوِّض كل الاتهامات ضد القديس كيرلس بأن وضّح كيف أن الوضع كله كان معقدًا ومتفجرًا. ويشير أيضًا إلى أن "قتل هيباتيا كان على ما يبدو -ولو جزئيًا- نتيجة صراع معقد بين كيرلس وأوريستوس بخصوص السلطة الكنسية-القضائية [الشرعية]"[١٠٠]. كذلك عندما نتحدث عن البيئة الاجتماعية غير المستقرة، في الإسكندرية بسبب قتل هيباتيا نذكر ما كتبه McGuckin في كتابه

St Cyril of Alexandria: On the Unity of Christ

"القديس كيرلس الإسكندري: في وحدانية المسيح":

> نسب بعض المعلقين -وبالأخص أولئك الذين أرادوا أن يسيئوا إلى سمعة ولاهوت كيرلس- هذه الاتهامات من العنصرية والفتن والقتل له وانتقدوه بقسوة كزعيم للدهماء [مهيج أو خطيب شعبي يستغل الاستياء الاجتماعي لاكتساب نفوذ سياسي] له قليل أو بدون أية مباديء، وهذا نتيجة لقراءة الأحداث بسذاجة. فالحياة في القرن الخامس في أية مدينة بيزنطية كانت عنيفة بطريقة تبعد عن خيال وخبرة أغلب الحديثين. وعنف الرعاع كان تقريبًا جزءًا من نمط منظم للسلوك الاجتماعي راسخ الجذور في النظام الاجتماعي الروماني. كان على الأباطرة وحكام المقاطعات وبالفعل الأساقفة المسيحيين، الذين اتخذوا أكثر فأكثر قوة

سياسية من القرن الرابع فصاعدًا، أن يعترفوا به ويعالجوه [يتعاملوا معه][١٠١].

[100] Davis, *The Early Coptic* Papacy, p. 72.
[101] St. Cyril of Alexandria, *On the Unity of Christ*, trans., McGuckin, p. 14.

والمؤرخ الأنجليكاني Canon W. Bright في كتابه
A History of the Church from the Edict of Milan, A.D. 313, to the Council of Chalcedon, A.D. 451. يدافع بوضوح عن القديس كيرلس قائلاً:

لم يكن كيرلس طرفًا [شريكًا] في هذا العمل الشنيع، ولكنه كان عمل الناس الذين صاح هو أصلاً بآلامهم. وإن لم يكن هناك هجوم [انقضاض] على الكنائس لم تكن هيباتيا قد قُتلت[١٠٢].

إن سقراط كان أكبر مؤرخ خلال عصر القديس كيرلس وقد وُلد في القسطنطينية ربما في أوائل حكم ثيئودوسيوس الصغير عام ٤٠٨م[١٠٣] أو كما يقول البعض عام ٣٨٠م[١٠٤]. وهو كمساند قوي للنوفاتيين كره القديس كيرلس. ولهذا السبب –ضمن أسباب أخرى– تسبب في إساءة سمعة القديس كيرلس وكنيسته. ولكن على الرغم من ذلك، من الواضح أنه لم يقل إن القديس كيرلس دفع الرعاع إلى قتل هيباتيا.

يقول كاتب سير القديسين الروماني الكاثوليكي المثقف Alan Butler في كتابه "سير القديسين" *(Lives of the Saints, sub Jan. 28)* إنه يعتبر كيرلس بريئًا، وقد احتكم إلى صمت أوريستوس وسقراط إزاء الجريمة. يميل كل من

---

[102] Canon W. Bright, *A History of the Church from the Edict of Milan, A.D. 313, to the Council of Chalcedon, A.D. 451* (Oxford: Parker, 1860), pp. 274-275.
[103] Wace and Piercy, p. 912.
[104] *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. "Socrates Scholasticus" p. 785; Quasten, vol. 3, p. 532; *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Socrates Scholasticus (ca. 380-450)" p. 1076.

إلى أن يُحَمِّل Walch, Schröckh, Gibbon, and Milman كيرلس مسئولية قتل هيباتيا ولكن الدلائل ليست كافية[١٠٥].

لم ينسب سقراط أي دور معين لكيرلس في الأحداث التي أدت إلى مقتل هيباتيا. ورأى فقط أن العمل العنيف جلب فيما بعد الانتقاد الشديد سواء لكيرلس أو لكنيسته... لا يوجد أي دليل مباشر أو يُعَوَّل عليه يدل على أن القديس كيرلس أَمَر بحدوث ضربة مشابهة للمافيا على هيباتيا[١٠٦].

لا يوجد تقرير موثوق به يربط مباشرة بين كيرلس ومقتلها[١٠٧].

... من ثم يظهر أنه لا يوجد أي إثبات أن... (القديس كيرلس) كان مذنبًا في هذه الجريمة البشعة[١٠٨].

وفي الحقيقة أنه إذا كان القديس كيرلس مسئولاً عن مقتل هيباتيا فإن الشخص الأول الذي كان سيأخذ موقفًا ضده ويدينه هو أوريستوس، وأول من سيعلن أنه مذنب هو سقراط. وحقيقة أن أحدًا منهما لم يفعل ذلك لهي أوضح دليل على براءته.

الخلاف الكريستولوجي

بعد مقتل هيباتيا بثلاث عشرة سنة فقط كان القديس كيرلس مشغولاً في صراع عقائدي ملتهب مع نسطور بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨-٤٣١م. لهذا فقد اعتبر نسطور القديس كيرلس عدوّه اللدود

---

[105] Phillip Schaff, vol. 3, p. 943.
[106] Davis, *The Early Coptic Papacy*, p. 71.
[107] Wace and Piercy, p. 504.
[108] Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 117.

وبحث عن أي سبب لاستبعاده من المضمار الكنسي واللاهوتي. وكان ذلك دافعًا لبعض الإسكندريين الذين كان القديس كيرلس قد عاقبهم بسبب تجاوزات أخلاقية كبيرة، أن يذهبوا في ذلك الوقت إلى القسطنطينية ويقدموا شكاوي هناك ضد رئيس أساقفتهم. من ضمنها عدم أمانته في وظيفته كمنقذ للفقراء، والثانية أنه كان يسيء معاملة والدته بطريقة فظيعة، والثالثة أنه سرق، وقد أولى نسطور أذنًا لهذه الاتهامات. فشكى كيرلس هذا الأمر في خطاب جديد إلى نسطور وأرفق معه طلباً –كشئ أساسي– بأن يصلح المظلمة التى أحدثها بعظاته"[١٠٩].

ونستنتج من ذلك أنه لو كانت هناك أدنى ملامة أو اتهام للقديس كيرلس بقتل هيباتيا لكان الأجدر بأولئك المعادين له أن يوجهوا له هذه التهمة بدلاً من تلك الاتهامات المضحكة.

وهكذا فمن الضروري أن نسأل: إذا كانت اتهامات القتل ضد القديس كيرلس بها أقل القليل من الحقيقة لماذا لم يستخدمها نسطور كسلاح قوي لكي يحطم سمعة القديس كيرلس تمامًا أو يعزله أو يسجنه؟

أثناء هذا الجدل اللاهوتي كان الإمبراطور ثيئودوسيوس الثاني يحكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية ومقره القسطنطينية. ولكونها الموقع الرئيسي لإدارة الإمبراطورية كان كل القضاء الإمبراطوري والمكاتب والسجلات الرسمية كائنة في هذه المدينة. فاذا كان هناك أي دليل على أن القديس كيرلس كان متهمًا بمقتل هيباتيا لوُجد بلا شك سجل [محضر] مكتوب عن القضية.

[109] *Charles Joseph Hefele, A History of the Councils of the Church: A.D. 431 to A.D. 451, vol. 3 (Edinburgh: T. & T. Clark, 1883), pp. 20-21.*

ولكن لم توجد أية وثائق تتهم القديس كيرلس. وبالإضافة إلى هذه النقطة يجب أن نأخذ الآتي في الحسبان: كان مقر بطريركية القسطنطينية بالطبع في القسطنطينية ولذا يكون من السهل جدًا بالنسبة لنسطور أن يحصل على كل ما يريده من معلومات من السجلات الرسمية. فإذا كانت هناك حقًا أية اتهامات رسمية ضد القديس كيرلس لانتهز نسطور الفرصة لكي يستفيد من هذه الاتهامات في الازدراء بالبطريرك الإسكندري، وفي رفع دعوى رسمية ضده أمام المحكمة العليا في القسطنطينية حسبما ورد في قرارات الإمبراطور السابقة لانعقاد المجمع في أفسس. (وقد أوردنا نص هذه القرارات على صفحة ١٤٣ من كتابنا هذا). ولكننا نعلم بكل تأكيد أن سجلات تحمل مثل هذه الاتهامات لم تكن موجودة بالمرة، وأن نسطور لم يحاول أبدًا أن يثير أو يذكر مثل هذه القضية. بل لقد وصل الأمر إلى طلب الإمبراطور ثيئودوسيوس الثاني من البابا كيرلس الإسكندري أن يرأس جلسات المجمع المسكوني الثالث في أفسس، كما أن كليستين بابا روما قد أرسل إلى البابا كيرلس رسالة يطلب منه فيها أن يستخدم سلطان كنيسة روما وكنيسة الإسكندرية في الحكم على نسطور[١١٠].

وصل الصراع الكريستولوجي إلى قمته في مجمع أفسس عام ٤٣١م، ومع ذلك فنحن لا نجد في محاضر جلسات المجمع أية إشارة إلى قضية القديس كيرلس ومقتل هيباتيا. ولكن على العكس نجد تقدير الآباء الحاضرين المجمع –وعددهم مائتان– للدور الذي قام به القديس كيرلس ممثلاً فيما يلي: صاح الأسقف هيرموجينيس

---

[110] St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans, John I. McEnerney (Washington D.C: CUA Press, 1987), Letter 12, p. 69.

أسقف رينوكوروروس بتهليل في مجمع أفسس بعد قراءة كتابات القديس كيرلس ضد نسطور، قائلاً:

إنه نفس الروح القدس الواحد الذي كان مع الآباء في نيقية عندما وضعوا تعريف الإيمان كان مع روح وصوت أبينا الجزيل القداسة والمبجل بطريرك الإسكندرية كيرلس عندما كتب ذلك من أجل تصحيح الأخطاء التي قدمها نسطور الموقّر إلى الكنيسة[١١١].

(لقراءة صورة من محاضر جلسات المجمع يمكن الرجوع إلى C.J. Hefele, *A History of the Councils of the Church: Volume III*[١١٢]. وأيضًا إلى كتابنا باللغة العربية "المجمع المسكوني الثالث في أفسس ٤٣١م والصراعات العقائدية في القرنين الرابع والخامس حول شخص وطبيعة السيد المسيح").

نقرأ في بعض الوثائق التاريخية[١١٣] أن نسطور وصل إلى أفسس محاطًا بعدد كبير من الحراس المسلحين برئاسة الكونت إيريناوس. وهؤلاء الجنود كانوا في صف نسطور ويوحنا الأنطاكي وكانوا معادين للقديس كيرلس ومجمع أفسس المسكوني الكبير. وعندما وصل يوحنا الأنطاكي متأخرًا إلى أفسس حاول الأساقفة الممثلون للمجمع أن يخبروا يوحنا بقرارات المجمع، ولكن الجنود منعوهم ثم أهانوهم وضربوهم. هذه الأحداث كانت بمعرفة وموافقة الكونت إيريناوس. فلو اعتقد الجنود أن القديس كيرلس كان مسئولاً عن مقتل هيباتيا لكانت هذه فرصة لتعييره بذلك خارج المجمع، إلا

---

[111] St. Cyril of Alexandria, *On the Unity of Christ*, trans., McGuckin, p. 7.
[112] Hefele, vol. 3, pp. 44-52, 61-72.
[113] Soc. *vii*. 34., quoted in Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, p. 44.

أن حقيقة أنهم لم يتهموه تثبت مرة أخرى أن القديس كيرلس لم يكن له بأي حال أي دور في الاغتيال.

إنه ليس من العدل أن نتهم أو ندين بطريرك أية كنيسة بسبب أعمال غير قانونية قام بها بعض من شعبه الذين يتأثرون بدوافع مختلفة، أغلبها سياسية واجتماعية أو عرقية. فالبطريرك يمكنه فقط أن يوجه أتباعه ويرشدهم إلى الطريق الصحيح، ولكنه لا يمكن أن يكون مسئولاً عن أعمال كل مجموعة وكل فرد.

* * *

هل بطرس القارئ صار أسقفًا باسم مونجوس؟

يذكر في الحاشية على ص ١٥٨: *(١) في طرف الرق، مكتوب بالقلم العربي الدقيق: بطرس القارئ هذا، ارتقى بعد ذلك سُلَّم الإكليروس حتى صار أسقفًا، وقد اتخذ لنفسه الاسم الكنسي: مونجوس. هذا هو كل المكتوب بالحاشية، ولم أستطع التأكد من صحة هذه المعلومات.. (المترجم).*

تذكر المراجع العالمية* أن بطرس منغوس (أو منجوس) رسمه البابا ديسقوروس (٢٥) (٤٤٤- ٤٥٤م) شماسًا، وكان تلميذًا له. فهو إذن لم يكن قد رُسم بعد شماسًا في عصر البابا كيرلس (٢٤). وعُين بطريركًا ٤٧٧م، خلفًا للبابا تيموثاوس (٢٦) أيلوروس.

* *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. “Peter Mongus (d. 490)” p. 906.; Wace and Piercy, *A Dictionary of Christian Biography*, p. 834. ; *Encyclopedia of the Early Church*, s.v. “ Peter Mongus (477- 490)” p. 678. ; A Grillmeier, *Christ in Christian Tradition*, vol 2: part 4, Mowbray, London, 1996, p. 38. ; James Dixon Douglas, ed., *The New International Dictionary of the Christian Church: Revised Edition* (Michigan: Zondervan 1978), p. 769.

واُستبعد من البلاد بأمر الإمبراطور لتمسّكه بعقيدة ضد عقيدة مجمع خلقيدونية. ثم أُعيد بطريركًا ٤٨٢م، بعد أن وقَّع مرسوم الاتحاد الذي أصدره الإمبراطور زينون، وتنيح ٤٩٠م. فلو افترضنا صحة هذه المعلومة التي أكَّدها د. زيدان في حديثه لمجلة روزاليوسف، كما جاء في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ |٥ |٢٠٠٩م ص٥١، يكون عمر بطرس المذكور عند تنصيبه بطريركًا لا يقل عن ٨٧ سنة، إذ أن مقتل هيباتيا كان ٤١٥م، ولا يمكن أن يكون عمر بطرس أقل من ٢٥ سنة وقتئذٍ، فيكون من مواليد ٣٩٠م. إذ كيف يكون له هذا الدور القيادي، وأيضًا القوة البدنية التي وصفها د. زيدان، وهو أقل من ٢٥ سنة؟!

وهذا الافتراض ينتهي إلى أن بطرس مات ٤٩٠م وعمره حوالي ١٠٠ سنة! بالإضافة إلى أنه لم تذكر أي من المراجع العالمية الخمسة الأكثر شهرة التي أوردت سيرته والمذكورة في الحاشية ص ١١٥ أن هناك أية علاقة بين بطرس القارئ والبطريرك بطرس منغوس. ولا نعلم من أين أتى الدكتور زيدان بهذه المعلومة الغريبة، وعلى أي أساس أكَّد صحتها لمجلة روزاليوسف! مع أنه أورد في روايته أنه غير متأكِّد من صحة هذا الأمر.

الفصل الخامس

الرد على الهجوم على القديس كيرلس

ملامح شخصية القديس كيرلس

يعوزنا بالضرورة أن نتعرف على نشأة وشخصية القديس كيرلس لكي نصحح الصورة القاتمة جدًا التي رسمها له د. زيدان في الرواية.

كانت والدته هي أخت القديس ثيئوفيلس الذي صار البطريرك الثالث والعشرين على كرسي الإسكندرية. تيتّم ثيئوفيلس وأخته صغارًا فأشرف على تربيتهما القديس أثناسيوس الرسولي (البابا العشرون على كرسي الإسكندرية) واهتم بهما روحيًا وثقافيًا. وهكذا صار ثيئوفيلس بطريركًا. وأما أخته الفاضلة فتزوجت وأنجبت القديس العظيم كيرلس الذي صار البابا الرابع والعشرين (خلفًا لخاله)، ولقبته الكنيسة بعمود الدين. وهكذا نجد أن القديس كيرلس قد تربّى ونشأ في جو روحي عميق، تأصَّل في أمه التي ربَّاها القديس أثناسيوس الرسولي، والتي صار شقيقها بطريركًا على الكرازة المرقسية. فهل من المنطق أو من اللائق أن نتخيل وننسب للقديس كيرلس مثل هذه الأوصاف الذميمة، وهو قد نشأ هذه النشأة المباركة؟!

وصف الدكتور زيدان البابا كيرلس بأسلوب سيئ، مقارنًا بينه وبين المصلوب بطريقة لا تليق بهذا الإنسان العملاق في تعبه ومعاناته في الدفاع عن الإيمان المستقيم المسلَّم مرة للقديسين:

ص١٤٦ **هيبا:** *لأنه أطلَّ علينا من مقصورةٍ مُذهَّبة الجدار بالكامل، هي شرفةٌ واحدةٌ، فوقها صليبٌ ضخمٌ من الخشب، معلقٌ عليه تمثال يسوع المصنوع من الجصّ الملوَّن. من جبهة المسيح المصلوب ويديه وقدميه، تتساقط الدماءُ الملوَّنة بالأحمر القاني. نظرتُ إلى الثوب الممزَّق في تمثال يسوع، ثم إلى الرداء الموشَّى للأسقف! ملابسُ يسوع أسمالٌ باليةٌ ممزقةٌ عن صدره ومعظم أعضائه، وملابسُ الأسقف محلاةٌ بخيوط ذهبية تُغطيه كله، وبالكاد تُظهر وجهه. يَدُ يسوع فارغة من حطام دُنيانا، وفي يد الأسقف صولجان أظنه، من شدَّة بريقه، مصنوعاً من الذهب الخالص. فوق رأس يسوع أشواكُ تاج الآلام، وعلى رأس الأسقف تاجُ الأسقفيةِ الذهبيُّ البرّاق.. بدا لي يسوع مستسلماً وهو يقبل تضحيته بنفسه على صليب الفداء، وبدا لي كيرلس مقبلاً على الإمساك بأطراف السماوات والأرض.*

كانت مصر مستعمرة رومانية فُرض عليها إرسال القمح إلى القسطنطينية كما هو معروف تاريخيًا، وكما أقرّ د. زيدان في روايته "عزازيل". ولم يكن الشعب المصري شعبًا يتمتع بالغنى والرفاهية تحت وطأة الاستعمار الروماني.

وقد عاش آباء وبطاركة الكنيسة في ذلك الزمان عيشة بسيطة لم تكن لهم وفرة الغنى ولا الأُبهة التي يصفها د. زيدان، والدليل على ذلك أنهم عندما طالت إقامتهم في أفسس أيام انعقاد المجمع

المسكوني الثالث، عندما أمر الإمبراطور بعدم مغادرتهم أفسس إلاّ بعد الانتهاء إلى قرارات موحدة، أرسل القديس كيرلس رسالة إلى كهنة وشعب القسطنطينية يخبرهم أن بعضًا من الآباء المتقدمين في العمر قد انتقلوا من هذا العالم، بسبب سوء الظروف المعيشية التي عانوها بأفسس مع طول المدة. فلو كان القديس كيرلس يملك وفرة من المال لكان قد تمكن من مساعدة أولئك الآباء وإنقاذ حياتهم. وإليك ما يذكره المؤرخ هيفيلي عن لسان القديس كيرلس في رسالته ، بهذا الخصوص:

> وكان كل المجمع في حالة إنهاك شديد، وقد توفي العديد من أعضائه، وآخرون كانوا في حالة فقر شديد حتى أنهم اضطروا لبيع ممتلكاتهم ليحصلوا بمشقة على ما هو ضرورى للبقاء[١١٤].

وأيضًا نحن لا نستخدم أبدًا التماثيل منذ فجر المسيحية في كنائسنا القبطية في مصر.

وادّعى د. زيدان أن القديس كيرلس يهيج الشعب على قتل هيباتيا ويستشهد بالآية "ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً".

وذكر على لسان **القديس كيرلس** ما يلي:

ص ١٥٢ *يريدون إعادة بيت الأوثان الكبير الذي انهدم على رؤوسهم قبل سنين، ويودون تعمير مدرستهم المهجورة التي كانت تبثُّ الضلال في*

---

[114] Mansi, t. iv.p. 1435; Hardouin, t.i.p. 1593., quoted in Hefele*, A History of the Councils of the Church*, vol. 3, p. 88; St. Cyril of Alexandria, Letter 27, *Letters 1-50*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, p. 114.

العقول، ويفكِّرون في إعادة اليهود من الرَّبْع الذي سكنوه إلى داخل أسوار مدينتكم. لكن الرَّب، يا جند الرَّب، لن يرضى بذلك أبدًا. ولسوف يُحبط مساعيهم الدنيئة، وسوف يُبدِّدُ أحلامهم المريضة، وسوف يرفع قَدْر هذه المدينة العظمى، بأيديكم أنتم. مادمتم بحقٍّ، جنود الرب. مادمتم بحقٍّ، جنود الحق.. لقد صدق ربنا يسوع المسيح، حين نطق بلسان من نور، فقال: الحقُّ يطهِّركم! فتطهَّروا يا أبناء الرب، وطهِّروا أرضكم من دنس أهل الأوثان. اقطعوا ألسنة الناطقين بالشر. ألقوهم مع معاصيهم في البحر، واغسلوا الآثام الجسيمة. اتَّبعوا كلمات المخلِّص، كلمات الحق، كلمات الرب. واعلموا أن ربنا المسيح يسوع، كان يحدثنا نحن أبناءه في كل زمان، لما قال: ما جئتُ لألقي في الأرض سلاماً، بل سيفاً!

من أين جاء د. يوسف زيدان بهذه الأقوال السخيفة على لسان القديس كيرلس وعلى لسان السيد المسيح الذي لم يقل كما أورد د. زيدان "الحق يطهركم" بل قال "وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ" (يو ٨ : ٣٢).

سنتبين من أقوال القديس كيرلس وتفسيره لهذه الآية عدم صحة ما يدّعيه د. يوسف زيدان –دون أي دليل– ففي التفسير لهذه الآية "أتظنون إني جئت لاعطي سلامًا على الأرض كلا أقول لكم بل انقسامًا" (لو ١٢: ٥١) يتحدث عن السلام والمصالحة:

تفسير القديس كيرلس لإنجيل لوقا[115] عظة ٩٤:

[115] Cyril of Alexandria, *Commentary on the Gospel According to St. Luke*, trans. Payne Smith (Oxford, 1859), pp. 438, 439.

ومع ذلك فالمسيح هو سلامنا بحسب الكتب "أنه نقض حائط السياج المتوسط،... لكي يوحّد الشعبين في إنسان واحد جديد، صانعًا سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الآب" (أف٢: ٤، ١٥). لقد وحّد الأشياء السفلى بالأشياء العليا، فكيف يكون أنه لم يأت ليعطي سلاماً على الأرض؟ فماذا نقول إذن عن هذه الأشياء؟ ذلك السلام هو مُكرَّم، وهو بالحق أمر سامي جداً، ذلك أنه مُعطَى لنا من الله لأن الأنبياء أيضًا يقولون: "يا رب أعطنا سلامك لأن كل شيء أعطيتنا" (إش ٢٦ : ١٢).

ص١٥٢ **هيبا:** *اهتزت الجموعُ مهتاجةً، حتى كاد اهتياجُها يبلغ الغاية.. وراح كيرلس يكرّر بهديره الحماسيّ الآسر، قول يسوع المسيح: ما جئتُ لألقي في الأرض سلاماً، بل سيفاً! فيزداد هياجُ الجموع، ويقارب بحدَّته حدود الجنون. بدأ الناس يردّدون وراءه العبارة، ولم يكفّوا إلاّ حين قَطَع الترداد بصرخةٍ كالرعد، ذلك الضخمُ المعتادُ على إنهاء خطب يوم الأحد النارية، أعني بطرس قاريء الإنجيل بكنيسة قيصرون الذي انفجر من بين الجموع قائلاً: بعون السماء، سوف نطهّر أرض الرب من أعوان الشيطان. سكت الأسقف، فسكن الناسُ إلاّ بطرس القارئ.. ثم أخذ بعضهم يعيد وراءه عبارته، وأضاف إليها أحدهم الترنيمة المرعبة: باسم الإله الحي سنهدم بيت الأوثان، ونبني بيتًا جديداً للرب.. بعون السماء سوف نطهّر أرض الرب من أعوان الشيطان.. باسم الإله الحي سنهدم بيت الأوثان..*

من المتعارف عليه أن ما يقوله الإنسان يعطي فكرة عن شخصيته، لذلك وجدنا من المناسب هنا أن نذكر بعضًا من أقوال القديس

كيرلس الذهبية لنرى هل يمكن أن يُعقل أن مثل هذه الشخصية السمحة تُحرّض على القتل، أو تكون كما صَوّرَها د. زيدان في روايته. فليس أبلغ من كلمات القديس نفسها نردّ بها على هذه الافتراءات. فإليك بعض مقولات له تكشف عن عمق روحانية ووداعة واتضاع هذا القديس العظيم:

الرسالة رقم ٣٩[١١٦] وهي خطاب المصالحة مع البطريرك يوحنا الأنطاكي:

كيرلس يهدي التحيات في الرب إلى سيدي وأخي المحبوب وشريكي في الخدمة الكهنوتية، يوحنا. "لتفرح السموات ولتبتهج الأرض" (مز ٩٦:١١)، "وحاجز السياج المتوسط" (أف٢: ١٤) قد نُقض، والحزن قد انتهى، وكل نوع من الخلاف قد أزيل، حيث أن المسيح مخلصنا جميعًا قد منح سلامًا لكنائسه.... ٢- لذلك، منذ أن وصل إلى الإسكندرية، سيدي المحبوب جداً من الله وشريكي في الخدمة الكهنوتية وأخي بولس، قد امتلأنا بابتهاج القلب وبكل حق. مثل هذا

---

[١١٦] *الرسالة رقم ٣٩*، أرسلها البابا كيرلس إلى يوحنا الأنطاكي سنة ٤٣٣م بعد استعادة السلام والوحدة مع كنيسة أنطاكية. وتظهر هذه الرسالة فرح كيرلس بتحقيق المصالحة واستعادة صداقته مع البطريرك يوحنا. كما تحوي الرسالة وثيقة الاتحاد التي أرسلها مجمع أساقفة أنطاكية إلى البابا كيرلس، وقد وافق البابا كيرلس، على هذه الوثيقة من أجل السلام. *رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويُوحنا الأنطاكي*، رسالة رقم ٣٩، د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية، مؤسسة القديس أنطونيوس، نصوص آبائية- ٥٦، طبعة ثانية، يوليو ٢٠٠١م، ص٧.

الرجل يعمل كوسيط ويدخل في أتعاب محادثات تفوق الطاقة، وذلك لكي يهزم بغضة الشيطان، ويوحد ما كان منفصلاً، بأن ينزع العثرات التي تسبب الانقسام كلية من بيننا، ولكي يكلل كنائسنا وكنائسكم بالفكر الواحد وبالسلام. إنه من فضلة القول أن نتحدث عن الأسلوب الذي تُنزع به هذه العثرات. وإني أفترض أنه من الخير أن نهتم وأن نتكلم بما هو لازم لوقت السلام ولذلك فقد سررنا بلقائنا بالرجل المتقي لله جداً السابق ذكره، الذي ربما تصور أنه لن يحتاج إلى بذل مجهود قليل لإقناعنا أنه يجب أن نجمع الكنائس معاً إلى السلام، ونبطل ضحك أصحاب الآراء المخالفة، ونلاشي أيضاً منخاس شر الشيطان. ولكنه وجدنا هكذا مهيئين لهذا الأمر، حتى أنه لم يئن بالمرة من أي تعب. لأننا نذكر قول المخلص: "سلامي أعطيكم سلامي أترك لكم" (يو١٤:٢٧). وقد تعلمنا أن نقول في صلواتنا: "أيها الرب إلهنا أعطنا سلامك، لأن كل شئ قد أعطيتنا"[١١٧]، حتى أنه إذا صار أحد ما شريكاً في السلام المعطى من الله، فإنه لن ينقصه أي شئ صالح"[١١٨].

[١١٧] (انظر أشعياء ٢:٢٦ وترد هذه الصلاة في القداس الإلهي في أوشية السلام الكبيرة).

[١١٨] *رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويُوحنا الأنطاكي*، رسالة رقم ٣٩، ص٢٩، ٣٠.

رسالة ٥٧ من كيرلس إلى مكسيموس الشماس الأنطاكي:

علمت من الراهب المحبوب بولس أن تقواك إلى الآن ترفض الشركة مع يوحنا التقي جداً، بسبب أنه يوجد البعض في كنيسة أنطاكية الذين إما أنهم لا يزالون بعد يفكرون مثل نسطوريوس، أو كانوا يفكرون هكذا ولكنهم ربما كفوا عن ذلك. وتبعاً لذلك فليختبر لطفك أولئك الذين يقال عنهم إنهم تصالحوا، هل يتمسكون بتعاليم نسطوريوس علانية وبدون خجل ويخبرون بها الآخرين، أو أن ضمائرهم كانت قد ضعفت مرة والآن قد تصالحوا بعد أن ندموا على ما كانوا يعتقدون به، وربما يخجلون أن يعترفوا بخطئهم. لأنه يحدث أن بعضًا من مثل هذه الحالات تصير لأولئك الذين خُدعوا... ٢- فإذا رأيتهم الآن متوافقين مع الإيمان الصحيح، فلا تعد تتذكر ما قد مضى. لأننا نريد أن نراهم بالأحرى ينكرون ضلال نسطوريوس بدلاً من أن يدافعوا عنه بدون خجل، ولكي لا نظهر أننا نكرم حب الصراع دعنا نقبل الشركة مع الأسقف التقي جداً يوحنا، ونلتقي معه. ولأسباب تدبيرية علينا ألاَّ نكون متشددين جدًا في استعمال الكلمات مع أولئك الذين يتوبون لأنه تدبيريًا كما قلت، فإن الأمر يستلزم قدراً كبيراً من (المحبة)[١١٩].

[١١٩] *رسائل القديس كيرلس الإسكندري*، ج ٤، الرسالة رقم ٥٧، صـــ ٥١.

يصف هيبا القديس كيرلس بطريقة سيئة. ويحط من قدر المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية:

ص٢٤٨ **هيبا:** *التقيتُ بالأسقف كيرلس مرةً وحيدةً.. كان يومها قد مَرَّ على وجودي بالإسكندرية عامان طافحان بالملل، كنتُ خلالهما مستسلماً لمشيئة الرب، متناسيًا حلم النبوغ في الطب. قضيتُ أوقاتي هناك ما بين الصلاة مع الرهبان، وحضور القُدَّاس في أغلب الأيام، والإغفاء في أغلب القُدَّاسات. والانتظام بفصول المدرسة اللاهوتية، لأتعلَّم ثانيةً ما كان يدرسه العطارون والعشَّابون وأهل الفلاحة في بلادي الأولى.. وبقيتُ على هذه الأحوال مقيمًا، مسلوبَ الإرادة والروح، وقد أدركتُ أن أحلامي التي علَّقتني بالإسكندرية، انقلبتْ بعد ما جئت إليها كوابيس جاثمةً على روحي، ولا فكاك منها.*

ص٢٤٩ **هيبا:** *كان كلام كيرلس معي حادًّا*

وبعدما يذكر كل ما دار بينه وبين كيرلس. يعلّق في ص ٢٥٠:

هيبا: *سمعني نسطور باهتمام وقلق، حتى شعرتُ من إنصاته أنه يدرك من المعاني الكامنة وراء حكايتي، ما هو أعمق مما يبديه ظاهر الكلام.*

ص٢٥٣، ٢٥٤ يتكلم **هيبا** عن القديس كيرلس:

إنه لن يقابلني أصلاً، وإنما سيفتك بي. ولو نجوتُ منه، فهل سأنجو من العوام، ومن جماعة محبي الآلام. وهم يعلمون أنني جئتُ ممثلاً لنسطور الذي يرونه مهرطقاً! أهلُ الإسكندرية لا يرحمون، ولا يخشون عقابًا على أفعالهم. قتلوا هيباتيا على مرأى من سُكان المدينة، ولم يُعاقبوا. وقتلوا قبلها أسقف مدينتهم جورج الكبادوكي، ومزَّقوه في الشارع الكبير، فخنع الإمبراطور جوليان وهو المرتد من المسيحية، عن عقابهم واكتفى بقوله

في مرسوم إمبراطوري فاضح، إنه سيعفو عنهم إكراماً لمعبود الإسكندرية سيرابيس!

... وهل اتخاذي الإسم الكنسي هيبا سوف يخفيني عن انظار الكنيسة المرقسية وعن "مخلب الأسد" (يقصد القديس كيرلس)

ص٢٤٧ **هيبا:** *مضطرون. حتى نتفادى أنياب ومخالب الأسد المرقسي!* (يقصد القديس كيرلس)

ص٦٨ **فلاح خبيث النظرات** (يقول بعد أن سمع كاهن يلقي عظة عن المحبة):*... وهل يحب سيده كيرلس، إخوانه اليهود؟ ضحك المحيطون به بتكتُّم، وأضاف أحدهم: طبعًا، كيرلس يحبهم إلى درجة موتهم وطردهم خارج الأسوار..*

من تفسير القديس كيرلس لإنجيل لوقا:

- الإنسان الرحيم ينبغي بالضرورة أن يكون مستعدًا أن يغفر، لكي يُظهر أعمال المحبة حتى لأعدائه[١٢٠].
- عظيم هو مجد الرحمة، ولذلك فحق هو ما كُتب أن "الإنسان له قيمة عظيمة، والإنسان الرحيم هو مكرم جدًا" (أم٢٠: ٦سبعينية) لأن الفضيلة تردنا إلى صورة الله، وتطبع على نفوسنا صفات معينة كما لو كانت من الطبيعة السامية جدًا[١٢١].
- بل من واجبنا بالحري أن يكون لنا رحمة على الضعفاء، مثل أولئك الذين انغلبوا من هجمات الشهوات واصطيدوا داخل

---

[١٢٠] *تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الأسكندري* – المركز اللأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، نصوص آبائية- الطبعة الثانية ٢٠٠٧م، ص ١٣٩، ١٤٠.

[١٢١] *المرجع السابق*، ص ١٤٠.

شباك الخطية، وأن نصلي لأجلهم ونعظهم، ونقيمهم إلى التعقل ونسعى نحن أنفسنا ألا نسقط في أخطاء مماثلة لأن "من يدين أخاه، يذم الناموس ويدين الناموس" (يع٤: ١١)[١٢٢].

• الذين اختاروا لأنفسهم الحياة الفاضلة، وساروا بلا تراخٍ في طريق مشيئة الله... هؤلاء يتحلّون بطول الأناة، ولا يلومون الذين أساءوا إليهم. وحتى إذا ما أساء إليهم أحد، فإنهم لا يفكرون في هذا الأمر. فبطء الغضب هو فضيلة ممتازة، وهو ثمرة تلك المحبة التى قال عنها الرسول الحكيم إنها: "تكميل الناموس" (رو١٣: ١٠)[١٢٣].

رسالة ٥٨ للقديس كيرلس إلى مكسيموس الشماس الأنطاكي:

٢- أرى بنظرة عامة أن التقي جدًا الأسقف يوحنا نفسه، يحتاج إلى تدبير كثير لكيما يربح أولئك المتمردين. **وإن** المصادمات الجافة كثيراً ما تنفّر أولئك الذين لحقهم الخزي، والأفضل أن ننقذ باللطف أولئك الذين كانوا مقاومين، بدلاً من أن نجرحهم بالتدقيق الهزيل. وكما أنه لو كانت أجسادهم مريضة لكان من الضروري بلا شك أن نمد يداً إليهم، هكذا أيضاً حيث إن نفوسهم متوجعة فهناك إحتياج إلى تدبير كثير كما لو كان علاجاً مجهزاً لهم. وقليلاً قليلاً سيتحولون هم أنفسهم إلى موقف يتسم بالإخلاص. وهذا هو ما سماه

---

[١٢٢] *المرجع السابق*، ص ١٤١.

[١٢٣] *المرجع السابق*، ص ٣٦٧.

المغبوط بولس "أعوانًا وتدابير" (١كو٢٨:٢)... ٣- لذلك فلا يضطرب تقواك ولا تحكم على المفاوضات الجارية الآن بدقة شديدة خاصة في الوقت الحاضر، فنحن لا نريد أن نقطع بل أن نربط، تابعين كلمات مخلصنا إذ يقول: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" وإن كان كذلك، فكما يقول أيضاً، "لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (لو٥: ٣١،٣٢)[١٢٤].

رسالة ٦١ من كيرلس إلى يوحنا الأنطاكي توضح محبته للسلام:

١- الرغبة في السلام هي الخبر الفائق والأسمى جداً. وأقول إن أولئك الذين يريدون أن يعتنقوا أفكارًا مَرْضِية للمسيح ينبغي أن يثبتوا في هذه الغيرة بدون توقف بل وبشجاعة. ومع ذلك فليس من المناسب بسبب هذا (أى الرغبة في السلام) أن نزدري بفضيلة التقوى في المسيح. إنه أمر ضار جداً أن نرتعب، وأما أن نحب السلام بالحق والمنافع النابعة منه فهو أمر مختلف. وكذلك هو أمر ضار جدًا أيضًا أن نتسبب في صنع، لا الأمور التي بها يتقوى السلام ويصير غير متزعزع، بل تلك الأمور التي تحطمه وتقلبه ولا تسمح باستمرار ما صُنع السلام لأجله[١٢٥].

---

[١٢٤] *رسائل القديس كيرلس الإسكندري*، ج ٤، الرسالة رقم ٥٨، صـ ٥٢، ٥٣.

[١٢٥] *المرجع السابق*، الرسالة رقم ٦١، صـ ٥٩.

رسالة ٦٢ من كيرلس إلى يوحنا الأنطاكي:

١- استلمت الآن بسرور الرسالة المملوءة بهجة المرسلة من كمالك، لأن "ما هو الحسن وما هو المُبهج إلاّ أن يسكن الإخوة في وحدة معًا" (مز١٣٢: ١ سبعينية) **بالوفاق ونفس الإرادة الصالحة في المسيح مرتبطين بالمحبة أحدهما بالآخر، مع رفع العثرات من وسطهما**، تلك التي أُدخلت – لا أعلم كيف – والتي أزيلت بنعمة المخلص بواسطة قداستك مرة، وسوف تُطفأ في المرات الأخرى. وهذا ما أظن أن الله قاله بصوت النبي "اعبروا بأبوابي... وأزيلوا الحجارة من هذا السبيل" (إش٦٢: ١٠ سبعينية)... ٢- لذلك، فليته يحدث أن يكرم الجميع الأمور الأفضل، أو على الأقل أن يكفّوا الآن عن محاربة الحق[١٢٦].

عن اتضاع القديس كيرلس

رسالة ٦٤: من كيرلس إلى مكسيموس ويوحنا وثلاسيوس، الكهنة والأرشيمندريتيين[١٢٧]

لا تهملوا في تقديم الصلوات لأجلي لأن ضغط الأعمال الشديد الذي يتدفق من كل النواحي هو مثل ضجيج الأمواج الذي لا يُحتمل. إلاّ إني أثق أيضًا أنه بصلوات تقواكم سيكون هناك أيضًا الهدوء والسلام[١٢٨].

---

[١٢٦] *رسائل القديس كيرلس الإسكندري*، ج ٤، الرسالة رقم ٦٢، صـ ٦١.

[١٢٧] الأرشمندريت كلمة يونانية يُلقّب بها رئيس الرهبان أو رئيس الدير.

[١٢٨] *رسائل القديس كيرلس الإسكندري*، ج ٤، الرسالة رقم ٦٤، صـ ٦٤.

من تفسير القديس كيرلس لإنجيل لوقا:

... كان ضروريًا أن يشد (السيد المسيح) ذهن المعلمين القديسين بإحساس عالٍ من واجب الصبر، لكي يجعلهم يحتملون كل ما يمكن أن يحل بهم، حتى لو شتمهم الناس وتآمروا ضدهم بلا مخافة. وهكذا كان سلوك السيد المسيح نفسه قبل كل الآخرين، وذلك كمثال لنا، إنه بينما كان لا يزال معلقًا على الصليب الثمين، وبينما كان الشعب اليهودي يهزأون به، فإنه قدم لله الآب صلوات من أجلهم قائلاً: "اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لو٢٣ : ٣٤). وأيضًا إستفانوس المبارك بينما كان يُرجَم بالحجارة، جثا على ركبتيه قائلاً: "يَا رَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هَذِهِ الْخَطِيَّةَ" (أع ٧ : ٦٠). وبولس المبارك أيضًا يقول "نُشْتَمُ فَنُبَارِكُ... يُفْتَرَى عَلَيْنَا فَنَعِظُ" (١كو٤: ١٢، ١٣). لذلك فإن تعليم الرب كان ضروريًا للرسل القديسين، ونافعًا جدًا لنا نحن أيضًا لكى يلزمنا أن نعيش بطريقة صائبة ومثيرة للإعجاب، لأنها مملوءة من كل حكمة[١٢٩].

يذكر د. زيدان على لسان نسطور، متهمًا القديس كيرلس إتهامًا جديدًا:

ص٢٤٥ **نسطور**: *كيرلس يريد أن يعلن وصايته على جميع الكنائس في العالم.*

[١٢٩] *تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الأسكندري*، ص١٣٧، ١٣٨.

رسالة ٧٤: كيرلس يرسل تحياته في الرب إلى سيدي المقـــدس وأخي وشريكي في الخدمة الأسقف رابولا:

١- إن بولس الحكيم جدًا يؤازر نفوسنا بقوة لا تُغلب وثقة لا تهتز حينما يكتب هكذا: "من سيفصلنا عن محبة المسيح، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف" (رو٨:٣٥) لأنه ليس هناك شئ غير محتمل بالنسبة لأولئك الذين يقررون في أنفسهم أن يجاهدوا جهاد الإيمان الحسن، ليكملوا السعي ويحفظوا الإيمان لكي يصلوا إلى الإكليل غير الفاني (انظر ٢تي٤:٧،٨). لأنه كما أن أولئك يعرفون كيف يوجّهون السفينة حسنًا، ليس حينما يبحرون في مناخ هادئ فقط، بل حينما ينقذون سفينتهم من الأمواج العاصفة، هؤلاء يُعرفون كبحارة مهرة جدًا، هكذا أيضًا فإن الذين يؤتمنون على قيادة الكنائس المقدسة، يظهرون ليس عندما تكون الأحوال هادئة مستقرة، بل حينما تُظهر حكمتهم نفسها أكثر في التجارب، وفي الاحتمال والثبات، وفي مقاومتهم القوية للابتداعات المخزية التي يخترعها الهراطقة من داخل قلوبهم[١٣٠].

٢- ولذلك فإن قداستك كنت دائمًا لامعًا، ولكن بنوع خاص الآن، لأنك قد صرت عمود الحق وقاعدته (انظر ١تي٣:١٥)

[١٣٠] *رسائل القديس كيرلس الإسكندري*، ج ٤، الرسالة رقم ٧٤، صـ ٨٩.

لكل الذين في الشرق وهم يطاردون -مثل مرض مميت- تجاديف نسطوريوس الكريهة التي برزت حديثًا.

... فإني بالضرورة أيضًا وبحسب مقدرتي قد وضعت هذا البحث ضد تعليمه الزائف، كما هو واجب عليَّ. وقد كتبته في كتاب أدحض فيه تجاديفه بواسطة قوة الحق. وقد أرسلت هذا أيضًا إلى قداستك. ويمكنك أن تريني لطفك وكياستك بأن تُحسّن فيه بما يزيد عن قدرتي الذهنية[١٣١].

من شرح وتفسير القديس كيرلس لإنجيل يوحنا[١٣٢]:

- ... فإن التواضع الذي مارسه (السيد المسيح) كان عظيمًا جدًا، لدرجة أنه إتزر بمنشفة وغسل أرجل تلاميذه. وإذ لنا في عمل المسيح هذا مثال ممتاز جدًا للعناية المملوءة حبًا، وصورة واضحة جدًا لنتمثل به في محبة بعضنا البعض، فلنكن متضعين في أفكارنا، أيها الأحباء، ولنعتبر أنه مهما كان مقدار صلاحنا، فإن إخوتنا قد بلغوا إلى فضائل ممتازة أكثر من تلك الموجودة فينا. فإن رغبة ذاك الذي هو نموذجنا العظيم، هي أن نفكر وأن نرغب في التفكير بهذه الطريقة (ص٦٢-٦٣).

---

[١٣١] *رسائل القديس كيرلس الإسكندري*، ج ٤، الرسالة رقم ٧٤، صـ ٩١.

[١٣٢] *شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الأسكندري*- نصوص آبائية، الجزء السابع، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، عام ٢٠٠٧م. ترجمة عن كتاب

Commentary on the Gospel According to St. John by St. Cyril Archbishop of Alexandria, trans. from Greek by Rev. Thomas Randell (Oxford, 1885).

وهذا النص موجود باليونانية في (Migne, *Patrologia Greaca*, vol. 74: 74-177)

• ربنا يسوع المسيح... يضع ناموس المحبة كأساس وحجر زاوية لكل ما هو صالح، ويعني بالمحبة ليست تلك التي بحسب الناموس الموسوي، بل المحبة التي فاقته لذلك يقول: "وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أيضًا بَعْضُكُمْ بَعْضاً" (يو ١٣ : ٣٤)... "تحب الرب إلهك من كل قلبك... وقريبك مثل نفسك"، فبينما قد وضع المحبة لله في وضعها المناسب قبل كل وفوق كل المشاعر الأخرى، فإنه قد وضع في المكان التالي لها محبتنا بعضنا لبعض، وقد ربط المحبة لله بمحبتنا بعضنا لبعض، مشيرًا بذلك أن المحبة لله لن تكون موجودة بشكل صحيح، إن لم تكن مصحوبة بالمحبة الواجبة لأخينا لأننا جميعًا أخوة بعضنا لبعض. وبالمثل فإن يوحنا الحكيم جدًا، الممتاز جدًا في المعرفة وفي التعليم، يقول: "من يحب الله يحب أخاه أيضًا" (١يو ٤: ٢١)... ينبغي أن نبحث هذا السؤال: كيف أحبنا المسيح؟ لكي نفهم المعنى الكامل لهذه الكلمات... ربنا يسوع المسيح أحبنا أكثر جدًا من محبته لنفسه. وإلا لما كان قد نزل إلى وضاعتنا من مجده الأصلي... هكذا هو يريد أن يكون لنا فكره نفسه، بأن نجعل محبتنا لأخوتنا فوق كل دوافعنا الأخرى، مثل الشهرة أو الغنى؛ ولا نتردد –عند الضرورة– حتى إلى الموت بالجسد، من أجل خلاص أخينا. وهذا هو ما فعله بالضبط تلاميذ مخلصنا المغبوطون، وكذلك أيضًا أولئك الذين جاءوا بعدهم؛

حاسبين خلاص الآخرين أهم من حياتهم الشخصية، متحملين التعب بكل أنواعه، وقد عانوا أفظع الآلام، لكيما يُخلِّصوا نفوس الذين كانوا معرّضين للهلاك. فمثلاً، يقول بولس في موضع ما: "أموت كل يوم" (١كو١٥: ٣١) وفي موضع آخر "من يضعف وأنا لا أضعف؟ من يعثر وأنا لا ألتهب؟" (٢كو١١: ٢٩) وهكذا فإن المخلص يحثنا أن نمارس دائمًا المحبة التي تفوق الناموس، كأساس لكل عبادة حقيقية وكاملة لله؛ وبهذا نعرف جيدًا، إننا بكل يقين، سنكون مرضيين جدًا في نظر الله، وباتباعنا لمجال المحبة الإلهي الذي غرسه فينا، فإننا سنصل إلى التمتع ببركات عظيمة وكاملة. (ص١١٠ -١١٢).

انظر أيضًا تحت الباب الثاني، الفصل الرابع الخاص بالحروم الإثني عشر، حيث يكشف لنا القديس كيرلس عن مشاعره وما في قلبه من جهة نسطور.

لم يكن القديس كيرلس محبوبًا فقط من شعبه في الإسكندرية بل أيضًا في خارج الإسكندرية. وكما أوضحنا في بحث سابق، تقدير الكنيسة الجامعة للقديس كيرلس، وإلى يومنا هذا يظل القديس كيرلس الأب المشترك للكنيسة الجامعة. ولم تنل الصورة القاتمة المغرضة التي روَّج لها أضداده عبر التاريخ، من شهرته الذائعة وتَفَوقه كأب ومعلِّم للعقيدة المسيحية الأرثوذكسية، تُجلّه وتحترمه جميع الكنائس المسيحية عبر الدهور والأزمان وإلى يومنا هذا.

يقول د. زيدان على لسان رابولا عن المراسلات الودّية بين روما والإسكندرية:

ص٢٤٣ **ربولا:** *فقال ما معناه إن التقارب بين الإسكندرية وروما مؤقّتٌ، ولا هدف له إلا إضعاف أسقفية القسطنطينية في شخص الأسقف نسطور!*

ص ٢٤٨ **هيبا:** *لفظ نسطور الوصف الشهير للإسكندرية، بسخريةٍ لا تخفي غيظه من وصف المدينة بالعظمى، وحرص كنيستها على الاستعلاء فوق مدينة المقر البابوي روما، ومدينة المقر الإمبراطوري القسطنطينية.*

وإليك شهادة موثقة من بطون التاريخ، من بابا روما المعاصر للقديس كيرلس يعبّر فيها عن محبته العميقة وتقديره الشديد للقديس كيرلس. وهذه هي الخلفية التاريخية للرسالة: عقد البابا كليستين مجمعاً في روما (٤٣٠م) تقرر فيه تأكيد لقب العذراء "والدة الإله" وأعلن فيه أن نسطور هو هرطوقى[١٣٣].

وأرسل البابا كليستين إلى البابا كيرلس السكندري تفويضاً في إصدار حكم علني ضد نسطور إذا استمر على ما هو عليه.

---

[133] Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, p. 25.

ونص هذا الخطاب:

كليستينوس إلى الأخ المحبوب كيرلس

١- كانت الوثائق التي أرسلتها قداستكم بواسطة ابننا بوسيدونيوس الشماس، هى سبب فرح لنا في حزننا، فتبدل حزننا إلى سرور. فبينما نحن ننظر ونفكر في ما قاله ذاك الذي يحاول أن يزعج الكنيسة في القسطنطينية بعظاته المنحرفة، فقد غمر نفسنا ألم ليس بقليل. لقد تأذينا من أشواك أفكار مختلفة، وكنا نفكر ملياً في طريقة نساعد بها في المحافظة على الإيمان. ولكن حينما حولنا انتباهنا إلى كتابات أُخوّتكم، ظهر لنا في الحال علاج مُعَد تماماً بواسطته يمكن أن يطرد المرض المهلك تماماً بعلاج صحي. أنا أعني فيض الينبوع النقي الذي يفيض من رسالة محبتكم التي بها تتنقى كل قذارة الينبوع الجاري الردئ، فينفتح للكل طريق للفهم الصحيح لإيماننا.

٢- ولذلك فكما أننا نختمه بسمة ونلومه، هكذا أيضًا في محبة الرب نعانق قداستكم كما لو كنت حاضراً في كتابتك، إذ نرى أن لنا نفس الفكر الواحد عن الرب. وليس عجيباً أن أسقف الرب الحكيم جداً يحارب من أجل محبة الإيمان بمثل هذه الشجاعة، حتى أنه يقاوم جسارة الأعداء فوق العادية، ويشدد أولئك الذين أؤتمن عليهم بمثل هذه التحذيرات. وكما أن الأولين هم مرارة لنا، هكذا فالأخيرين هم حلاوة لنا، وكما أن أولئك غير أنقياء، هكذا هؤلاء هم أنقياء. ونحن نفرح إذ نرى أن مثل

هذه اليقظة ممثلة في تقواكم حتى أنكم تفوقتم على أسلافكم، الذين كانوا دائماً مدافعين عن التعليم المستقيم. وحقاً تنطبق عليك جداً الشهادة الإنجيلية التي تقول إن "الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف". فكما أنك راعٍ صالح، هكذا هو ليس مستحقاً حتى أن يدان كأجير ردئ، ويتهم لا لأنه ترك خرافه الخاصة فحسب بل لأنه اُكتشف وهو يقطعها إرباً.

٣- أيها الأخ الحبيب، لقد كنا مزمعين أن نضيف بعض التفاصيل أيضًا، لو لم نكن قد رأينا أن أفكارك تتفق تماماً مع أفكارنا، ونحن نصدق على أنك أقوى مدافع لتثبيت الإيمان. فكل شئ كتبته قداستكم بخصوص هذا الأمر قد سُلِّم إلينا بالترتيب بواسطة ابننا بوسيدونيوس الشماس. لقد أفضحت كل فخاخ التعليم الغادر، وقويت الإيمان حتى أن قلب أولئك المؤمنين بالمسيح إلهنا لا يمكن أن ينجذب إلى الجانب الآخر. وهذا يعتبر انتصار عظيم لإيماننا لنعلن عقيدتنا بقوة، وبذلك نهزم التعاليم المضادة، بواسطة شهادة الكتب الإلهية. ما الذي يمكنه (نسطور) تحقيقه بعد ذلك؟ وإلى أين سيتجه هو نفسه، هذا الذي بكونه صار محباً للابتداع الكفري، حيث إنه رغب أن يخدم نفسه بأفكاره الخاصة بدلاً من أن يخدم المسيح، كان يرغب في أن يؤذي الشعب الذي أؤتمن عليه، بسُم عظاته الخاصة؟ إنه من الضروري أن نفهم هذا بوضوح وأن نتذكر

إنه ينبغي للواحد أن يهرب بدلاً من أن يسعى وراء تساؤلات غبية لا تساعد على تقدم صحة النفوس بل تؤدي إلى هلاكها.
٤- ومع ذلك، إن كنا نستطيع، ينبغي أن نحمل ونستعيد ذاك الذي يسرع نحو الجرف أو هو بالحرى على الجرف ذاته ومنه سيسقط، لئلا نعجل بسقوطه بعدم إنقاذنا إياه. والمسيح إلهنا الذي تثار أسئلة حول ولادته، علَّمنا أن نجاهد من أجل خروف واحد، راغباً أن يضعه حتى على منكبيه لئلا يتعرض للذئب كفريسة، وأيضًا فالذي علّمنا أن نتحرك سريعاً لإنقاذ خروف واحد، كيف يريدنا أن نبذل جهداً لأجل راعي الخراف نفسه (قصد نسطور أسقف القسطنطينية)، الذي إذ قد نسى الاسم نفسه ورسالة الراعي، حوّل نفسه إلى ذئب مفترس، راغباً في أن يهلك القطيع الذي كان ينبغي عليه هو نفسه أن يحافظ عليه؟ يجب أن تبعد هذا الراعي من حظيرة الحملان إذا لم يمكننا إصلاحه كما نريد. إنها رغبتنا أن يكون هناك بعد رجاء للغفران لمن يتم إصلاحه؛ لكي يعود ويحيا، إن لم يكن سيحطم حياة أولئك الذين أؤتمن عليهم.
٥- ولكن ينبغي أن تكون هناك محاكمة علنية ضده إذا استمر على ما هو عليه، لأن مثل هذا الجرح ينبغي أن يُبتر، وهو الذي بواسطته يؤذي ليس عضوًا واحدًا فقط ولكنه ينخر في جسم الكنيسة كله. لأنه ماذا يفعل وسط أولئك الذين يتفقون بعضهم مع بعض، ذلك الذي يختلف عن إيماننا ويبدو متفقاً مع

نفسه فقط؟ لذلك فالذين قطعهم من الشركة بسبب إنهم تكلموا ضده، دعهم يشتركون في شركتنا. ودعه يعرف أنه لا يستطيع أن يشترك في شركتنا إن ظل في هذا الطريق المنحرف بمعارضته للتعليم الرسولي.

٦- وبناءً على ذلك، حيث إن التعليم الأصيل لكرسينا هو في اتفاق معكم، فتمم هذا القرار بحسم دقيق مستخدماً خلافتنا الرسولية. وفي خلال عشرة أيام ابتداءً من يوم هذا التذكير، ينبغي عليه إما أن ينقض عظاته الرديئة باعتراف مكتوب ويؤكد بقوة إنه هو نفسه يعتنق الإيمان بخصوص ميلاد المسيح إلهنا، الذي تعتنقه كنيسة روما وكنيسة قداستكم كما يعتنقه الأتقياء في كل العالم، وإذا لم يفعل هذا، فقداستكم، بسبب عنايتكم بتلك الكنيسة، تعلم في الحال إنه يجب أن يُبعد من جسمنا بكل طريقة، وهو الذي لا يرغب أن يقبل الشفاء من أولئك الذين يعالجونه وهو يُبْعَد كوباء ردئ يؤدي إلى هلاكه وهلاك أولئك الذين أؤتمن عليهم.

٧- وكتبنا هذا نفسه إلى إخوتنا القديسين وزملائنا الأساقفة، يوحنا (أنطاكيا)، وروفس (تسالونيكي)، ويوفينايوس (أورشليم)، وفلافيانوس (فيلبي)، لكي يكون حكمنا بخصوصه – أو بالحري حكم المسيح الإلهي ظاهرًا[١٣٤].

---

134 Migne, J. P., *Ελληνικη Πατρολογια (Patrologia Graeca),* vol. 77, Κεντρον Πατερικων Εκδοσεων, Αθεναι 1994, Letter XII, Pope St. Celestine Letter to St. Cyril, p. 93; St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, pp. 69-70.

كما رأينا من هذه الشهادة التاريخية، كيف أن بابا روما أيضًا كان متفقًا مع البابا السكندري القديس كيرلس في آرائه العقائدية. بل إن بابا روما وليس القديس كيرلس، هو الذي حدد المهلة المعطاة لنسطور ليراجع نفسه، وطالبه "أن ينقض عظاته الرديئة باعتراف مكتوب"!

الفصل السادس

التزييف في أحداث مجمع أفسس
هل حضر الإمبراطور المجمع وترأّسه، وهل حضر بابا روما أيضًا المجمع؟

ص٣٥٤ **هيبا:** *ما ذاك يا أبت، الذي جرى في إفسوس؟*

رئيس الدير: *هو صخبُ الدنيا، وأطماعها التي أمالت القلوب.*

- *وكيف سينتهي الأمر؟*

- *هم اليوم يعقدون المجمع رسمياً، برئاسة الإمبراطور وبابا روما.. مع أنه عيدُ القيامة.*

- *.... هل تظن أن هذه الغُمة ستنزاح؟*

- *لا أظن يا هيبا.. الشيطان يصطخبُ في إفسوس.*

ص٣٥٨ **الراهب الفريسي:** *المجمعُ المقَّدس، برئاسة الإمبراطور، أعاد كيرلس إلى رتبته الأسقفية، وأقرَّ عزل نسطور.. ونفيه!*

لم يحضر بابا روما المجمع ولكنه أوفد ثلاثة مندوبين عنه. وكان بابا روما صديقًا حميمًا للبابا كيرلس كما يتضح من رسالته التي أوردنا نصّها من قبل. وعُقد المجمع في عيد الخمسين وليس في عيد القيامة. ولم يحضر الإمبراطور المجمع كما يتضح مما ذكره المؤرخ هيفيلي:

وفي خطاب ثان موجه إلى الإمبراطور ثيئودوسيوس في ١٥ مايو عام ٤٣١م، يقول البابا (يقصد بابا روما) إنه لن يتمكن من حضور المجمع شخصيًا ولكن سيحضره بواسطة مندوبيه. ولا ينبغى أن يسمح الإمبراطور بأى ابتداعات أو تعكير لسلام الكنيسة، وبأنه ينبغي أن ينظر إلى مصالح الإيمان أكثر من مصالح الدولة، وإلى سلام الكنيسة بكونه أهم من سلام الأمم (الدول)[١٣٥]. وفيما يختص بمندوبيه في المجمع، فقد عيّن البابا أسقفين هما أركاديوس وبروجيكتوس ومعهما القس فيليبس وأعطاهم تفويضًا أن يأخذوا جانب كيرلس بالكامل...

كما لم يستطع البابا، هكذا لم يستطع أى من الأباطرة الحضور شخصياً إلى أفسس:

لذلك عيّن ثيئودوسيوس الثانى، باسمه الخاص وباسم زميله فالنتينيان الثالث، الكونت كانديديان قائد الحرس الشخصي للبلاط كحامي protector للمجمع. وفي المرسوم الذي وجهه إلى المجمع عن هذا الموضوع، يقول إن كانديديان لن يشارك بطريقة مباشرة في المناقشات على النقاط المتصارع عليها في الإيمان؛ فليس من اللائق أن شخصًا لا ينتمي إلى عداد الأساقفة أن يورط نفسه في فحص وتقرير خلافات لاهوتية. على العكس من ذلك، كان على كانديديان أن ينقل

[135] Mansi, t. iv. P. 1291; Hardouin, t.i. p.1473., quoted in Hefele, vol. 3, p. 42.

من المدينة الرهبان والعلمانيين الذين أتوا إلى أفسس أو ينبغي أن يأتوا فيما بعد من قِبَل حب الاستطلاع، حتى لا تعم الفوضى والبلبلة بسبب هؤلاء الذين لم تكن هناك حاجة إليهم في فحص العقائد المقدسة. وكان عليه أيضًا أن يراقب حتى لا تؤدي المناقشات بين أعضاء المجمع إلى منازعات عنيفة تعوق الفحص الصحيح للحقيقة؛ وعلى النقيض أيضًا كان عليه أن يرى أن كل بيان ينبغى أن يُسمع بعناية، وأن كل واحد يقدم رأيه أو اعتراضاته بدون أى معوقات، حتى يمكن الوصول في النهاية إلى قرار يُتخذ بالإجماع بسلام بواسطة المجمع المقدس. وفوق كل هذا، كان على كانديديان أن ينتبه ألاّ يحاول أحد أعضاء المجمع الرجوع إلى بلده أو إلى المحكمة أو إلى أي مكان آخر قبل ختام محضر الجلسة. بالإضافة إلى ذلك كان عليه ألا يسمح بعرض أي خلاف آخر أمام المجمع للحكم فيه قبل تسوية النقطة الأساسية للعقيدة. علاوة على ذلك فقد أعطى الإمبراطور تعليمات بألا يُسمح بتوجيه أي اتهامات مدنية ضد أي عضو في المجمع، سواء أمام المجمع نفسه أو أمام محكمة العدل في أفسس؛ ولكن أثناء هذا الوقت فقط تكون المحكمة العليا في القسطنطينية هي المحكمة المسئولة عن مثل هذه الحالات. وأخيرًا فإن كونت إمبراطوري آخر هو إرينيئوس سوف يأتي إلى أفسس ولكن فقط لمرافقة صديقه ومحبوب الله

الأسقف نسطور، ولذلك لا ينبغي له أن يشارك في جلسات المجمع ولا في مهمة كانديديان[١٣٦].

* * *

هل صاغ المجمع قانون إيمان جديد ووضع إضافات على قانون نيقية؟

ص٣٥٨ **الراهب الفريسي:** *الأساقفةُ تخلَّوا عن نسطور، عدا يوحنا أسقف أنطاكية. ولم يشأ الإمبراطور وبابا روما أن يُغضبا الإسكندرية، للأسباب المعروفة. ولما رأى الأسقف رَبُولا والذين معه، أن كَفَّة الميزان تميل لصالح كيرلس، انقلب على نسطور وأدانه. وقد صاغ المجمع قانونًا جديدًا للإيمان، فيه إضافاتٌ على القانون الذي أقرَّ قبل مائة عام في نيقية.*

لم يحدث في مجمع أفسس أن أضيف أي شئ لقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني. يذكر المؤرخ هيفيلي أن مجمع أفسس في **جلسته السادسة** ذكر الآتي:

أعطى المجمع الآن أمرًا، تحت طائلة القطع والعزل، بأنه لا يجب استخدام قانون إيمان آخر غير قانون الإيمان النيقاوي، وعلى الأخص لا يُستَخدم ذاك الذي قَدَّمَه كاريسيوس، وتمت قراءة الفقرات الشهيرة التي قُرِئَت في الجلسة الأولى من كتابات نسطور مرة أخرى، وبعد ذلك

[136] Hardouin, t.i. p. 1346; Mansi, t.iv. p. 1118. German in Fuchs, l.c. S. 605., quoted in Hefele, vol. 3, p. 43.

وقَّع جميع الموجودين وعلى رأسهم كيرلس على القرارات[١٣٧].

وفي **جلسته السابعة** قد أصدر عدة قوانين نذكر منها القانون السابع:

قانون ٧: بعد قراءة قانون الإيمان الذي سنَّه الآباء الثلثمائة والثمانية عشر القديسون في نيقية والقانون المغاير الكفري لثيئودور الموبسوسيتي والذي قدمه كاريسيوس كاهن فيلادلفيا لمجمع أفسس، قرر المجمع إنه لا يُسمح لأحد بإخراج أو نشر أو تأليف إيمان آخر غير ذاك الذي وضعه بالروح القدس الآباء القديسون الذين اجتمعوا في نيقية*.

*** * ***

هل عُقد المجمع قبل وصول الإمبراطور؟

ص٣٥٣ **بعض الرهبان:** *بادر الأسقف كيرلس وعَقَد المجمع قبل وصول الإمبراطور.... ولما وصل الإمبراطور من القسطنطينية ومعه بابا روما، غضبا مما جرى، وقررا مع جمع الأساقفة والقسوس عزل الأسقفين الكبيرين، وحَرْمهما!.. صار نسطور وكيرلس محرومين، مطرودين من رتبة الأسقفية، معزولين عن الكنيسة.*

[137] Hefele, vol. 3, p. 71.

* Hefele, vol. 3, pp. 74,75.

لم يصل الإمبراطور أصلاً ولم يحضر المجمع كما ذكرنا قبلاً.
وطبقًا للأوامر الإمبراطورية، كان يجب أن يبدأ المجمع في عيد الخمسين الموافق ٧ يونيو من عام ٤٣١م[١٣٨]، وكان نسطور مع أساقفته الستة عشر بين الأوائل الذين وصلوا أفسس. وكما لو كان ذاهبًا إلى معركة، كان يرافقه عددٌ كبيرٌ من الرجال المسلحين[١٣٩].
كان يُنتظر وصول أحد البطاركة وهو بالتحديد يوحنا الأنطاكي.
وقد قال إن أساقفته لن يتمكنوا من ترك إيبارشياتهم قبل أحد التجديد ثم إنهم محتاجون إلى اثنى عشر يومًا للسفر إلى أنطاكية وإلى تسعة وثلاثين يومًا منها إلى أفسس وبالتالي لن يتمكنوا من الوصول إلاّ بعد مضي بضعة أيام بعد عيد الخمسين[١٤٠]. وأخيرًا بحلول عيد الخمسين[١٤١] وصل يوحنا في منطقة بالقرب من أفسس وأرسل إلى كيرلس خطابًا، ما زال موجودًا، مملوءًا ودًا، وبيّن له أن طول الطريق ونفوق عدد من الخيل قد عطل الرحلة، ولكن على الرغم من ذلك هو قريب من المكان وسيحضر إلى أفسس في خلال خمسة أو ستة أيام[١٤٢]. **وبالرغم من ذلك فقد انتظروا ستة عشر يومًا**[١٤٣]
ثم جاء اثنان من مطارنة بطريركية أنطاكية: هما ألكسندر أسقف أباميا وألكسندر أسقف هيرابوليس وأوضحا مرارًا بأن يوحنا قد

---

[138] Hardouin, t.i. p. 1435; Mansi t.iv. p. 1230., quoted in Hefele, vol. 3, p. 44.
[139] Soc, vii. 34., quoted in Hefele, vol. 3, p. 44.
[140] Evagrius, *Hist. Eccl.* i. c. 3., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.
[141] Mansi, t.iv. p. 1230 with 1331, and Hardouin, t.i. p. 1435 with 1506., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.
[142] Hardouin, t.i. p. 1347; Mansi, t.iv. p. 1121., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.
[143] Hardouin, t.i. p. 1435; Mansi, t. iv. p. 1230., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.

طلب منهما أن يقولا إنهم لا ينبغي أن يؤجلوا افتتاح المجمع بسببه، ولكن في حالة ضرورة تأخره أكثر من ذلك، عليهم أن يفعلوا ما يجب عمله[١٤٤]. وعندئذ استنتجوا من ذلك أن البطريرك يوحنا كان ينوي أن يتجنب حضوره شخصيًا وقت إدانة كاهنه السابق وصديقه نسطور.

هنا قرر كيرلس وأصدقاؤه افتتاح المجمع فورًا واجتمعوا من أجل هذا الغرض يوم ٢٨ من الشهر القبطي بؤونه (٢٢ يونيو) عام ٤٣١م، في كاتدرائية أفسس، التي كانت مناسبة جدًا لمثل هذا الاجتماع، وكانت مدشّنة على اسم والدة الإله[١٤٥].

في اليوم السابق، كُلف عددٌ من الأساقفة بالذهاب إلى نسطور ودعوته لحضور الجلسة، ليعرض تصريحاته ومعتقداته. في أول الأمر أجاب قائلاً: "سآخذ ذلك في الاعتبار"، مع ذلك، عندما أرسل المجمع وفدًا مُفَوَّضًا ثانيًا يوم ٢٢ يونيو، يوم الافتتاح، إلى منزله بأمر من كانديديان، وجدوه محاطًا بجنود منعوا الأساقفة بتهديدات بالضرب من الدخول، وأرسل نسطور لهم قائلاً بأنه "سيحضر بمجرد أن يجتمع جميع الأساقفة". ولمرة ثالثة أرسل المجمع بعض الأساقفة إليه، ولكنهم لم يتلقوا ردًا بل عُوملوا بإهانة insolence من الجنود الحراس الموجودين داخل المنزل وخارجه[١٤٦].

144 Mansi t.iv.p. 1330 sq.; Hardouin t.i.p. 1506., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.
145 Cyril's Letters in Mansi, t.iv. pp. 1242 and 1230., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45.
146 Acta Synodi Ephes. Actio I, Hardouin, t.i. pp. 1358 sqq. Cf. pp. 1435 and 1506; Mansi, t.iv p. 1131 sqq. cf. p. 1230 sq. and p.1131. In German by Fuchs, Bibl. D. Kirchenv. Bd. iv. S, 50 ff., quoted in Hefele, vol. 3, p. 45,46.

هيبا الرهاوي٤٥٧م، وهيبا الراهب المصري المزعوم

وكما اتخذ المؤلف د. يوسف زيدان من القصص المنحولة والمزيفة مصدرًا لشخصية عزازيل، والادعاء بأنها شخصية حقيقية (سوف ندرس هذا الأمر لاحقًا)، كذلك اتخذ من شخصية هيبا الرهاوي الهرطوقي مصدرًا للشخصية الرئيسية في الرواية "هيبا الراهب المصري"، مع بعض التغييرات لتلائم هدفه من كتابة الرواية محاولاً أن يُخرجها في صورة روائية مُحبَكة، مستخدمًا أسلوب التلفيق والتوفيق.

فهيبا الرهاوي من بين الذين ساندوا نسطور، وكان رئيس مدرسة الرُها اللاهوتية وقد رافق الأساقفة الشرقيين الموالين لنسطور إلى مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م مساندًا نسطور، ولما عاد إلى الرُها قاوم مطرانه القديس رابولا[١٤٧]، ولما استتب السلام في الكنيسة سنة ٤٣٣م كتب هيبا بالسريانية رسالته إلى زميله في مدرسة الرُها "ماري" السرياني مطران فارس متجنيًا على مجمع أفسس ومتطاولاً على القديس كيرلس[١٤٨]، وعندما تنيح القديس رابولا مطران الرُها، رسم البطريرك الأنطاكي يوحنا الأول القس

[١٤٧] راجع: سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، ج٢، بيروت ١٩٥٧، ص٦٣.

[148] Mansi, t.vii. pp.242-247; Hadrouin, t.ii. p.527; Fuchs, I.c. S.480 ff. quoted in Hefele, vol. 3, pp. 366-368.

هيبا مطرانًا للرُها خلفًا للقديس رابولا، فبذل همّته في نشر سموم التعليم النسطوري بمعاونة المعلم نرساي –الذي خلفه في رئاسة المدرسة اللاهوتية– وغيره من أساتذة المدرسة، وكان **ساحرًا ومنجمًا وفاسدًا**[١٤٩] وقد وبّخه الراهب الرُهاوي الجليل بيلاجيوس عند سماع تجاديفه، فاضطهده إلى فلسطين وناله منه أذى كبير[١٥٠].

وعندما أصدر القيصران ثيئودوسيوس الثاني وڤالنتينوس الثالث مرسومًا بعقد مجمع أفسس الثاني، جرت في الرُها مظاهرة صاخبة قام بها القسوس والرهبان والشمامسة والشعب كله، وأغلقوا الكنائس منادين بسقوط مطرانهم هيبا النسطوري، وفي ١٣ أيار (مايو) سنة ٤٤٩م توجه إلى الرُها حاكم آسوروين فلاويوس توما يوليوس للاطلاع على القضية، فهرع أهل الرُها للقائه صارخين "الله واحد"، وهتفوا بسقوط هيبا النسطوري، وفي غداة اليوم الثاني تجمهر أهل الرُها وطلبوا أن ينفى هيبا "مفسد الإيمان وعدوه، وسكرتير نسطور ورفيقه، والإسخريوطي محب اليهود"، "وأفسد إيمان رابولا وعقيدة المجمع الأفسسي وكيرلس، بل وُجدت في حوزته مصنفات نسطور، كما خدع لمدة أربعة عشر عامًا الرُها المدينة المسيحية التي باركها الله"[١٥١].

---

١٤٩ راجع: سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، مرجع سبق ذكره، ص ٦٨.

١٥٠ المرجع السابق ص ٦٨-٧٠.

١٥١ المرجع السابق ص ١١٠-١١١.

وفي مجمع أفسس الثاني ونظرًا لكثرة الشكاوي ضده، قام المجمع بحرمه وتجريده من رتبة الكهنوت والحكم عليه برد مال الكنيسة الذي أساء التصرف فيه، وقال الآباء في المجمع:

"**إن هذا الكلام (الذي لهيبا) لم يتفوه به حتى الشياطين والفريسيين، إنه كلام الوثنيين الذين لا إله لهم**"[١٥٢].

وفي رسالته إلى ماري الفارسي، وصف القديس كيرلس بعبارات تكشف عن مدى حقده عليه منها: "وليّن الله قلب المصري"، "وكيرلس بسبب بغضه لنسطور قد عرف كيف يسبي عيون وآذان كل الذين كانوا حاضرين، كما لو بلعبة سحرية، وقاموا بحرم نسطور قبل أن يأتي يوحنا الأنطاكي إلى المجمع، دون أي استجواب مسبق"[١٥٣].

وفي الرواية أيضًا نجد أن المؤلف د. يوسف زيدان قد تخيل من خلال **الراهب هيبا**، وصفًا سيئًا للقديس كيرلس استوحاه من هيبا الرهاوي، فقال من ضمن ما قال:

بدا لي كيرلس مقبلاً على الإمساك بأطراف السماوات والأرض

بل وقد اتهم هيبا في الرواية ص ١٥٢ القديس كيرلس بأنه كان يُحرِّض المؤمنين على القتل وأعمال العنف مستخدمًا –على حد زعمه– قول السيد المسيح للآية "ما جئت لألقي سلامًا على الأرض بل سيفًا" كما ذكرنا سابقًا.

[١٥٢] المرجع السابق ص ١١٩-١٢١.

[153] Hefele, vol. 3, p. 336.

القديس مار رابولا الرهاوي ت ٤٣٥م

رُسم كاهنًا سنة ٣٨٨م، فنادى بالإنجيل مع أخيه بين الوثنيين مدة من الزمن متحملين الاضطهادات، ثم صار مطرانًا للرُها سنة ٤١١م، وكان هذا الحبر القديس مهيبًا في طلعته ناسكًا في معيشته، يقضي في كل سنة أيامًا في دير مار إبراهيم في صوم وصلاة، وكان المؤمنون يهرعون إليه من كل حدب وصوب، ولشدة تمسكه بالإيمان القويم نعته القديس كيرلس السكندري في بعض رسائله بـــ "عمود الحق وقاعدته"[١٥٤] واهتم بتثقيف الكهنة والرهبان، ومن كتاباته ست وأربعون رسالة ضد نسطور، وغيرها من الأعمال، ثم تنيح سنة ٤٣٥م، وتعيد له الكنيسة السريانية في ٨ آب و١٧ كانون الأول[١٥٥].

ونتيجة لدفاعه عن الحق، فقد ذكره هيبا أسقف الرُها في رسالته إلى ماري الفارسي سنة ٤٣٣م بعبارات سيئة مثل: "والعديد منهم أرضوا عداوتهم الشخصية بحجة الحماس الديني، وأحد هؤلاء هو طاغية مدينتنا، وهو معروف جيدًا لديك (الأسقف رابولا الرهاوي، السابق لهيبا) والذي اضطهد –بحجة الدين– ليس فقط

---

[١٥٤] أثناسيوس أفرام برصوم، عبر في سير، الطبعة الثانية بيروت ١٩٩٧، صـ ١٣٥-١٣٨.

ورسائل القديس كيرلس، ج ٤، الرسالة (٧٤)، ص ٨٩ .

[١٥٥] سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، ج٢، ص ٦٥- ٦٨.

الأحياء، بل الموتى أيضًا"[156]. (لأنه قاوم تعاليم ثيئودور الموبسويستي بعد وفاته).

وبنفس الطريقة، رسم د. يوسف زيدان صورة سيئة للقديس رابولا الرهاوي، فذكر في روايته عدة عبارات تسيء إليه، ومنها:

- في ص ٢٣٦ **هيبا**: *وقد طفحت ملامحه بالزهو. قال وهو يهزُّ رأسه افتخارًا... كنتُ أودُّ لو أخذتُ الترجمة، فنظرتُ فيها. غير أنني صرفتُ عني هذا الخاطر، **لما لمسته من عجرفة** **الأسقف ربولا**..*
- في ص ٢٣٩ **هيبا**: *أشار إليَّ الأسقف ربولا بأطراف أصابعه، بما معناه أن أكمل القراءة. **كانت إشارته سخيفة، وفيها مسحة تحقير لم أدر لها سببًا**.*
- في ص ٣٥٨ **الراهب الفريسي الأقنوم**: *ولما رأى الأسقف ربولا والذين معه، أن كفة الميزان تميل لصالح كيرلس، انقلب على نسطور وأدانه.*

[156] Mansi, t.vii. pp.242-247; Hardouin, t.ii. p.527; Fuchs, I.c. S.480 ff., quoted in Hefele, vol. 3, pp. 366-368.

الفصل السابع

هل خرَّب المسيحيون الإسكندرية وقتلوا اليهود والوثنيين؟

في الحاشية ص٣٣٠ يذكر د. زيدان على لسان **المترجم المزعوم:**

(١) في طرف الرق، تعليقٌ طويلٌ من تلك التعليقات المكتوبة بالقلم الدقيق، باللغة العربية، منه الفقرة التالية:

يظهر لي أن هذا الراهب المسمى الفِريسي، كان مباركًا حقًا؛ فقد مرت علينا الآن، ألف سنة من الحرب بين الكنائس.. وما خروجي من بلادي الشرقية، إلا بسببها. ومعروفٌ، أن أنهار الدم تدفقت في الإسكندرية، بعدما تنيَّح أسقفها كيرلس، وأمعن أهل الصليب في تخريب المدينة، وقَتْل غير المسيحيين من اليهود والوثنيين. بل ثار الإسكندرانيون على أسقف مدينتهم بروتيريوس، ومزقوه إربًا وأحرقوا جثتهَ.. ثم انزوت اليوم أخبارها، بعد وقوعها في قبضة المسلمين.

إني أتعجب كيف يصل التزييف إلى هذه الدرجة! ومما يزيد "الطين بلَّة" هو أن هذا التزييف صادر من شخص له معرفة جيدة بالتاريخ وقرأ كثيرًا في بطون الكتب، مما يؤكد أن له أهدافًا خفية وقد أخطأ عن عمدٍ.

- كان الصراع أصلاً بين الخلقيدونيين (الملكانيين)، وغير الخلقيدونيين وهم الأقباط والسريان الأرثوذكس والأرمن

الأرثوذكس، ولم يكن مع اليهود والوثنيين كما ذكـر د. زيـدان. أما أنهار الدم التي تدفقت في الإسكندرية فكانت دماء الأقباط!

- والفترة التي يتحدث عنها هنا هي من أحلك الفتـرات التـي مرت على الكنيسة القبطية في مصر. ذلك لأن الإمبراطور أراد أن يفرض مذهبه، الذي سمي بعـد مجمـع خلقيدونيـة (٤٥١م) بالمذهب الخلقيدوني، على كل البلاد التي تحت سـيطرته ومـن ضمنها مصر. وقد عانى البابا الذي خلف القديس كيرلس، وهـو البابا ديسقوروس (البابا الـ٢٥)، الضرب والإهانة فـي مجمـع خلقيدونية من الإمبراطورة ورجالها، حتى أنهم نتفوا شعر لحيته وكسروا له أسنانه، ثم نفوه إلى جزيرة غنغرا إلى أن مات فـي المنفى. وظل الأقباط يعانون مـن القتـل والتعـذيب والإبـادة الجماعية أحيانًا، لفترة طويلة إلى أن دخل العرب مصر فوجدوا ترحيبًا من الأقباط الذين ترجّوا أن يجدوا في العرب خلاصًا من الخلقيدونيين. وإليك عزيزي القارئ القصة من البداية:

يذكر التاريخ أنه: في غياب حاكم الإسكندرية وعندما سمع الأقباط أن بطريركهم البابا ديسقوروس (٢٥) قد انتقل إلى الرب وهو في المنفى، تقابل الشعب مع الإكليروس وأقاموا تيموثاوس تلميذه بطريركًا خلفًا له. وكان راهبًا من دير القلمون وقد سيم قسًا في الإسكندرية بيد البابا كيرلس الكبير. كان تيموثاوس رجلاً ناسكًا وذا غيرة معروفًا بعلمه اللاهوتي. عندما عاد الحاكم إلى الإسكندرية اعتبر تصرف الأقباط ثورة على بيزنطة (أي القسطنطينية)، لذلك،

ساند بروتيريوس البطريرك الدخيل، واضطهد الأقباط بشدة. وعلى الرغم من عنفه الشديد لم يفُز سوى بأربعة من الأساقفة الذين تبعوا البطريرك الدخيل. عندما غادر البابا تيموثاوس الإسكندرية في رحلة رعوية، وصل إلى الإسكندرية الكونت ديونيسيوس لكي يرتكب فظائع ضد الكنيسة القبطية مسببًا لها الجراح بأيدٍ مسيحية. عند عودة البطريرك، أغلق الكونت أبواب المدينة لكي يمنعه من الدخول. مما أثار حفيظة بعض الرعاع من عامة الشعب.

وسأورد هنا ما ذكره مار سويريوس يعقوب توما (مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس فيما بعد)، في كتابه المعروف "تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية"[١٥٧] تحت عنوان "الاضطهاد البيزنطي الأول":

> كان لمجمع خلقيدون أسوأ الأثر في نفوس المؤمنين، الذين نبذوه نبذ النواة، وحرموه وتعليمه وطومس لاون الروماني، مبتعدين عن شركة الأساقفة الهراطقة، حتى انشقت الكنائس وقامت فتن في كل مكان واختل حبل الأمن في كثير من البلاد، لاسيما مصر وفلسطين وسوريا وما بين النهرين وأرمينية وفارس.
>
> **وفي سنة ٤٥٣ بادت بلخاريا. وفيها أثار مرقيان اضطهادًا عنيفًا على الأرثوذكسيين فيه استشهد ألوف من الأساقفة والكهنة والرهبان والمؤمنين بدلاً من أن يزيف الحق في أفواههم. أما الأساقفة الذين زاغوا عن الحق خوفًا على**

[١٥٧] *تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية*، ١٩٥٧م. جزء ثان، صـ ١٩٥، ١٩٧، ٢١١.

رتبهم وانسياقًا وراء وعود الملك فكانوا يستولون على رعية المسيح بقوة الملك وسيفه حتى هدروا دماءً زكية، لا سيما في فلسطين ومصر[١٥٨].

أما في مصر فقد تأزمت الحالة أكثر، إذ ساء معظم أهلها ورهبانها تبديل المذهب الكيرلسي الصائب ونفي القديس ديسقوروس وتعيين قسيسه بروتيريوس الدخيل مكانه بقوة الحكومة. فلما توجه هذا إلى الإسكندرية ليحتل البطريركية وبّخه مقاريوس أسقف إدكو الشيخ على إشغاله مركز أبيه ديسقوروس، فتميز غيظًا ورفسه في بطنه وطرحه الأرض ميتًا[١٥٩]. ولما قاومه المؤمنون وتعليم خلقيدون، قتل منهم بواسطة الجنود، في الكنائس والمذابح[١٦٠]، نحو أربعة وعشرين ألفًا جلهم أساقفة وكهنة ورهبان[١٦١]، ثم دخل البطريركية ووضع يده المخضبة بالدم على آنية الكنائس وأموالها، ونفى الكثيرين من المؤمنين كما صادر أموال الكثيرين[١٦٢].

هلاك بروتيريوس الإسكندري الدخيل

كان بروتيريوس يختال بزهو الطاووس ويمتعض من تعلّق الإسكندريين بالقديس تيموثاوس، ويقرّع الجنود على عدم

---

[١٥٨] تاريخ مار ميخائيل الكبير صـ٢٣٩، والتاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة مكسيموس.
[١٥٩] الخريدة النفيسة ج١، صـ ٥٣٥، ٥٨٠.
[١٦٠] تاريخ زكريا الفصيح مج ١، صـ ١٥٤-١٥٥، وتاريخ مار ميخائيل الكبير، صـ ٢١٦، والخريدة النفيسة ج١، صـ ٥٣٥، ٥٨١.
[١٦١] تاريخ مار ميخائيل الكبير صـ٢٤٠، والتاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة مكسيموس.
[١٦٢] تاريخ زكريا الفصيح مج ١، صـ ١٥٤-١٥٥، وتاريخ مار ميخائيل الكبير، صـ ٢١٦، والخريدة النفيسة ج١، صـ ٥٣٥، ٥٨١.

فتكهم بالمؤمنين مع كونه يمدهم بمال وفير. الأمر الذي دفع أحدهم على اقتياده إلى حيث أشلاء القتلى منهم، فطعنه في جنبه وقتله بمعاونه رفاقه. فلما أُنبىء الشعب بذلك تجمهـــر وطفق يسحب جثته في الشوارع إلى حيث أحرقها[١٦٣].

على أثر ذلك نُفي البطريرك تيموثاوس وأخوه معه، أولاً إلى غنغرا ثم إلى كريميا. وقد أحبه شعب جزيـــرة غنغـــرا ودعـــوه "صـــانع المعجزات" و"المُحسِن"[١٦٤].

* * *

تشويه صورة المسيحية والمسيحيين والتعاطف مع الوثنيين

تعاطفه مع الوثنيين، في قصة مقتل والد الراهب المزعوم هيبا بأيدي عوام المسيحيين، وتلقيبه إياهم بالسفّاحين. وكلها قصة خيالية تكشف عن كراهيته الشديدة للمسيحيين في مصر، ورغبته في إثارة مشاعر العالم كله ضدهم بما في ذلك العالم العربي والإسلامي.

ص٤١ ،٤٢ **هيبا:** *... غير أني رحتُ ليلتها، أحكي لنسطور عن معبد الإله خنوم... حكيتُ له عن المهابة المُعتَّقة والقدسية المبثوثة في أرجاء المعبد وأسواره منذ قرون، وحكيت عن أبي الذي كان يحمل السمك كل يومين، للكهنة الحزانى المتحصنين في المعبد منذ سنين، الكهنة*

---

[١٦٣] تاريخ زكريا الفصيح مج ١، صـ ١٧١.

[١٦٤] القمص تادرس يعقوب، *نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى*، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص ١٠٧ ، ١٠٨.

المحصورين، المتحسرين على اندثار ديانتهم، مع انتشار عقيدة المسيح. كان أبي يصحبني في قاربه، كلما زار المعبد ليقدم للكهنة نصف ما علق في شباكه من سمك، خلال اليومين. كنا نذهب للمعبد خفيةً، وقت الفجر.... يوم كنت في التاسعة من عمري؛ فقد تربص بنا عوام المسيحيين عند المرسى الجنوبي، القريب من بوابة المعبد. كانوا قد وصلوا إلينا من مكمنهم القريب.. سحبوا أبي من قاربه، وجروه على الصخور ليقتلوه طعنًا بالسكاكين الصدئة التي كانوا يخبئونها تحت ملابسهم الرثة كنت أزوم متحصنًا بانكماشي في زاوية القارب، وكان أبي غير متحصن بشيء، يصرخ تحت طعناتهم مستغيثًا بالإله الذي كان يؤمن به.... ولن يجير أبي من أولئك السفاحين أحد.... نظروا نحوي بعيون ذئاب قد ارتوت.... حملوا جثة أبي المهترئة، فألقوا بها فوقها. اختلط دمه ولحمه وأسماكه بتراب الأرض التي ما عادت مقدسة، ثم تملكتهم نشوة الظفر والارتواء، فتصايحوا وقد رفعوا أذرعتهم الملطخة بدم أبي، وراحوا وبأيديهم السكاكين الصدئة المضرجة بالدم، يلوحون في وجه الكهنة المذعورين فوق السور.. مضوا من بعد ذلك متهللين مهللين بالترنيمة الشهيرة: المجد ليسوع المسيح، والموت لأعداء الرب.. المجد ليسوع المسيح، والموت لأعداء الرب.. المجد ليسوع.

ص٦٧ **هيبا:** *... نظرةُ أمي الفزعة، حين أخبرتها بعلمي بأنها وشت بأبي لدى أقاربها من جُهَّال أهل الصليب.. جريتُ من أمامها، ولم تستطع اللحاق بي، ولم أرها بعد ذاك اليوم قط.. بكائي الحارُّ، يوم علمت بزواجها من أحد أقاربها الذين قتلوا أبي....*

وهنا نجد د. زيدان وقد قلب الأدوار فكل ما يحكي أن المسيحيين قد فعلوه بالوثنيين، هو بالضبط ما كان الوثنيون يفعلوه بالمسيحيين.

وصف المسيحيين وصفًا رديئًا.

ص٦١ **هيبا:** *كانوا قومًا طيبين، لولا أنهم لا يكفُّون عن احتساء الخمر القوي، ولا يهدأون عند سُكرهم عن الغناء الهزلي الصاخب.... قال أحدهم، وكان بالطبع مسيحيًا...*

يهاجم المسيحيين في تخريبهم لمعابد الوثنيين

ص٢٣٠ **هيبا:** *... وإن كانت ضخامتها ورسوخها لم يمنعا عنها أهلَ ديانتنا! رأيتُ عوام المسيحيين في بلدة إسنا وهم يخرِّبون الصور المرسومة على المعبد الكبير، بخربشة الجدران، ويجتهدون في طَمْس الرسومات التي بأعلى الأعمدة، وببطن السقف العالي، بقذف الطين نحوها.*

*** * ***

يصور رجال الدين الأقباط على طول الرواية بصورة مُنَفِّرة

ص١٧٩ **ثيئودور الأسقف:** *للإسكندرية سخافاتُ كثيرة، ولأسقفيها السابق والحالي، أفعاُل وأحوال عنيفة. وأنا لا أحب الكلام عنهما وعن أفعالهما، التي هي أبعدُ ما يكون عن تعاليم المسيح والرسل، وأقرب ما*

يكون لأفعال طلاب الدنيا. فليشمل الرب الجميع برحمته، وليعفُ عن الجميع.

ص٦٤ المقولة على لسان **كاهن أخميم** الذي تتلمذ عليه هيبا قبل مجيئه إلى الإسكندرية:

سيأتي اليوم الذي لن نسمح فيه للوثنيين، ولا لليهود، بالمبيت. لا في الإسكندرية، ولا في المدن الكبيرة كلها.. غدًا سوف يسكنون جميعًا خارج كل الأسوار، وتكون المدن كلها لشعب الرب!

يصف القس المسيحي بطريقة منفِّرة، سخرية من كيرلس، جندي يتبع القس (يحرسه)!

- ص٦٧، ٦٨ **هيبا:** *قَسّ ضخمٌ، أجشُّ الصوت... بدأ خطبته الزاعقة فور دخوله علينا... بعدما أفرغ فينا كل ما كان في فمه من كلام، خرج مزهوًا وكأنه ألقى علينا عظة الجبل. تبعه الجندي السمين الصامت الذي دخل وراءه..*
- ص١٣٢ **هيبا:** *على باب الكنيسة، استوقفني رجلٌ يلبس ثوبًا كنسيًا ضيقًا، يكاد ينفزر معه بدنه الضخم. كانت هيئته غريبة: بدنُ مصارعٍ مكسوٌّ بثياب قَس! في عينيه حِدَّة، وفي عبوس وجهه قسوةُ سيافٍ لا وداعة قسوس. ولأن ملابسي كانت تدعوه لاحتقاري، فقد نظر إليَّ باستهانةٍ وهو عاقد ذراعيه على صدره.. بلسانٍ مضطرب سألته إن كانت هذه هي كنيسة قيصرون، فأومأ برأسه ومَطَّ شفته، وبدا كأنه سوف يعضُّني من كتفي.*
- انظر أيضًا صـــ ١١٨ إلى ١٢١ ،١٢٥ ،١٢٦ وأيضًا ٧٢ ،٧٤، ٧٥ ، ٧٦، في كتابنا هذا لتكتمل الصورة.

- ص١٧٩ **الراهب الكبادوكي الصموت**: ***ليغفر الرب للإسكندرانيين ما فعلوه، وما يفعلونه الآن، وما سوف يفعلونه غدًا! فكنيسة الإسكندرية لن تكفّ أبدًا حتى تنهار، أو تنهار هذه الديانة كلها.***

هذا الجزء السابق بالذات مكتوب في الرواية بالخط الثقيل (Bold).

- ص ١٧٩ **هيبا** مُعَلِّقًا على الراهب الكبادوكي الصموت: *أدركتُ لحظتها أن للرب في هذا العالم رجالاً متوغّلين في أسرار المحبة، لا يعرف أقدارهم إلا الكاملون. كان هذا الراهب فيما بدا لي، من هؤلاء المتوغّلين في المحبة.*

وصف د. زيدان على لسان نسطور، الراهب الصموت الذي أساء لكنيسة الإسكندرية، بالقداسة وصنع العجايب:

ص ١٨٠ **هيبا**:... *فأجابني* (نسطور) *بأنه واحدٌ من أشهر الرهبان المتنسكين في أقدم أديرة بلدة كبادوكيا المباركة،... التي قدمت للديانة آباء الكنيسة الثلاثة الكبار المشهورين، المعروفين بالآباء الكبادوكيين. أضاف أن هذا الراهب الصموت، مشهورُ هناك بحياة الزهد والتقشُّف. وأن الناس تروي عنه عجائب ومعجزات، يصرُّ هو على إنكارها. وهو معروفُ بطول صمته وندرة كلامه، ورجال الكنائس يبجّلونه جدًا، والأسقف تيودور يعدُّه من أساتذته الروحيين؛ فهو أكبر منه سنًا بأعوام كثيرة، فقد تعدَّى الثمانين من عمره.*

- ص١٨٥ **نسطور**: *الذي رأيته هناك ليس براهبٍ،* (يقصد الراهب الذي على حد قوله قتل الأسقف جورجيوس الكبادوكي) *فالرهبانُ لا يقتلون، وإنما يمشون على الأرض هونًا متَّبعين خُطى الرسل والقديسين والشهداء!.*

المديح المُبالَغ في نسطور

بينما يصف د. زيدان القديس كيرلس والقسوس الأقباط بأفظع الأوصاف، نجده هنا يذكر عبارات كثيرة على لسان هيبا الراهب تُعبّر عن إعجابه الشديد ووقوعه في غرام نسطور. ووصف هيئته بأحلى الأوصاف. وهذه مفارقة تدعو للالتفات.

ص٣٨، ٣٩ وصف نسطور على لسان **هيبا:**

كنتُ ألتفتُ دومًا إلى ملامحه البهية المشرقة، بينما أعدُّ لكلينا مشروبَ النعنع الجبلي الفوَّاح الدافئ، وطبقًا من البلح والتين المجفَّف.. في هيئته وقارٌ وطيبةٌ أصيلة، عيناه الواسعتان لونهما مشوبٌ بخضرةٍ وعسلية، وفيهما شغف وذكاء. في وجهه الأبيض حمرة خفيفة، وفي لحيته الأنيقة اصفرار لطيف، وقليل من الشعر الأبيض الذي يزيده بهاءً. في سمته صفاءٌ ربانيٌّ يفتقر إليه كثيرٌ من الرهبان، الكبار منهم والصغار... أتأمَّل ابتسامته البهية. رأيته أنموذجًا سماويًا لما يجب أن يكون عليه رجل الدين... وقد ازدادت ابتسامته إشراقًا وزينة ربانية....

ص٥٦ **هيبا:** *قسّ مُبارك حقًا، راهبٌ يستحق التبجيل.. بل ورأيتُ فيه أبي المخطوف مني، أبي المفتقد.*

ص١٧٢،١٧٤ **هيبا:** *أطلَّ وجهُه الصبوحُ... كان نسطور رقيق المشاعر.*

ص١٨٦، ١٨٧ **هيبا:** *فأقبل بوجهه المشرق.... فازداد وجهه الصبوح إشراقًا.... ضحك نسطور فبدتْ أسنانه المصفوفة البيضاء، كأنها قطعٌ من نور.*

الفصل الثامن

هل كان يوحنا المعمدان ابن خالة السيد المسيح؟

ص٤٧ **هيبا** يقول: *ورأيت فيه إجابة مقبولة لمشكلة طالما شغلتني. أعني **سِرَّ ارتباط يسوع المسيح بابن خالته يوحنا المعمدان.***

من البديهي أن نعرف خطأ هذه المعلومة، إذ أن الإنجيل يقول على لسان الملاك المبشر للسيدة العذراء: "وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ" (لو١: ٣٦)، إذن ليست أليصابات أختًا للسيدة العذراء.

نسب السيد المسيح[١٦٥]

أتى السيد المسيح من سبط يهوذا الذي كانت العذراء مريم تتحدر منه بعائلتها، فتنبأ عنه يعقوب أول الآباء في بضع كلمات تحوي كل غنى هذا السرّ قائلاً: "**يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ**. مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي. جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ. مَنْ يُنْهِضُهُ؟" (تك٤٩ : ٩) إنه يدعو المسيح شبلاً لأنه يملك الرتبة الملكية، وفي الجسد يأخذ الجنس من سبط يهوذا. وهكذا جاء في الكتاب المقدس "كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ" (مت ١ : ١) وأيضًا "**يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ** لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ (مت١ : ٢٠) "فَإِنَّهُ **وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ**

---

[١٦٥] مقالات الأنبا ساويروس البطريرك الأنطاكي، مقال عن الميلاد، ترجمة مليكة حبيب يوسف ويوسف حبيب ١٩٦٩م، مترجم من الجزء الثامن من مجموعة:
Patrologie Orientolas R. Graffin – F. Nau *Les Homélies Cathédrales de Sévère d` Antioche Homélie* LX III., Publiée et traduite par Maurice Briére, Paris.

سِبْطِ يَهُوذَا، الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئًا مِنْ جِهَةِ الْكَهَنُوتِ" (عب ٧ : ١٤).

فالسيد المسيح ربنا من نسل داود الملك الذي هو من نسل سبط يهوذا، وليس من نسل سبط الكهنوت أي سبط اللاويين. فتكون إذًا السيدة العذراء والدة الإله هي بعائلتها من نسل داود وسبط يهوذا.

أما أليصابات فكانت زوجة زكريا الكاهن الذي ينتمي لسبط اللاويين، وفي الواقع لم يكن يوافق الناموس أن يتخذ من ينتمي إلى سبط معين زوجة له من سبط آخر؛ لأن الرب يقول على لسان موسى في سفر العدد "فَلا يَتَحَوَّلُ نَصِيبٌ لِبَنِي إِسْرَائِيل مِنْ سِبْطٍ إِلى سِبْطٍ بَل يُلازِمُ بَنُو إِسْرَائِيل كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَ سِبْطِ آبَائِهِ. وَكُلُّ بِنْتٍ وَرَثَتْ نَصِيبًا مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيل تَكُونُ امْرَأَةً لِوَاحِدٍ مِنْ عَشِيرَةِ سِبْطِ أَبِيهَا لِيَرِثَ بَنُو إِسْرَائِيل كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَ آبَائِهِ. فَلا يَتَحَوَّل نَصِيبٌ مِنْ سِبْطٍ إِلى سِبْطٍ آخَرَ بَل يُلازِمُ أَسْبَاطُ بَنِي إِسْرَائِيل كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَهُ" (عد٣٦: ٧-٩).

ولهذا السبب حينما كُتبت سلسلة نسب يوسف، أدرجت الأنساب حسب الرجال وليس حسب النساء، ولابد أن نسب القديسة مريم العذراء قد تبين في نفس الوقت، فهي تنتمي بحسب الناموس لنفس السبط الذي ينتمي إليه خطيبها.

أما أليصابات فيقول الكتاب المقدس عنها: "كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا **وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ** (لو١ : ٥) فكيف إذًا تكون القديسة

العذراء التي هي من سبط يهوذا. أخت بالجسد لأليصابات التي هي من بنات هارون، أي سبط اللاويين؟ ولذلك فالسيد المسيح لا يمكن أن يكون ابن خالته هو يوحنا المعمدان كما يقول د. زيدان في روايته على صـ ٤٧.

* * *

الرد على الادعاء بأن أسفار موسى الخمسة لم تدوّن إلاّ بعد عودة اليهود من السبي البابلي

ص٣٤٩ **هيبا:** *في أصل عزازيل، آراءٌ وأقاويل.... ثم كان ذكره الأشهر، في التوراة التي كتبها الأحبار بعد عودة اليهود من السبي البابلي.*

من غير المعقول أن تظل التوراة غير مكتوبة لمدة ثمانية قرون لأن ذلك معناه أن موسى النبي كان مقصرًا هو وتلميذه يشوع بن نون في تدوين التوراة الموحى بها من الله، بحيث يُترك المجال مفتوحًا لإجراء تغييرات فيها دون رقيب. وكأن الله لم يأمر موسى بكتابة التوراة!! وهذا لا يتناقض فقط مع ما ورد في كتابنا المقدس بعهديه، بل ويتعارض مع ما ورد في القرآن.

مثلما ورد في سورة البقرة (٥٣) "وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ والفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ".

وما ورد في سورة البقرة أيضًا "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ" (٨٧).

وما ورد عن المسيح في سورة آل عمران "وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ" (٤٨).

وهذه الاقتباسات كغيرها تدل على أن أسفار العهد القديم لم تكن محفوظة فقط بالتناقل الشفوي بل كانت مكتوبة في الكتاب المقدس. وإلا فلماذا يقول "وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ.. وَالتَّوْرَاةَ".

أما ما ورد في التوراة عن شأن كتابتها على يد موسى النبي فهو كما يلي:

"**وَكَتَبَ مُوسَى هَذِهِ التَّوْرَاةَ** وَسَلَمَهَا لِلكَهَنَةِ بَنِي لاوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيل" (سفر التثنية٣١:٩).

"فعِنْدَمَا كَمَّل **مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَاةِ فِي كِتَاب** إِلى تَمَامِهَا. أَمَرَ مُوسَى اللاوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ: خُذُوا **كِتَابَ التَّوْرَاةِ** هَذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ" (سفر التثنية٣١: ٢٤-٢٦).

ولم يقتصر الأمر على كتابة التوراة في لفائف (scrolls) من الجلد بيد موسى النبي، بل تخطّى ذلك إلى كتابتها على حوائط كبيرة مثلما كان يفعل المصريون القدماء، مع ملاحظة أن الكتابة على الكلس (أي البياض) لا تعيش نفس المدة كالكتابة على

الحجر غير المكلّس الذي مارسه المصريون القدماء ويستغرق جهدًا ووقتًا كبيرًا.

وعن ذلك ورد في سفر التثنية لموسى النبي ما يلي:

"وَأَوْصَى مُوسَى وَشُيُوخُ إِسْرَائِيل الشَّعْبَ: احْفَظُوا جَمِيعَ الوَصَايَا التِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا اليَوْمَ. فَيَوْمَ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ إِلى الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ تُقِيمُ لِنَفْسِكَ حِجَارَةً كَبِيرَةً وَتَشِيدُهَا بِالشِّيدِ. وَتَكْتُبُ عَلَيْهَا جَمِيعَ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ حِينَ تَعْبُرُ لِتَدْخُل الأَرْضَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ أَرْضًا تَفِيضُ لبَنًا وَعَسَلاً كَمَا قَال لكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكَ. حِينَ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ تُقِيمُونَ هَذِهِ الحِجَارَةَ التِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا اليَوْمَ فِي جَبَلِ عِيبَال وَتُكَلِّسُهَا بِالكِلسِ. وَتَبْنِي هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ مَذْبَحًا مِنْ حِجَارَةٍ لا تَرْفَعْ عَليْهَا حَدِيدًا. مِنْ حِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ تَبْنِي مَذْبَحَ الرَّبِّ إِلهِكَ وَتُصْعِدُ عَليْهِ مُحْرَقَاتٍ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. وَتَذْبَحُ ذَبَائِحَ سَلامَةٍ وَتَأْكُلُ هُنَاكَ وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ. وَتَكْتُبُ عَلى الحِجَارَةِ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ نَقْشًا جَيِّدًا" (سفر التثنية٢٧: ١-٨).

وقد أكمل يشوع بن نون تلميذ وخادم موسى النبي كتابه سفر التثنية، ليحكي قصة وفاة موسى النبي وإخفاء جسده وذلك في الأصحاح الأخير من سفر التثنية (٣٤). وكتب يشوع بن نون سفر يشوع التالي لأسفار موسى الخمسة.

كما أن يشوع بن نون قد قام بتنفيذ ما أمره به الرب عن يد موسى النبي بشأن بناء الحائط الذي قام بكتابة كل الناموس الموسوي عليه "حِينَئِذٍ بَنَى يَشُوعُ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ في جَبَلِ عِيبَالَ، كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ في سِفْرِ تَوْرَاةِ مُوسَى. مَذْبَحَ حِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ عَلَيْهَا حَدِيدًا، وَأَصْعَدُوا عَلَيْهِ مُحْرَقَاتٍ لِلرَّبِّ، وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَكَتَبَ هُنَاكَ عَلَى الْحِجَارَةِ نُسْخَةَ تَوْرَاةِ مُوسَى الَّتِي كَتَبَهَا أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (سفر يشوع ٨: ٣٠-٣٢).

يضاف إلى ذلك أن الرب قد أمر موسى والشعب في سفر التثنية إنهم إذا جعلوا عليهم ملكًا، الذي يختاره الرب: "عِنْدَمَا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ يَكْتُبُ لِنَفْسِهِ نُسْخَةً مِنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ في كِتَابٍ مِنْ عِنْدِ الكَهَنَةِ اللاوِيِّينَ. فَتَكُونُ مَعَهُ وَيَقْرَأُ فِيهَا كُل أَيَّامِ حَيَاتِهِ لِكَيْ يَتَعَلَمَ أَنْ يَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَهُ وَيَحْفَظَ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَهَذِهِ الفَرَائِضَ لِيَعْمَل بِهَا. لِئَلا يَرْتَفِعَ قَلبُهُ عَلى إِخْوَتِهِ وَلِئَلا يَحِيدَ عَنِ الوَصِيَّةِ يَمِينًا أَوْ شِمَالاً. لِكَيْ يُطِيل الأَيَّامَ عَلى مَمْلَكَتِهِ هُوَ وَبَنُوهُ في وَسَطِ إِسْرَائِيل." (تثنية١٧: ١٨-٢٠).

وبذلك نرى أن الرب كان يهتم جدًا بأن يظل الكتاب المقدس العهد القديم وخاصة أسفار موسى الخمسة أي التوراة محفوظة في خيمة الاجتماع أو الهيكل وفي حوزة الملك وعلى مرأى من الشعب إلى جوار قراءتها على الشعب كله كل سبع سنوات كما يلي: "وَكَتَبَ مُوسَى هَذِهِ التَّوْرَاةَ وَسَلمَهَا لِلكَهَنَةِ بَنِي لاوِي حَامِلِي

تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيل. وَأَمَرَهُمْ مُوسَى: "فِي نِهَايَةِ السَّبْعِ السِّنِينَ فِي مِيعَادِ سَنَةِ الإِبْرَاءِ فِي عِيدِ المَظَالِّ. حِينَمَا يَجِيءُ جَمِيعُ إِسْرَائِيل لِكَيْ يَظْهَرُوا أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ فِي المَكَانِ الذِي يَخْتَارُهُ تَقْرَأُ هَذِهِ التَّوْرَاةَ أَمَامَ كُلِّ إِسْرَائِيل فِي مَسَامِعِهِمْ. اِجْمَعِ الشَّعْبَ الرِّجَال وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَال وَالغَرِيبَ الذِي فِي أَبْوَابِكَ لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيَتَعَلمُوا أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ وَيَحْرِصُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَاةِ. وَأَوْلادُهُمُ الذِينَ لمْ يَعْرِفُوا يَسْمَعُونَ وَيَتَعَلمُونَ أَنْ يَتَّقُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ كُل الأَيَّامِ التِي تَحْيُونَ فِيهَا عَلى الأَرْضِ التِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِليْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا". (تث٣١: ٩-١٣).

وكانت الحكمة من كتابة التوراة على حائط مبني من حجارة ومكلّس هو أن يقرأ الشعب التوراة ويقارنون ما يسمعونه في قراءة الأسفار المدوّنة الإلهية في اللفائف بواسطة قيادتهم الدينية بما هو مكتوب على الحائط الكبير..!!

ولقد ورد في سفري عزرا ونحميا النصوص التالية:

"مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ مُرْسَلٌ مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ وَمُشِيرِيهِ السَّبْعَةِ لأَجْلِ السُّؤَالِ عَنْ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ حَسَبَ شَرِيعَةِ إِلَهِكَ **الَّتِي بِيَدِكَ**" (عزرا ٧:١٤). أي أن التوراه كانت بيد عزرا عند عودته من السبي.

"وَقَالُوا لِعَزْرَا الْكَاتِبِ أَنْ يَأْتِيَ بِسِفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ. فَأَتَى عَزْرَا الْكَاتِبُ بِالشَّرِيعَةِ أَمَامَ الْجَمَاعَةِ

مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وكُلِّ فَاهِمٍ مَا يُسْمَعُ في الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ السَّابِعِ. وَقَرَأَ فِيهَا أَمَامَ السَّاحَةِ الَّتِي أَمَامَ بَابِ الْمَاءِ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ أَمَامَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْفَاهِمِينَ. وَكَانَتْ آذَانُ كُلِّ الشَّعْبِ نَحْوَ سِفْرِ الشَّرِيعَةِ.... وَقَرَأُوا في السِّفْرِ في شَرِيعَةِ اللَّهِ بِبَيَانٍ وَفَسَّرُوا الْمَعْنَى وَأَفْهَمُوهُمُ الْقِرَاءَةَ. وَنَحَمْيَا (أي التِّرْشَاثَا) وَعَزْرَا الْكَاهِنُ الْكَاتِبُ وَاللاَّوِيُّونَ الْمُفْهِمُونَ الشَّعْبَ قَالُوا لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: هَذَا الْيَوْمُ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ لاَ تَنُوحُوا وَلاَ تَبْكُوا. لأَنَّ جَمِيعَ الشَّعْبِ بَكُوا حِينَ سَمِعُوا كَلاَمَ الشَّرِيعَةِ" (نحميا ٨: ١-٩).

* * *

التشكيك في مجيء العائلة المقدسة إلى مصر

وقبله تمهيد لذلك بادعائه عدم الإحساس بالروحانية في قسقام

- ص٦٠ **هيبا:** *لم أجد هناك الكثير.... ذاك الموضع القفر الذي لم أشعر فيه بروحانيةٍ، حسبما كنتُ قبلها أودُّ وأتوقَّع..*
- ص٦١ **هيبا:** *.... اقترب مني رجلٌ متأنقٌ في ملبسه... استغربتُ هيئته ونظرته الماكرة، كان لا يعلّق في عنقه الطويل صليبًا... وكان وجهه مليئًا ببقع البهاق البيضاء التي زادتها سمرته وضوحًا... قال لي من غير تمهيدٍ، ما معناه: **كيف جاءت العذراءُ إلى هنا هاربةً بوليدها، بعد سنوات من وفاة الحاكم الذي تزعمون أنه كان يقتل***

أطفال اليهود؟ *ولماذا عادت به إلى البلاد القاحلة الصفراء، بعدما جاءت إلى وادي مصر الأخضر؟.. قال ذلك بهدوء ماكر.*

هذه المعلومة أصلاً غير دقيقة، إذ أن العائلة المقدسة قد هربت إلى مصر من وجه هيرودس الملك في حياته؛ وإلاّ لماذا هربوا إن كان قد مات؟! وحسب ما جاء في الإنجيل، هم أخذوا هذه الخطوة بناء على توجيه من الرب عن طريق الملاك الذي ظهر ليوسف في حلم. وبنفس الطريقة ظهر الملاك ليوسف مرة أخرى ليخبره بموت هيرودس وأن يعودوا مرة أخرى إلى بلادهم:

"إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: "قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ" فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ. وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي».... فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ. قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ». فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ" (مت٢: ١٣- ٢١).

لم يفت على د. زيدان أن يشكك حتى في هذا الأمر الذي لا يقبل الشك، ولا داعي أصلاً للشك فيه. وهناك نبوة جميلة في سفر إشعياء تقول: "وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ: هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ

وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا" (أش١٩: ١).. ولذلك تُلقب السيدة العذراء بالسحابة السريعة أو الخفيفة.

ونحن نعتز جدًا بزيارة العائلة المقدسة لمصر ونشعر أن مصر هي البلد الوحيد الذي فاز بهذا الامتياز؛ أن يزوره الرب مع والدته والقديس يوسف. بارك أرضها ونيلها وشعبها. ولذلك قال الرب في سفر إشعياء أيضًا "بِهَا يُبَارِكُ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلاً: مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ" (أش١٩ : ٢٥).

الفصل التاسع

تشويه صورة الرهبنة

يعطي د. زيدان فكرة مشوَّهة جدًا عن الرهبنة القبطية، فيذكر عن راهب أصله من دمياط، وهو من دير على أطراف سيناء، قابله هيبا في طريق رحلته إلى أورشليم:

ص١٦٨ **هيبا:** *أثارت استهانته بكل شئ استغرابي، وأثار عندي مزيدًا من الاستغراب، تلك السهولة التي قال بها إنه لو عادت إليه محبوبته اليوم، فسوف يرجع عن حياة الرهبنة!*

ص٢١٩: مرة ثانية يحكي د. زيدان عن راهب فاسد على لسان **هيبا** فيقول عنه إنه *عصى الرب مع النساء مراتٍ في شبابه المبكر.*

ثم يكون رد الفعل لهذه الاختلاقات والافتراءات، أن نسمع من يقول إن د. زيدان كشف ما بداخل الأديرة، وكأن ما قاله هو الحقيقة!

هل الرهبنة بدعة؟

ص١٨٧ **نسطور:** *فأنتم المصريين ابتدعتم الرهبنة والديرية، إحياءً لتقاليد كانت عندكم من القدم.*

ص٢١٧ **هيبا:** *فنحن -المصريين- ابتدعنا الرهبنة، وأهديناها لأنحاء العالم المسكونة بالمؤمنين.*

ترتبط الحركة الرهبانية بتاريخ النسك الإنجيلي الذي ورثناه عن التقليد المسيحي منذ عهد مبكر. ففي البداية كان النسك يُمارس بطريقة فردية دون أن يعتزل المؤمن بيته أو أسرته أو يترك الجماعة الكنسية وحياته في المدينة. غير أن البعض اعتزل العالم طالبًا السكون والوحدة بعيدًا عن المناطق الآهلة بالسكان.

الحياة الرهبانية في جوهرها هي حياة إنجيلية؛ إذ يحثنا الإنجيل: "لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟!" (مت١٦: ٢٦). بمعنى آخر أن شيئًا واحدًا له كل التقدير لدى المؤمن وهو النفس، بجوارها يُحسب العالم كله كلا شيء. فإن كلاً من البتولية والرهبنة والتوحد يحمل نفس الفكر وهو تكريس القلب والجسد وكل الكيان للعبادة والاتحاد بالله.

إذن الرهبنة ليست بدعة كما يدّعي د. زيدان، لكن أساسها إنجيلي كتابي، حيث نجد في الكتاب المقدس بعهديه أمثلة لنسّاك وبتوليين من الرجال والنساء الذين كرَّسوا حياتهم لله، ويعرض لنا الكتاب المقدس طريقة حياتهم الرفيعة والمنزّهة عن العالم.

فالسيد المسيح نفسه عاش بتولاً وطوّب البتولية، وأيضًا بولس الرسول في حياته عاش بتولاً، وفي رسائله شجّع على حياة البتولية. وفي العصر الرسولي، مارس كثير من المؤمنين النسك بغية التمتع بكمال الإنجيل. لقد حرموا أنفسهم من كل لذة أرضية دون الانسحاب من وسط عائلاتهم أو مجتمعهم.

أشعل الاتجاه الإسخاتولوجي (الأخروي) في الكنيسة شوق المؤمنين نحو مجيء عريسهم، فاستحسن بعض المؤمنين أن يعيشوا في بتولية مكرسين كل أوقاتهم للعبادة كتهيئة روحية لوليمة العرس السماوي. لقد قدّم الإنجيل وأيضًا رسائل القديس بولس التقدير المسيحي الإيجابي للزواج، إلاّ أن البتولية وجدت لها مركزًا أعظم، لكونها جهادًا يحقق في الحال بطريقة كاملة ما يحققه الزواج بطريقة جزئية وكصورة للحقيقة، التي هي اتحاد المسيح بالكنيسة، اتحاد الله الكلمة مع الجنس البشري المتمتع بالخلاص من الخطية بصليب ربنا يسوع.

وكانت فكرة هذه الجماعات التي تنظمت وتأسست على الأمثلة الموجودة بالكتاب المقدس، هي البادرة لفكرة الرهبنة الحالية، وتنظيم أديرة انتشرت في العالم أجمع بعد ذلك. حيث حياة الشركة في الصلاة والبتولية والطاعة والأعمال الصالحة، هذه الحياة تجد أصلها في حياة السيد المسيح التي عاشها على الأرض. فوصية السيد المسيح للشاب الغني أن يبيع كل ما يملك ويوزعه للفقراء، ويتبعه (مر١٠: ٢١؛ مت١٩: ٢١؛ لو١٨: ٢٢) صارت العلامة المميزة للرهبنة المسيحية. حياة ربنا يسوع نفسه كانت نموذجًا للطهارة، وأيضًا فقره وطاعته للآب هذه كلها هي أُسس الرهبنة.

وقد تعلمنا فكرة الوحدة والشركة مع الله في البرية من السيد المسيح نفسه في حياته على الأرض؛ حيث كان كثيرًا ما يختلي في البرية منفردًا. ففي بداية خدمتة بعد أن تعمّد في الأردن من يوحنا المعمدان، ذهب للبرية منفردًا لكي يصلي "وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ

إِلَى الْبَرِّيَّةِ. وكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا" (مرقس١: ١٢، ١٣) "أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ. أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. ولَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّام" (لوقا ٤: ١، ٢) وأثناء حياته وخدمته يذكر الكتاب عنه أنه كثيرًا ما كان يختلي في البرية منفردًا للصلاة كما ورد في (لو٥ : ١٦) "وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي وَيُصَلِّي" وأيضًا في (لو٦ : ١٢) "وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلاَةِ لِلَّهِ".

وهكذا تأسست الرهبنة في البرية على مثال السيد المسيح نفسه، **ونحن نقتفي آثاره.**

كان إيليا النبي من أول النسّاك الذين ذكرهم الكتاب المقدس في العهد القديم. وقد عرفنا حياته ونسكه ووحدته من سفري الملوك الأول والثاني، حيث كان يعيش في البرية ويلبس رداءً من الشعر ويمنطق حقويه بمنطقة من الجلد (انظر ٢مل١: ٨).

ثم نأتي إلى يوحنا المعمدان نبي العهدين القديم والجديد، والذي قال عنه السيد المسيح نفسه إنه "لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ" (مت١١: ١١) فحسب تقليد كنيستنا الأرثوذكسية المقدسة نعلم أن يوحنا المعمدان كان يسكن البرية بجوار الأردن منذ صغره. "وَيُوحَنَّا هَذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وكَانَ طَعَامُهُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا (مت ٣: ٤) كما هو مذكور أيضًا في (مرقس ١: ٦).

"أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ وكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإسرَائِيلَ" (لو ١ : ٨٠).

من كل هذا نخلص إلى أن النسك وفكرة الوحدة في البرية ليست هي فكرة ابتدعناها بلا جذور، إنما هو فكر إنجيلي عاش به أعظم الأنبياء منذ العهد القديم.

أما بخصوص الرهبنة في العهد الجديد نجد في الكتاب المقدس الآيات التالية، على لسان السيد المسيح: "فَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلاَمَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُم. لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ" (متى ١٩: ١١، ١٢).

وكذلك في رسائل بولس الرسول نجده يقول: "وَأَمَّا مَنْ أَقَامَ رَاسِخًا فِي قَلْبِهِ وَلَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ بَلْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى إِرَادَتِهِ وَقَدْ عَزَمَ عَلَى هَذَا فِي قَلْبِهِ أَنْ يَحْفَظَ عَذْرَاءَهُ فَحَسَنًا يَفْعَلُ. إِذًا مَنْ زَوَّجَ فَحَسَنًا يَفْعَلُ وَمَنْ لاَ يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ" (١كو ٧: ٣٧، ٣٨). وأيضًا يقول: "وَلَكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا" (١كو٧: ٨).

وهذا يثبت أن الرهبنة والبتولية ليست اختراعًا أو بدعةً، أو إحياءً لتقليد كان يعيشه الناس منذ القِدم؛ ولكنها حياة تنسّمتها الكنيسة من أنفاس الكتاب المقدس. ولقد أُوحي للقديس أنبا

أنطونيوس، أب آباء (بطريرك) الحياة الرهبانية، عن هذا الطريق وهو في داخل الكنيسة، عند سماعه كلمات الإنجيل: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي" (مت ١٩: ٢١) فكرّس كل حياته لا ليخلق وسيلة جديدة للحياة، ولا ليدرب الآخرين على الحياة النسكية، وإنما ليتمم الوصية الإنجيلية. عاش حياته الروحية لا يملك سوى الإنجيل، مكتوبًا لا على ورق بل في داخل نفسه.

فلسفة الرهبنة القبطية

يليق بنا أن ندرك أن الممارسات النسكية التي جاهد فيها الرهبان المصريون لم تكن غاية في حد ذاتها. إنما كانت رغبتهم العميقة هي أن يموتوا عن ذواتهم، عن إنسانهم العتيق، لكي يتحرر فيهم الإنسان الجديد ليتربع السيد المسيح على عرش القلب النقي الزاهد في الأمور الدنياوية والاهتمامات العالمية حتى المُحلل منها.

النسك هو خبرة لا لضبط الجسد فحسب وإنما ليقظة الروح لتتقبل بطريقة كاملة الكلمة (اللوغوس) الإلهي، فتتهيأ لتتبع المسيح عند أول دعوة، وتختبر حياة الشركة معه.

هذه هي الحرية الحقيقية، التي يبحث عنها د. زيدان في الطريق المعاكس، ولن يجدها أبدًا، لأنه يبحث عنها حيث لا توجد. يبحث عنها في عبودية الشهوة وليس في التحرر من الخطأ.

كثيرًا ما وُصفت حياة آباء البرية بأنها فردوس. فبالحقيقة حاول المتوحدون أن يصيروا في براءة آدم، بالتخلص من كل الرذائل والشهوات، فتَقَبّل بعضهم طعامهم من أيدي ملائكة أو من الطيور، وصارت الحيوانات المفترسة خاضعة لهم. هكذا لم تعد البرية مجرد عودة إلى الفردوس القديم بل صارت عربونًا للفردوس العتيد، بمعنى أن الرهبان عاشوا فوق التاريخ، عبروا به إلى الماضي كما إلى المستقبل، تاركين عالم الخطية، ليعيشوا في حضرة السيد المسيح الذي رأوه روحيًا ودخلوا معه في حوار، لا ينتهي حتى ولا بانتهاء الحياة الأرضية.



هل رهبنة النساء بدعة؟

ص٢٢١ **هيبا**: *ماذا عن أديرة النساء؟ يرد الفِريسي: آه، بدعةٌ ابتدعوها على غير أساس.*

حياة الرهبنة النسائية نجد لها جذرًا عميقًا في حياة السيدة العذراء. فهي وإن كانت النموذج الرائع والكامل لكل من يحب البتولية، لكنها كذلك بالأكثر بالنسبة للعذارى. فهي أول إنسان مسيحي حُسِب مثلاً حيًا للحياة الرهبانية، أو حياة التأمل والصلاة والبتولية، حيث عاشت في الهيكل منذ طفولتها. وأيضًا عُرفت القديسة مريم الثيئوطوكوس (والدة الإله) عند العذارى الملتحقات ببيوت العذارى بالإسكندرية

كَمَثَل عظيم لهن. فقد اعتبرتها العذارى "عذراء العذارى" والشفيعة عنهن. وهذا تحقيقًا لنبوة المزمور (مز٤٥ : ١٤ سبعينية) "تدخل إلى الملك عذارى في إثرها، جميع قريباتها إليه يُقَدَّمْن".

وتوضح الأناجيل أن نساءً كثيرات تبعن ربنا يسوع المسيح حتى صليبه وقبره، وكن في غيرتهن مشتاقات إلى تكريس حياتهن للتعبد لله. وفي إنجيل لوقا مدح ربنا يسوع المسيح مريم أخت مرثا هذه التى فضّلت الجلوس عند قدميّ الرب لتسمع كلماته الإلهية عن أن تخدمه مع أختها. قال السيد المسيح لمرثا: "مَرْثَا مَرْثَا أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ. وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا" (لو١٠:٤١-٤٢).

ويقول بولس الرسول مشجعًا النساء على حياة البتولية: "إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقًا: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا" (١كو ٧: ٣٤).

منذ القرن الأول فَضَّلت نساء كثيرات حياة البتولية، ليس استخفافًا بالحياة الزوجية، وإنما رغبة في تكريس كل حياتهن لعريسهن الروحي الرب يسوع المسيح. وقد لعبت هؤلاء العذارى القديسات دورًا حيًا في الكنيسة المسيحية الأولى، فكنّ بالإضافة إلى عبادتهن يقمن بخدمة الأرامل والأيتام والشيوخ والمرضى.

الفصل العاشر

هل ظلم القديس ديمتريوس أوريجانوس؟

ص٢٥٢ **هيبا:** *فالذي يخرج من الإسكندرية مغاضبًا أو مغضوبًا عليه، لا ينبغي له العودة إليها.... فقد عاد إليها أوريجين بعد ما ذَهَــبَ عنهــا مغاضبًا، فأذاقه أسقفُ زمانه ديمتريوس الكرَّام كؤوس المرار.*

لم يُذِقْهُ القديس ديمتريوس بابا الإسكندرية الثاني عشر، كؤوس المرار ولكنه أدان آراءه الفاسدة، مثل عودة التجســد والعــوالم المتعددة وأن الابن أقل من الآب والخلاص الشامل وغير ذلك... فعقد البابا ديمتريوس مَجْمَعَيْن حرم فيهمــا أوريجــانوس للســببين التاليين:

١- أخطاؤه اللاهوتية. ٢- قبوله رتبة الكهنوت فــي فلســطين على الرغم من عدم أهليته لذلك لأنه خصى نفسه عمــدًا. وحتــى اليوم لا يجوز رسامة من يخصي نفسه. ولذلك اعتبر سيامته باطلة بالإضافة إلى قبوله السيامة من أسقف آخر غير أســقفه دون أخــذ تصريح من الأسقف التابع له.

آباء آخرون كانوا ضد أوريجانوس وقاوموه:

- البابا ثيئوفيلس (بابا الإسكندرية الثالث والعشرون) خلال قضية الرهبان الأوريجانيين المعروفين بالأخوة الطوال.
- البابا بطرس خاتم الشهداء (الــ ١٧) كتب ضد أوريجانوس.

- ميثوديوس الأوليمبي (تنيح ٣١١م) أسقف أوليمبيا–كيليكية، في بداية القرن الرابع، وكتب كتابًا ضد أوريجانوس: رفض معظم تعاليم أوريجانوس خاصة مفهومه عن الوجود السابق للإنسان والصفة المؤقتة للجسد.
- القديس إبيفانيوس أسقف سلاميس (حوالي ٣١٠م –٤٠٣م): أدرج الأوريجانية ضمن العديد من الهرطقات شملها كتابه "الهرطقات".
- القديس جيروم: هاجم عقائد أوريجانوس بخصوص قيامة الجسد، حالة النفوس، توبة الشيطان، والثالوث[١٦٦]. وكتب أيضًا القديس جيروم: "أُدين أوريجانوس بواسطة بطريركه البابا ديمتريوس، وأكدت روما إدانته"[١٦٧].
- القديس أغسطينوس في القرن الخامس.

المجامع الأخرى التي أدانته:

١. بعد نياحة البابا ديمتريوس في ٢٣٢م، عاد أوريجانوس إلى الإسكندرية ولكن البابا ياروكلاس – الذي خلف البابا ديمتريوس وكان سابقًا مؤيدًا لأوريجانوس وأحد تلامذته – أكد الحرم الذي أصدره سلَفه البابا ديمتريوس.

[166] Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, p. 734.
[167] Jerome, *Ep*. XXXII 4., quoted in J Stevenson, *Creeds, Councils & Controversies*: *Documents Illustrative of the History of the Church A.D. 337-461* (SPCK: London, 1966), p. 172.

٢. مجمع آخر في الإسكندرية في ٤٠٠م أدان الأوريجانية، وقد طرد البابا ثيئوفيلس البطريرك الـ٢٣ الرهبان الأوريجانيين المعروفين بالأخوة الطوال. وحُرمت أخطاء أوريجانوس التي تشمل الوجود السابق للنفوس قبل تجسّدها، وتناسخ الأرواح، وطبيعة الجسد المقام، والخلاص الشامل حتى للشيطان أيضًا[١٦٨].
٣. في ٤٠٠م أدان أنسطاسيوس أسقف روما أوريجانوس فقال: "إننا نوصي إن كل ما كُتب في الأيام السالفة بواسطة أوريجانوس وكان فيه ما يخالف إيماننا هو مرفوض ومُدان منا"[١٦٩].
٤. عقد القديس إبيفانيوس مجمعًا في ٤٠٢م في قبرص حرم فيه أوريجانوس وتعاليمه.
٥. في ٤٥٠م أدان أفرام الأنطاكي الأوريجانية في مجمع محلي.
٦. في ٥٤٣م أصدر الإمبراطور يوستينيان منشورًا لاهوتيًا يحوي مقتطفات من كتاب لأوريجانوس "المباديء" مع عشر حرومات.
٧. أُعيدت هذه الحروم مرة أخرى في ٥٥٣م في مجمع القسطنطينية الثاني حيث أُدرج أوريجانوس ضمن قائمة الهراطقة القدامى. وهكذا صار واضحًا أن بعض العقائد التي حرمتها الكنيسة (والتي تخص الأخرويات، الكونيات، البشريات) هي حقيقةً تُنسب لأوريجانوس مما جاء في كتاب "المباديء"[١٧٠].

* * *

[168] Douglas, *The New International Dictionary of the Christian Church*, p. 734.
[169] *ap*. Jerome, *Ep*. XCV. 1-2., quoted in Stevenson, *Creeds, Councils & Controversies*, p. 176.
[170] Davis, *The First Seven Ecumenical Councils*, p. 233.

هل كان طاطيان وثنيًا؟

ص٢٣٦ في الحاشية يذكر **المترجم:** *أن طاطيان كان وثنيًا* "

ولكنه كان من أبوين وثنيين ثم صار مسيحيًا بعد لقائه بالقديس يوستين الشهيد في روما. وبعد استشهاد يوستين صار طاطيان من مؤيدي وربما هو المؤسس لبدعة Encratites أي "المغالون في العفة" Abstinent وهي بدعة غنوسية خرجت على المسيحيين. وهم لا يشجعون الزواج باعتباره زنا – ويحرمون شرب الخمر لدرجة استبداله في التناول بالماء، وأمور أخرى غريبة على المسيحيين.

* * *

وهكذا في نهاية هذا الباب، يتضح أن الكثير جدًا مما جاء بالرواية هو من خيال المؤلف، الذي كرر مرارًا كثيرة في وسائل الإعلام والمواقع الإلكترونية إنه لا توجد معلومة واحدة خطأ في روايته!

الباب الثاني

الأخطاء العقائدية

الفصـــل الأول

- دفاع نسطور عن آريوس وإيمانه بالآريوسية
- التشكيك في ألوهية السيد المسيح
- التشكيك في صلب السيد المسيح وقيامته
- (وشرح مبسط لعقيدة الفداء والكفارة)

الفصـــل الثاني

- كنيسة الإسكندرية تعتقد بثالوث هو ثالوث قدماء المصريين الوثنيين
- كنيسة أنطاكية لا تعتقد أصلاً بالثالوث
- (وشرح مبسط لعقيدة الثالوث في المسيحية)
- وحدة الله والمسيح، الآب والابن في أقنوم واحد أو طبيعة واحدة

الفصـــل الثالث

- دفاع د. يوسف زيدان عن نسطور الذي ينادي بالشِرك
- (وشرح مبسط لعقيدة طبيعة السيد المسيح)

الفصل الرابـــع

- ما هي حرومات القديس كيرلس أو "لعنات كيرلس" كما يسميها د. زيدان
- عنوان رسائل القديس كيرلس

الفصل الخامس

- التجسد خرافة
- (وشرح مبسط لعقيدة التجسد)
- بطرس الرسول هو الصخرة التي قامت عليها الكنيسة
- الإنسان مُسيَّر وليس مُخيَّرًا

الفصل الأول

هل دافع نسطور عن آريوس وهل آمن بالآريوسية؟

دفاع نسطور عن آريوس:

ص٥٣ **نسطور:** *ثم انتصر الإمبراطور للأسقف إسكندر ليضمن قمح مصر ومحصول العنب السنوي، وحَرَمَ الراهب آريوس، وحَرَّم تعاليمه، وحكم بهراطقته كي يرضي الأغلبية من الرعية، ويصير بذلك نصير المسيحية..*

ص٥٣ و ٥٤ **نسطور:** *... وكل ما أعلموك به من أمر آريوس وآرائه التي يعدونها هرطقة. ولكنني أرى الأمر من زاوية أخرى، زاوية أنطاكية إن شئت وصفها بذلك. فأجد أن آريوس كان رجلاً مفعمًا بالمحبة والصدق والبركة. إن وقائع حياته وتبتله وزهده، كلها تؤكد ذلك. أما أقواله، فلست أرى فيها إلاّ محاولة لتخليص ديانتنا من اعتقادات المصريين القدماء في آلهتهم، فقد كان أجدادك يعتقدون في ثالوث إلهي زواياه ايزيس وابنها حورس وزوجها أوزير الذي أنجبت منه من دون مضاجعة. فهل نعيد بعث الديانة القديمة؟ لا، ولا يصح أن يقال عن الله إنه ثالث ثلاثة. الله يا هيبا واحد لا شريك له في ألوهيته. ولقد أراد آريوس أن تكون الديانة لله وحده لكنه ترنم في زمانه بلحن غير معهودٍ من مثله. معترفًا بسر الظهور الإلهي في المسيح وغير معترف بألوهية يسوع. معترفًا بأن يسوع ابن مريم الموهوب للانسان، وغير معترف بشريك لله الواحد.*

يتضح من سياق الكلام السابق واللاحق لهـذه المقولـة كـم كـان نسطور متعاطفًا مع آريوس في الرواية. وأيضًا في:

ص٢٥٣ **نسطور**: *استدرج الإسكندرانيون الراهب آريوس إلى القسطنطينية من منفاه ببلاد القوط (إسبانيا) بعدما كان قد استقر هادئاً هانئاً بأقصى العالم. استدرجوه، بعدما حرموه وعزلوه ومثّلوا بسمعته. لم يرضوا له أن يموت في سلام... لقى آريوس مصيره المفجع ومات مسمومًا.*

يتضح من كلام نسطور في الرواية إنه ينحاز إلى آريوس ويمدحه مدافعًا عنه وعن إيمانه، ويهاجم عقيدة الثالوث وألوهية الابن الوحيد الذي هو الله الكلمة. ولكن نسطور كان يدافع عن عقيدة الثالوث وعن ألوهية الابن الكلمة بكل شدّة لدرجة أنه لم يقبل فكرة تجسّد الكلمة بل ادّعى أن الله الكلمة سكن في الإنسان يسوع المسيح ومنحه ألقابه وكرامته، وأن الطبيعة الإلهية للإله الكلمة لا يمكن أن تتحد بالطبيعة البشرية ليسوع المسيح، وبهذا يكون الكلمة هو ابن الله ويسوع هو ابن مريم، ومن أجل كرامة الإله الحال في الإنسان يُعبد الإنسان مع الإله بعبادة واحدة. ولهذا رفضت الكنيسة عقيدة نسطور في التجسد. ولكن نسطور لم يرفض، كما قلنا، عقيدة الإله الواحد المثلث الأقانيم، أما الدكتور يوسف زيدان فيدّعي أن نسطور حينما كان قسيسًا في أنطاكية قد انحاز إلى عقيدة آريوس الذي رفض عقيدة الثالوث المسيحي. ولكن هذا غير صحيح بالمرَّة، بل على العكس من ذلك، فحسب ما هو مذكور في جميع المراجع العالمية المشهورة أن نسطور أظهر حماسًا غيرعاديًا في مقاومة

الآريوسية التي تنادي بأن ابن الله الكلمة غير مساوٍ للآب في الجوهر والأزلية:

يذكر المؤرخ المعروف شاف [171] Phillip Schaff :

> في خطاب تنصيبه بطريركًا خاطب (نسطور) الإمبراطور ثيئودوسيوس الثاني بهذه الكلمات: "أعطني أيها الإمبراطور الأرض نقية من الهراطقة وأنا سأعطيك السماء في المقابل، ساعدني في الحرب ضد الهراطقة وأنا سأساعدك في الحرب ضد الفرس"[172]. وبعد تنصيبه مباشرة بدأ في اتخاذ إجراءات عنيفة ضد الآريوسيين.

يذكر المؤرخ الشهير هيفيلي [173]Hefele نفس ما ذكره شاف عن ما جاء في خطاب تنصيبه وأضاف:

> بعد ذلك بأيام قلائل صمم أن يحرم الآريوسيين من كنيستهم الصغيرة التي كانوا لا يزالوا يمتلكونها في القسطنطينية، حتى أنهم اقتيدوا إلى إشعال النار فيها بأنفسهم، الأمر الذي جعل الهراطقة وكثير من الأرثوذكس يلقبون نسطور بـ "المُحرِق".

يذكر [174]Henry Wace & William C. Piercy:

> في اليوم الخامس لتنصيبه، قرر (نسطور) أن يهدم الكنيسة

---

[171] Schaff, vol. 3, p. 716.
[172] Soc. vii. 29., in vol. 2 of *NPNF*, 2nd ser., p. 169.
[173] Hefele, vol. 3, p. 10.
[174] Wace and Piercy, p. 753.

الصغيرة التي اعتاد الآريوسيون الاحتفال بعبادتهم فيها.

ولتأكيد عقيدة نسطور المضادة للآريوسية مع رفض فكـرة تجسـد الابن الوحيد أي الله الكلمة، نورد نص خطابه الرابع ضد بروكلس والذي تظهر فيه جليًا عقيدته في ألوهية الابن الكلمة (وهـي التـي رفضها آريوس) ورفضه لعقيدة التجسد التي دافع عنهـا القـديس كيرلس الكبير:

> إنهم يدعون اللاهـوت معطـي الحيـاة قـابلاً للمـوت، ويتجاسرون على إنزال اللوغوس إلى مسـتوى خرافـات المسرح، كما لو كان (كطفل) ملفوفاً بخرق ثم بعـد ذلـك يموت.. لم يقتل بيلاطس اللاهوت، إنما حُلة اللاهوت. ولم يكن اللوغوس هو الذى لُف بثوب كتّاني بواسـطة يوسـف الرامي... لم يَمُت واهب الحياة لأنه مَنْ الذي سوف يقيمـه إذن إذا مات.. ولكي يصنع مرضاة البشر اتخـذ المسـيح شخص الطبيعة الخاطئة (البشرية) .. أنا أعبد هذا الإنسـان (الرجل) مع اللاهوت ومثل آلات صلاح الرب.. والثـوب الأرجوانى الحي الذي للملك... ذاك الذي تشكَّل في رحـم مريم ليس الله نفسه.. لكن لأن الله سـكن فـي ذاك الـذي اتخذه، إذن فإن هذا الذي اتُّخِذَ أيضاً يدعى الله بسـبب ذاك الذي اتخذه. ليس الله هو الذي تألم لكن الله اتصل بالجسـد المصلوب... لذلك سوف ندعو العذراء القديسة ثيئوذوخوس

θεοτόκος (وعاء الله) ولـــيس ثيئوتوكـــوس θεοδόχος (والدة الإله)، لأن الله الآب وحده هو الثيئوتوكوس، ولكننـــا سوف نوقّر هذه الطبيعة التي هي حُلة الله مـــع ذاك الـــذي استخدم هذه الحُلة، سوف نفّرق الطبائع ونوحّـــد الكرامـــة، سوف نعترف بشخص مزدوج ونعبده كواحد"[١٧٥].

بالرغم من إيمان نسطور بأن الابن الوحيد الذي هو الله الكلمة هو مساوٍ للآب في الجوهر، وبالرغم من إيمانه بعقيدة الثالوث القدوس وبالأقانيم الثلاثة؛ الآب والابن والروح القدس، لكنه لم يقبل فكرة تجسد الكلمة واتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية. ولم يقبل أن الله الكلمة يتألم بحسب الجسد؛ فاعتبر أن يسوع المسيح هو إنسان حامل لله الكلمة، والإنسان هو الذي تألم على الصليب، والله الكلمة كان يقويه، وكان بهذا يحارب الذين يرفضون ألوهية الابن الوحيد بقولهم إنه لو كان إلهًا لما مات على الصليب، وقد حاربهم بشدة لأنه كان متمسكًا بأن الابن الوحيد الجنس هو مساوٍ للآب في الجوهر. ولكنه لم يفهم أنه تألم بالجسد ولكن ليس بحسب ألوهيته.

يعود الدكتور زيدان في ص٢٢٩ يذكر على لسان هيبا:

اليوم أسألُ الأسقف نسطور حين تسنح الفرصة، عن صحة الأخبار التي يتناقلها الرهبانُ حول بطشه بمن يرى أنهم مهرطقون ".... ولسوف أسأله (يقصد الأسقف نسطور) عما قاله في خطبة رسامته أسقفًا موجهًا كلامه

[175] Marius Merc. l.c. pp. 789-801, quoted in Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, pp. 15, 16.

للإمبراطور: ساعدني في حربي ضد الكفر، أساعدك في حربك ضد الفرس. أعطِني الأرض خالية من الهراطقة، أُعطِكَ مفاتيح السماء ونعيمها المقيم! إن صَحَّ عنه مثل هذا القول العجيب، صَحَّ عندي أنه تغيَّر عن الحال الذي عرفته عليه، وصار يطلب الأرض لا السماء.. وذلك مما لا أحبه له".

الحقيقة إنه كما يتضح فيما بعد، لم تسنح الفرصة –على حد تعبيره– ولم يستفسر من نسطور إلى آخر الرواية عن ذلك ولا عن أخبار مقاومته للآريوسيين. ويترك الأمر بلا تفسير منه! ويترك القارئ في عدم اليقين إن كان نسطور قد غيَّر فكره وانقلب على الآريوسيين فعلاً أم لا.

ولكن من المعروف والثابت تاريخيًا أن نسطور منذ أن كان قسًا في أنطاكية اشتهر بمقاومته للآريوسيين. وإنه لهذا السبب رُشح لأسقفية القسطنطينية. تمامًا مثلما نَصَّب الآباء فيما مضى، القديس غريغوريوس أسقف نيزيانزا أسقفًا على القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية أيضًا لنفس الغرض؛ لكي يدحض الهرطقة الآريوسية بواسطة خطبه اللاهوتية الرائعة والبليغة والتي نُعت بسببها بـ "اللاهوتي". ونفس الأمر حدث مع القديس يوحنا ذهبي الفم الذي كان قسًا وواعظًا قديرًا في أنطاكية، وارتقى إلى كرسي القسطنطينية لبراعته في الوعظ، وصار من ألقابه أيضًا "خطيب مدينتين" أي أنطاكية والقسطنطينية مثلما حدث مع نسطور. ولذلك لا نعجب إن كان أول ما فعله نسطور بعد رسامته هو مقاومته للآريوسية.

ويُعد هذا الإجراء إجراءً طبيعيًا؛ إذ أن نسطور كان تلميذًا لثيئودور الموبسويستي -وقد ذكر د. زيدان ذلك في روايته- وثيئودور أسقف موبسويستيا هذا اشتهر بدفاعه عن ألوهية الكلمة ضد الآريوسيين وضد إفنوميوس (الذي نادى أيضًا بأن الابن أقل من الآب). وسندلل على ذلك من أقوال هذا الأسقف ومن عدة مراجع:

الكلمة كان في البدء... فكل الخلائق ما كانت وبدأت توجد. أما هو فكان الله منذ الأزل... هو إله حق من إله حق. هو من الله بالطبيعة لا بمجرد التسمية. هو في حضن الآب كما يقول يوحنا الحبيب وهو لا ينفصل عنه... اعتقد الهراطقة (أي الإفنوميون) إنه إله حق وإله بالطبيعة ولكنهم لا يقولون إنه الله مثل أبيه. لهذا أعلن آباء نيقية إنه مساوٍ لأبيه في الطبيعة. وكما أعلنوا أن الآب هو باري الكل، كذلك أوضحوا أن الابن المولود من الآب والمساوي له في الجوهر هو خالق الكل مثل أبيه[١٧٦].

ويذكر مؤلف كتاب تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، أن نسطور التحق بدير يُدعى "دير أوبريبيوس":

"ووجد نسطور في هذا الدير ضالته المنشودة. فقد كان ثيئودورس... يلقي فيه يومذاك محاضراته القيمة. فتتلمذ له مع يوحنا بطريرك أنطاكية وثيئودوريتس أسقف قورش

---

[١٧٦] د. بولس الفغالي، *ثيودورُس أسقف المصيصة ومفسر الكتب الإلهية، التراث السرياني* ٣، دار المشرق، بيروت ١٩٩٣م، ص ١١٤، ١١٥.

وروفينس الآكيلي وبرصوم أسقف نصيبين... فغاص في بحره الذاخر وجمع من حمأته[١٧٧].

"كان نسطور من تلامذة مدرسة أنطاكية، ومشبَّعًا بتعاليم ثيئودورس المصيصي"[١٧٨].

"في نفس السنة ٤٢٨م، التي مات فيها ثيئودور... ارتقى تلميذه نسطور كرسي أسقفية القسطنطينية"[١٧٩].

كان ثيئودور مساندًا قويًا للأرثوذكسية النيقية الجديدة التي لمجمع القسطنطينية ٣٨١م. وكان عدوًا لكل من الآريوسيين والأبوليناريين[١٨٠].

وفي كتاباته هاجم الآريوسية بوضوح:

"في التجسد"، وهو من ١٥ كتابًا:

هو أكثر أعماله التي أُقتبس منها، ويُعد ليس فقط أهم أعماله بل أهم كل مقالات مدرسة أنطاكية... ألَّفه ثيئودور قبل أن يصبح أسقفًا على موبسويستيا. وهو موجه ضد آريوس وإفنوميوس وأبوليناريوس أسقف اللاذقية[١٨١].

"ضد إفنوميوس"، في ٢٥ كتابًا ضد إفنوميوس دفاعًا عن باسيليوس:

---

[١٧٧] سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية للسريان الأرثوذكس)، ج٢، ص ٣٤.

[١٧٨] الأب ألبير أبونا، *أدب اللغة الآرامية*، دار المشرق، المكتبة الشرقية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٦م، ص٩٨.

[١٧٩] Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 414.

[180] *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed., s.v. "Theodore of Mopsuestia" (ca. 350-428). p. 1116.

[181] Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 410.

يحوي غنىً في الشواهد المأخوذة من الكتاب المقدس. وهو يدحض مناقشات إفنوميوس تقريبًا كلمة بكلمة[١٨٢].

في كتاباته، "كان أول إهتماماته هو الجدل الآريوسي "ضد إفنوميوس" وفيه فنَّد إجابة إفنوميوس لباسيليوس"... أهم عمل عقائدي له كان "في التجسد" في ١٥ كتاب وموجه ضد الإفنوميين والأبوليناريين"[١٨٣].

كما يذكر أيضًا مؤلف كتاب "ثيودورُس أسقف المصيصة ومفسر الكتب الإلهية[١٨٤] "أن نسطور كان تلميذًا لثيئودور، وأن ثيئودور في أهم كتاباته مثل "في التجسد"، هاجم الآريوسية والإفنومية، كما ذكر جيناديوس أسقف مرسيلية الذي عثر على هذا الكتاب في القرن الخامس. وذكر أيضًا مؤلف الكتاب المذكور أن ثيئودور كتب كتابًا "ضد الإفنوميين".

ومن المعروف أيضًا أن ثيئودور الموبسويستي هذا هو أبو الهرطقة النسطورية[١٨٥] بالرغم من دفاعاته ضد الآريوسيين. إذ أن النساطرة قد أنكروا ألوهية يسوع، لأنهم استبعدوا أن يكون الابن الوحيد الذي هو الله الكلمة، قد مات على الصليب. فقالوا إنه سكن في الإنسان يسوع. ولكنهم سقطوا في الهرطقة وهم يقاومون الهرطقة الآريوسية.

---

182 Quasten, *Patrology*, vol. 3, p. 412.

183 *Encyclopedia of the Early Church*. vol. 2, s.v. pp. 824, 5.

١٨٤ د. بولس الفغالي، ص ١٦، ١٧، ٥٦، ١٠٨.

185 Hefele, vol. 3, p. 9.

التشكيك في ألوهية السيد المسيح

قد أثبتنا تاريخيًا أن نسطور قاوم الآريوسية بشدة، على عكس ما ذكره د. يوسف زيدان في روايته على لسان نسطور، مدافعًا عن إيمان آريوس الذي يتلخص في عدم الإيمان بألوهية الرب يسوع.

ص٤٧ **نسطور:** *المسيح يا هيبا مولود من بشرٍ، والبشرُ لا يلد الآلهة.. كيف نقول إن السيدة العذراء ولدت ربًا، ونسجد لطفل عمره شهور، لأن المجوس سجدوا له!.. المسيحُ معجزةُ ربانية، إنسانُ ظهر لنا الله من خلاله، وحَلَّ فيه، ليجعله بشارة الخلاص وعلامة العهد الجديد للإنسانية. مثلما أوضح لنا الأسقف تيودر أمس.*

ص٢٤٦ **نسطور:** *التجلي المؤقَّت للإله المتعالي في المسيح يسوع، هو رحمةٌ أهداها الله لنا، ولا يجب علينا إهدار الهدية الإلهية بهذا التوسُّع والاسترسال مع خرافاتنا الخاصة بألوهية المسيح، منذ كان في بطن أمه أو منذ زمن طفولته، ولا يصح الاعتقاد بأن مريم العذراء ولدت الله! فالله باقٍ على كماله الأزلي الأبدي، فهو الواحد الفرد، لا يولد ولا يموت، وهو يتجلَّى حيناً، ويحتجب أحياناً بحسب مشيئته.*

ص٥٤ **نسطور:** *ولا يصح أن يقال عن الله إنه ثالث ثلاثة. الله ياهيبا واحد لا شريك له في ألوهيته. ولقد أراد آريوس أن تكون الديانة لله وحده لكنه ترنم في زمانه بلحن غير معهودٍ من مثله. معترفًا بسر الظهور الإلهي في المسيح وغير معترف بألوهية يسوع.*

يحاول د. زيدان أن يقنع القارئ بفكرة أن الرب يسوع المسيح ليس إلهًا. وهذه النقطة بالذات هي مساس بقلب ومشاعر كل

مسيحي حقيقي. فهي لُب المسيحية وقلبها النابض بدونها لا توجد مسيحية على الإطلاق. ونلاحظ أن الراهب لم يعارض نسطور فيما قاله، وكأنه الحقيقة التي كانت مختفية وأزاح نسطور الستار عنها!

تقوم المسيحية على عقيدة أن المسيح هو ابن الله الذي له نفس جوهره. فإن لم يكن السيد المسيح هو الله لفقد الفداء قيمته؛ لأنه هل يستطيع إنسان مهما بلغت قداسته أن يكفر عن خطايا العالم كله؟ وهكذا لو لم يفدِ الله الإنسان لَمَا نال غفران خطاياه وتجديد طبيعته، وبالتالي الحياة الأبدية السعيدة. فنحن نؤمن أن الذي صُلب ومات على الصليب هو الله المتجسد. فاللاهوت لا يمكن أن يموت لذلك اتحد بجسد قابل للموت "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ" (عب٢: ١٤). ونجد ذلك واضحًا في مقولة مشهورة للقديس **أثناسيوس الرسولي** في الفصل التاسع من كتابه "**تجسد الكلمة**":

> وإذ رأى الكلمة أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلا بالموت كشرط لازم، وأنه مستحيل أن يتحمل الكلمة الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب، لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى باتحاده بالكلمة، الذي هو فوق الكل، **يكون جديراً أن يموت نيابة عن الكل،** وحتى يبقى في عدم فساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه وحتى يتحرر الجميع من الفساد، فيما بعد، بنعمة القيامة من الأموات. وإذ قدم للموت

ذلك الجسد، الذي أخذه لنفسه، **كمحرقة وذبيحة** خالية من كل شائبة فقد رفع حكم الموت فوراً عن جميع من **ناب عنهم**، إذ قدم **عوضاً عنهم** جسداً مماثلاً لأجسادهم.

ثم قام من الأموات في اليوم الثالث وأقامنا فيه؛ أي أنه كما أعطى لجسده إمكانية أن يقوم قيامة الحياة صار لكل المؤمنين به نفس الامتياز.

سوف نشرح بطريقة مبسّطة عقيدتنا في الفداء والكفارة. بعد أن نورد هنا بعض ما جاء في الرواية من الأضاليل!

* * *

التشكيك في صلب السيد المسيح وقيامته

ص٢٣ **هيبا:** *هل قام يسوع حقاً من بين الأموات! وكيف له وهو الإله، أن يموت بأيدي البشر.. هل الإنسان قادر على قتل الإله وتعذيبه، وتعليقه بالمسامير فوق الصليب!*

ص٧٢ **هيبا:** *ويمقتهم المسيحيون لوشايتهم بالمخلّص وتسليمه للرومان ليصلبوه.. ليصلبوه.. "أتراه صُلب حقاً؟"*

ص٣٦٤ إلى نهاية ٣٦٦ **على لسان هيبا وعزازيل**

- غير أنني فوجئت بصوت عزازيل يتصعَّد من أقصى مواطن فراغي، وأحلكها، فُيسيل قلبي بين الضلوع، ويشعرني بأن السماء انطبقت على الأرض وانا محشورٌ بينهما. كان يقول: متي يا هيبا ستكتب الكتابة الحقة،

وتكف عن المراوغة وتتغنَّى بالألم الذي فيك؟ لا تكن مثل ميت ينطق عن ميتين، ليرضي الميتين! قل الحق الذي بقلبك مثلاً، يا مرتا، أَشرقي بلحظةٍ من وصالك، لتنيري قلبي المظلم، وتبدّدي وحشتي..

– اسكتْ يا ملعون، لن أتغنَّى إلا بالمسيح الحيّ.. فالشعرُ دُرٌّ منظوم، وقد قال المسيحُ يسوع: لا تلق بالدر للخنازير.

– هل صارت مرتا عندك كالخنازير. أفقْ يا هيبا وانتبه، فإن شوقك إليها يعتصُرك ويهصُر قلبك.. اذهبْ إليها، خذها وارتحل عن هذه البلاد، اسعدْ بها ودعها تمرح، ثم صُبْ عليّ اللعنات لأنني أغويتك؛ فنكون نحن الثلاثة قد تحقَّقنا، وحقَّقنا ذواتنا.

قلتُ في نفسي، لن أصغي لتشكيكات عزازيل فهو بطبعه متشككٌ ومثيرٌ للقلق. سوف أغسل قلبي بماء اليقين، وأستعصم بإيماني من غواياته وهرطقته وميله للمتع الزائلة. مهما كان تعلُّقي بمرتا، فإنه مؤقَّت، مثل كل ما في الدنيا. ولن أبيع الباقي من أجل الفاني، والغالي من أجل الرخيص. سوف أعيشُ حياتي في المسيح الحي.

- أهو حيٌّ، كيف وقد قتله الرومان؟
- مات أيامًا، ثم قام قيامته المجيدة من الموت!
- وكيف مات أصلاً.. كيف لك أن تصدّق يا هيبا، أن الحاكم الروماني بيلاطس وهو الإنسان، قادرٌ على قتل المسيح الذي هو الإله.
- كان ذلك السبيل الوحيد لخلاص الإنسان.
- بل كان السبيل الوحيد لتخليص المسيحية من اليهودية!

لم أشأ أن أسمع من عزازيل المزيد لكنه ظل يهمس في أذني، أثناء نومي، رأيّ عجيب. كان يقول أشياء كثيرة، منها أن اليهود أهانوا فكرة الألوهية التي اجتهدت الإنسانية طويلاً كي تصوغها. حضارات الإنسان القديمة علت بالإله، واليهود جعلوه في توراتهم منهمكاً مع البشر، فكان

لابد من إعادته إلى السماء ثانيةً.. وهكذا جاءت المسيحيةُ لتؤكّد وجود الله مع الإنسان في الأرض، في شخص المسيح، ثم ترفعه مستعينة بالأساطير المصرية القديمة، إلى موضعه السماويّ الأول. بعدما ضحَّى (الإله) بنفسه، على ما يزعمون، من أجل خلاص البشر من خطية أبيهم آدم!.. فهل انمحت الخطايا بعد المسيح، وهل صعب على الله أن يعفو عن البشر بأمرٍ منه. من غير معاناةٍ موهومة، وصلبٍ مهينٍ وموتٍ غير مجيدٍ، وقيامةٍ مجيدة..

غاب عزازيل بداخلي وسَكَتَ، فغمرتني راحةٌ مفاجئةٌ، شعرتُ بعدها بالفراغ يلفّني.. بعد حينٍ توسَّدتُ فراغي، ونمتُ في نومي.

ولم ينتهر هيبا عزازيل ولم يعلِّق على كلامه، وهذا دليل على أنه يوافقه فيما قاله. ومما يؤكد ذلك أن د. زيدان يذكر في نهاية الرواية في ص ٣٦٧ على لسان هيبا، نفس ذلك الكلام تعليقًا على مقدمة قانون الإيمان التي ذكر نصَّها:

هيبا: *تلك هي مقدمة قانون الإيمان... أعني الإيمان بالإله. الإله الذي أعادته ديانتنا ثانيةً إلى السماء.*

سأحاول في الصفحات التالية أن أشرح شرحًا مبسطًا يجيب على هذا التشكيك الذي يؤدي إلى الضياع. وسوف تجد في الشرح الإجابة التي أتمنى أن تكون وافية للرد على هذه الشكوك.

* * *

شرح مبسط لعقيدة الكفارة والفداء

وإعلان محبة الله وعدله على الصليب

يقول المزمور "الرحمة والحق تلاقيا. البر والسلام تلاثما. الحق من الأرض أشرق والبر من السماء اطلّع" (مز٨٥: ١٠-١١). فكما أن الصليب هو إعلان عن محبة الله حسب قول السيد المسيح "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦)، فإن الصليب أيضًا إعلان عن قداسة الله الكاملة وعن عدالته المطلقة. كما هو مكتوب "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب٩: ٢٢).

فالغفران الإلهي هو غفران مدفوع الثمن. لأن الخطية والبر لا يتساويان عند الله. ولكي يعلن الله بره الكامل وقداسته المطلقة فلابد أن يعلن غضبه على الخطية. كقول معلمنا بولس الرسول "لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم" (رو١: ١٨). ويقول أيضًا معلمنا بولس الرسول "مخيف هو الوقوع في يدى الله الحي" (عب ١٠: ٣١)، ويقول "لأن إلهنا نار آكلة" (عب١٢: ٢٩). **وقيل عن عمل السيد المسيح الفدائي المذكور في سفر الرؤيا** "وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ" (رؤ١٩: ١٥).

إذن، الله يغضب بسبب الخطية وهذا واضح تماماً في كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد المقدسة.

غضب الله:

لا أحد يستطيع أن ينكر غضب الله بسبب الخطية، بل لابد أن تُعلَن **قداسة** الله الكاملة كرافض للخطية والشر في حياة الإنسان أي كرافض لخطية الإنسان. **عدل الله** في محاسبته على الخطية معناه أن تظهر قداسة الله الكاملة بأن تنال الخطية قصاصاً عادلاً. حتى لو دفع الثمن من يحمل خطية الإنسان عوضاً عنه، مانحاً الخاطئ فرصة للتوبة والحياة، بعد أن يكتشف بشاعة الخطية ويكرهها قابلاً محبة الله الشافية والغافرة التي يمنحها الروح القدس في الأسرار.

كان الإنسان الضائع الذي سقط في فخ إبليس، وسقط تحت الغضب الإلهي يحتاج إلى من يخلّصه. كقول الرب "من يد الهاوية أفديهم. من الموت أخلصهم" (هو١٣: ١٤). وكان الأمر يحتاج إلى من يسحق سلطان الموت ويهزم طغيانه، **ويحتاج إلى من يستطيع أن يحرر المسبيين ويخلصهم من أسر إبليس وينقذهم من الغضب الإلهي.**

تحرير البشر من سلطان الشيطان:

يتضح ذلك من كلام السيد المسيح لبولس الرسول حينما ظهر له وهو في طريقه إلى دمشق وقال له "قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به

منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور **ومن سلطان الشيطان إلى الله** حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين" (أع ٢٦: ١٦-١٨).

إنقاذ البشر من غضب الله:

إن السيد المسيح احتمل الغضب. الألم الذي احتمله هو نتيجة الغضب المعلن ضد الخطية. الغفران في المسيحية، ليس غفراناً بلا ثمن بل هو غفران مدفوع الثمن. والذي دفع الثمن هو السيد المسيح بدافع محبته لكي يخجل الخطاة بهذا الحب العجيب...

فالإنسان يخجل من خطاياه التي تسببت في آلام المخلص واحتماله التعيير وموته كما قال بفم النبى "تعييرات معيّريك وقعت عليَّ" (مز ٦٩: ٩).

إن الإنسان حينما ينظر إلى صليب الرب يسوع المسيح يقف مبهوراً من محبته، ومخزياً من كل خطية تسببت في صلبه. إنه يرى في الصليب الحب بأجلى معانيه. ويرى أيضًا العدل يأخذ مجراه. ويسمع كلمات الرسول منذراً إياه هو وغيره من المؤمنين: "قد اشتريتم **بثمن** فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو٦: ٢٠). وأيضًا قوله "إنكم لستم لأنفسكم" بل للمسيح (١كو٦: ١٩). أليست هذه هي الأنشودة الرسولية "كي يعيش

الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام" (٢كو٥: ١٥).

إن الله لكي ينقذنا من نتائج خطايانا، "أرسل ابنه كفّارة لخطايانا" (١يو٤: ١٠) وأدان الخطية كقول معلمنا بولس الرسول "الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية **دان الخطية** في الجسد" (رو٨: ٣). إدانة الخطية في الجسد، تعني أن الخطية قد أُدينت على الصليب. فالله "لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين" (رو٨: ٣٢). الله لم يشفق على ابنه حينما حمل خطايانا في جسده بل أعلن غضبه على الخطية لكي تنال الخطية دينونة عادلة. وهنا يتبرر الله كقدوس وكرافض للشر.

إن الله يريد أن يعلن نقمته وغضبه ضد خطية الإنسان. فمن يقبل أن يحمل المسيح خطاياه عنه، فإنه يرى بعينيه الخطية قد سُمرت على الصليب. ويعلم بهذا أن خطاياه قد غفرت. يرى بعينيه الخطية وقد أدينت دينونة عادلة. وهكذا قال معلمنا بولس الرسول "إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب" (كو٢: ١٤).

ويشرح القمص تادرس يعقوب هذه الآية ويقول [ماذا يعني تمزيق صك الدين الذي علينا الذي أعلنته فرائض الناموس؟ إلاّ إيفاء الدين تماماً بالصليب].

وهنا نتذكر قول معلمنا بولس الرسول "من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً

أشر تظنون إنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدّس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب١٠: ٢٨، ٢٩). وأيضًا "فإننا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا أجازى يقول الرب. وأيضًا الرب يدين شعبه. مخيف هو الوقوع في يدى الله الحي" (عب١٠: ٣١،٣٠). وقوله أيضًا "لذلك ونحن قابلون ملكوتًا لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخشوع وتقوى. لأن إلهنا نار آكلة". (عب١٢: ٢٩،٢٨).

وقد أشار القديس يوحنا ذهبي الفم إلى أهمية رفع الغضب الإلهي لإتمام المصالحة فقال:

> ولكي تعلموا أننا أخذنا الروح القدس كعطية تصالح الله معنا.. وإن الله لا يرسل نعمة الروح القدس إذا كان غاضباً منا. لكيما إذا اقتنعتَ بأن غياب الروح القدس هو دليل غضب الله، تتأكد أن إرساله مرة أخرى هو دليل المصالحة. لأنه لو لم تكن المصالحة قد تمت لما أرسل الله الروح القدس (العظة الأولى عن عيد حلول الروح القدس).

نحن اليوم حينما نقول "سامحنا يارب" عندما نخطئ. يقول لنا الرب: نعم أسامحكم، لكن لابد أن تفهموا أن خطيئتكم ثمنها مدفوع. ثمنًا غاليًا..

لماذا لا يغفر الله لنا بدون الصليب؟

البعض يقولون لماذا لا يغفر الله الخطية بناءً على طلـب الإنسـان بدون آلام الصليب ومعاناته. ونحن نجيبهم: إن الله إذا غفر بـدون قصاص كامل للخطية يكون كمن يتساوى عنده الخير والشـر. وإذا كان الغفران هو علامة لرحمته فأين قداسته الكاملة كرافض للشـر إن لم تأخذ الخطية قصاصاً عادلاً؟

نحن نفهم أن الله يقول أنا أغفر لكم. لكني أغفر لمن يدرك قيمة الغفران أن ثمنه غالٍ جداً؛ ولمن يقبل نعمة الشفاء من الخطية بفعل التجديد والتطهير الذي يعمله الروح القدس.

ما الفائدة أن مريضاً يطلب من الطبيب أن يسامحه على مرضه دون أن يطلب منه الشفاء؟!! الأجدر بـالمريض أن يطلـب مـن الطبيب أن يشفيه بكل الأدوية الضرورية. وهكذا لا يكفـي طلـب المغفرة من الله بدون وجود سبب للمغفرة، بل يلزم طلب المغفـرة على حساب دم المسيح وطلب الشفاء وقبول تعاطي الـدواء الـذي يمنحه الطبيب السماوي وهو تجديد الطبيعة بالمعمودية وممارسـة الأسرار المقدسة. والكتاب يقول عن شفاء مرض لذة الخطية التـي دفع ثمنها السيد المسيح "**الذي بجلدته شفيتم**" (١بط٢: ٢٤).

وقيل أيضًا إنه "مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا مِلنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش٥٣: ٥،٦).

الإنسان يشعر أن ثمن خلاصه مدفوع، وأن السيد المسيح اشتراه بدمه. فلم يعد مِلكاً لنفسه. وأنه قد دُفن مع المسيح وصُلب معه في المعمودية. فحينما تأتي الخطية وتقول له خذ نصيبك من المتعة، يقول لها ما هو نصيبي من لذة الخطية؟! هل الميت له نصيب في ذلك؟!! لهذا يقول القديس بولس الرسول "احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا" (رو٦: ١١). فالإنسان يرى أن خطيته قد دُفع ثمنها لكي ينال الغفران. يأتيه الشيطان ويقول له ارتكب الخطية مرة أخرى. فيجيبه: كيف ذلك؟!! هذه الخطية ثمنها غالٍ.. الغفران مدفوع الثمن بالكامل. لأن "أجرة الخطية هي موت" (رو٦: ٢٣).

فالموت الذي أستحقه أنا، دفع ثمنه بالكامل المسيح مخلصي. يخجل الإنسان من نفسه كلما ينظر إلى الصليب ويشعر بالخزي، يحتقر نفسه.. يكره نفسه.. يكره النفس التي تطالب بالخطية وبلذتها.. يبكّت نفسه ويقول في مقابل هذه اللذة الرخيصة العابرة قد جُلد المسيح الذي أحبني بالسياط وسُمر بالمسامير.

إذن فكل لذة محرَّمة يقبلها الإنسان قد دفع ثمنها السيد المسيح بالجلدات الحارقة في جسده المبارك تلك التي احتملها في صبر عجيب وهو برئ.

فإذا تجاهلنا العدل الإلهي.. فما الداعي للصليب أصلاً؟.. ما لزومه؟ هل الصليب مجرد تمثيلية لكي يُظهر لنا السيد المسيح

محبته فقط؟!! ثم ما معنى كلمة "الفداء"؟ حينما يقول "ليبذل (المسيح) نفسه فدية عن كثيرين" (مت٢٠: ٢٨) أو "الذي بذل نفسه فدية" (١تى٢: ٦). هل أصبحت كلمة الفداء كلمة ليس لها معنى؟

والعجيب أن البعض يرفضون أن يقدم الفادي نفسه في موضع الخاطئ. أي يضع نفسه في مكان الخاطئ بينما الكتاب واضح إذ يقول إشعياء النبي "والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش٥٣: ٦) وقال يوحنا المعمدان "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو١: ٢٩). ويقول أيضًا إشعياء النبي "جعل نفسه ذبيحة إثم" (أش٥٣: ١٠). وفي رسالته الأولى يقول معلمنا بطرس الرسول "عالمين أنكم **اُفتديتم** لا بأشياء تفنى... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب" (١بط١: ١٨-١٩) ويقول معلمنا بولس إن "المسيح **افتدانا** من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" (غل٣: ١٣). ويقول "قد **اُشتريتم** بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو٦: ٢٠). ويقول "إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض **الذي كان ضدًا لنا** وقد رفعه من الوسط مسمرًا إياه بالصليب" (كو٢: ١٤).

قصة:

حُكيَ عن أخين بحَّارَيْن على مركب واحد. أكبرهما كان إنسانًا قديسًا وبارًا والأصغر كان شريرًا وخاطئًا. وفي أحد الأيام هاج البحر وكانت المركب على وشك الغرق، وعدد الركاب كان كبيرًا جدًا في السفينة وقوارب النجاة قليلة. فقال القبطان سوف نعمل

قرعة ومن وقعت عليه القرعة هو الذي سوف يركب في قوارب النجاة ومن لم يكن له نصيب في القرعة سوف يُترك في المركب.

وعندما تم عمل القرعة وقعت على الأخ القديس لكي يركب قارب النجاة، أما الأخ الخاطئ فلم تُصِبه القرعة. فحزن جدًا وقال سوف أموت الآن. فقال له أخوه الأكبر لا تبكي ولكن اركب أنت مكاني وأنا سوف آخذ مكانك. فقال له ما ذنبك؟ أجابه الأخ الأكبر: أنت الآن إذا مُتَّ وأنت في خطيئتك وغير مستعد سوف تهلك وتذهب إلى الجحيم، ولكن أنا أحب السيد المسيح وأتمنى أن أكون في أحضانه، وبنعمة الله سوف أذهب إلى الفردوس بعد موتي لأن "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا" (في١: ٢٣). فمن الأفضل أن أموت أنا الآن لأن موتي لن يؤدي إلى هلاكي. ولكن موتك أنت سوف يؤدي إلى هلاكك. لكن لي عليك شرطًا؛ أن تحيا حياتي التي كنت أحياها أنا. لأني سوف أموت لأجلك، فلابد أن تعيش لأجلي. وقد وافقه الأخ الأصغر على هذا الشرط وعاهده عليه. وعندما نزلت قوارب النجاة إلى البحر بدأ الأخ الصغير يندم على خطيته ويتوب، وهو يرى الأخ الأكبر وهو على سطح المركب الغارق يناديه ويلوح له من بعيد قائلاً: لا تنسَ العهد الذي بيننا أنك تعيش حياتي كما أني أموت بدلاً منك.

إن هذه القصة توضح لنا ما فعله السيد المسيح لأجلنا. فنحن إذا حملنا خطايانا فسوف نهلك إلى الأبد، لكن إن حمل هو خطايانا لن يهلك لأنه هو الحياة "أنا هو الطريق والحق **والحياة**" (يو١٤: ٦).

فقد كانت قوة الحياة التي في المسيح يسوع ربنا، أقوى من قوة الموت الذي لنا. فالله يريد أن يبيِّن لنا مدى كراهيته للخطية وأنه يغضب بسببها. وقد أعلن الله غضبه ضد الخطية عندما دفع السيد المسيح ثمن خطايانا على الصليب "البار من أجل الأثمة" (١بط٣: ١٨).

السيد المسيح لا يمكن أن يمسكه الموت، وأما نحن فالموت حينما يبتلعنا لا نستطيع أن نخرج منه مرة ثانية، إلاّ إذا أخرجنا السيد المسيح بنفسه من جوف الموت.

ماذا يعنى تمزيق صك الدين الذي كان علينا؟ إلا إيفاء الدين تمامًا بالصليب. فلماذا نحسب إيفاء الدين إهانة للمخلص المحبوب؟

بولس الرسول يقول في جسارة "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه".

يقول القديس مار أفرام السريانى:

السُبح للغني الذي **دفع عنا ما لم يقترضه** وكتب على نفسه صكًا وصار مدينًا (الترنيمة الثانية عن الميلاد).

يقول القديس أمبروسيوس:

بالجسد عُلّق على الصليب ولأجل هذا صار لعنة. ذاك **الذي حمل لعنتنا** (شرح الإيمان المسيحي، الكتاب الثاني، الفصل ١١).

يقول القديس أثناسيوس:

ولأن كلمة الله هو فوق الكل فقد لاق به بطبيعة الحال أن **يوفي الدين بموته** وذلك بتقديم هيكله وآنيته البشرية لأجل حياة الجميع (تجسد الكلمة فصل ٩ الفقرة ٢).

مسألة إهانة كرامة الله

الذين يرفضون عقيدة الكفارة يقولون: "إن شر الإنسان لا يمكن أن يجرح كرامة الله، ولا يهينه. إذ كيف للإنسان أن يمس كرامة الله، حتى لو فعل الإنسان كل ما في وسعه من شر!!؟" **ونحن نجيب عليهم بأن خطية الإنسان لن تمس كرامة الله طالما يعلن الله غضبه ضد الخطية. أما إذا لم يعلن غضبه كقدوس ففي هذه الحالة –وهذا مستحيل– تكون كرامته قد أهينت إذ لم تُعلَن قداسته المطلقة كرافض للشر**. ولهذا فنحن نرى العدل والرحمة يتلاقيان بالصليب وبهذا أُعلنت قداسة الله العادل ومحبته في آنٍ واحد.

وقد أوضح القديس **أثناسيوس** أن العدل الإلهي قد اُستوفي بآلام وموت الصليب فقال:

لهذا كان أمام كلمة الله مرة أخرى أن يأتي بالفاسد إلى عدم فساد، وفي نفس الوقت أن **يوفي مطلب الآب العادل المطالب به الجميع** وحيث إنه هو كلمة الآب ويفوق الكل،

فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدد خلقة كل شئ وأن يتحمل الآلام **عوضًا عن الجميع** وأن يكون **نائبًا عن الجميع** لدى الآب (تجسد الكلمة فصل ٧ فقرة ٥).

نحن صُلبنا مع السيد المسيح ودُفنا معه يوم قبولنا لسر العماد المقدس، كقول معلمنا بولس: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته. فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة" (رو٦: ٣ ،٤).

إن الروح القدس بعمل فائق للطبيعة وفوق الزمان والمكان يعمل في سر العماد **ويأخذ من استحقاقات موت المسيح ويعطينا..** يمنحنا الغفران باستحقاقات دم صليبه ويمنحنا الطبيعة الجديدة التي تليق بحياة البنوة لله ويجعلنا أعضاء في "جسده الذي هو الكنيسة" (كو١: ٢٤). النعمة الإلهية لا حدود لها أما نحن فمحدودون.

نحن كنا في صُلب آدم حينما أخطأ في الفردوس لأننا من نسله بحسب طبيعتنا البشرية. ولكننا لسنا من نسل السيد المسيح بحسب طبيعتنا البشرية، لأن السيد المسيح لم ينجب نسلاً جسديًا مثل آدم، بل الروح القدس يجدد هذه الطبيعة في المعمودية ويمنحنا التبني بالولادة الجديدة من الماء والروح لأن "المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (يو٣: ٦). نحن نصير أولادًا لله في

المعمودية وننتقل من الانتساب إلى آدم إلى الانتساب إلى السيد المسيح وبهذا نصير أعضاءً في جسده أي الكنيسة التي هو رأسها.

إن السيد المسيح قد اشترك في طبيعتنا بلا خطية لكي يصير قادرًا أن يموت نيابة عن جميع الذين افتداهم حينما حمل خطاياهم مُسمرًا إياها بالصليب.

عن هذا قال القديس أثناسيوس الرسولي في كتاب "تجسد الكلمة" الفصل الثامن:

> وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسدًا مماثلاً لطبيعتنا، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، فقد بذل جسده للموت عوضًا عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك: **أولاً** لكي يَبطل الناموس الذي كان يقضي بهلاك البشر، إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أُكمل في جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره في البشر الذين **ناب عنهم**. **ثانياً**: لكي يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن رجعوا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، وينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار.

وأيضًا في **الفصل التاسع:**

> وإذ قدم للموت ذلك الجسد، الذي أخذه لنفسه، **كمحرقة وذبيحة** خالية من كل شائبة فقد رفع حكم الموت فورًا عن

جميع من **ناب عنهم**، إذ قدم **عوضًا عنهم** جسدًا مماثلاً لأجسادهم.

إن السيد المسيح قد ناب عن البشر الخطاة وصُلب بدلاً عنهم وأوفى الدين الذي علينا. لم يكن معه أحد على الصليب يوم صُلب لأنه هو المخلص الوحيد الذي ليس بأحد غيره الخلاص وهو الوحيد الذي بلا خطية والوحيد الذي يستطيع أن يحمل خطايا العالم كله ويكون فدية مقبولة أمام الآب السماوي لسبب بره الكامل وذبيحته الفائقة في قيمتها في نظر الله الآب لأنها ذبيحة الابن الوحيد "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

دار الحوار التالي بين إشعياء النبي والسيد المسيح بروح النبوة: "من ذا الآتي من أدوم بثياب حمر من بصرة هذا البهي بملابسه المتعظم بكثرة قوته؟ **أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص**. ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة؟ **قد دست المعصرة وحدي ومن الشعوب لم يكن معي أحد. فدستهم بغضبي ووطئتهم بغيظي فرُشَّ عصيرهم على ثيابي فلُطخت كل ملابسي**" (أش٦٣: ١-٣).

أليس هذا هو المخلّص المسيح الذي رآه يوحنا في رؤياه راكبًا فَرَسًا أبيض "**وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة**

الله... وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله... رب الأرباب" (رؤ١٩: ١٣-١٦)؟

قال "أنا أضع نفسي **عن** الخراف" (يو١٠: ١٥). وتنبأ قيافا وقال "أنتم لستم تعرفون شيئًا ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد **عن** الشعب ولا تهلك الأمة كلها. ولم يقل هذا من نفسه" (يو١١: ٤٩-٥١). يقول إشعياء النبي "كلنا كغنم ضللنا مِلنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش٥٣: ٦).

اللص اليمين الذي صُلب إلى جوار السيد المسيح ومات على الصليب كان موته عقوبة أرضية على جرائمه التي ارتكبها في حياته على الأرض. ولم يكن هذا ليعفيه من القصاص الأبدي على الإطلاق.. لولا أن المسيح مات بدلاً عنه على الصليب لما أمكن أن ينجو من الموت والهلاك الأبدي. وبواسطة ذبيحة الصليب الكفارية استحق أن يُفتح له باب الفردوس بناءً على توبته وبناءً على طلبته. أما اللص اليسار فهو أيضًا مات ولكنه هلك لأنه لم ينتفع من موت المسيح عوضًا عنه على الصليب.

على صليب المسيح كانت الذبيحة الوحيدة المقبولة أمام الله الآب، والتي تفي بكل ديون الخطاة، وتوفي العدل الإلهي تمام الإيفاء.

لذلك وردت النصوص التالية عن ذبيحة المسيح على فم أشعياء النبى:

"أما الرب فسُرّ بأن يسحقه بالحزن إن **جعل نفسه ذبيحة إثم**" (أش٥٣: ١٠).

"عبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم **هو يحملها**" (أش٥٣: ١١).

"**هو حمل** خطية كثيرين وشفع في المذنبين" (أش٥٣: ١٢).

والسؤال الخطير الآن هو ما يلي:

هل يجوز أن يتكرر الصليب بالنسبة للسيد المسيح، أو بالنسبة لنا؟ وما فائدة أسرار الكنيسة والمعمودية؟ وما فائدة عمل الروح القدس في الكنيسة؟

ننال شركة الموت مع المسيح في المعمودية، ولهذا قال القديس بولس الرسول في حديثه عن المعمودية: "إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضًا بقيامته" (رو٦: ٥).

ففي قوله "**صرنا** متحدين معه" يدل على أن هذا قد حدث في وقت العماد.

إننا نحذّر من هذه الرواية الغريبة والخطيرة التي تهدم عقيدة الفداء فينبغي أن نثبت على تعليم الآباء القديسين القدامى، وتعليم قداسة البابا شنودة الثالث أطال الرب حياته الذي أكد مرارًا ضرورة التمسك بالتعليم الآبائي الصحيح "كي لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال" (أف٤: ١٤).

الفصل الثاني

هل تعتقد كنيسة الإسكندرية بثالوث هو ثالوث قدماء المصريين الوثنيين؟ وهل لا تعتقد كنيسة أنطاكية أصلاً بالثالوث؟!

نعود إلى الرواية، لنرى ما قاله د. يوسف زيدان عن آريوس:

ص٥٣، ٥٤ **نسطور:** *أما أقواله، فلست أرى فيها إلاّ محاولة لتخليص ديانتنا من اعتقادات المصريين القدماء في آلهتهم، فقد كان أجدادك يعتقدون في ثالوث إلهي زواياه إيزيس وابنها حورس وزوجها أوزير الذي أنجبت منه من دون مضاجعة. فهل نعيد بعث الديانة القديمة؟ لا، ولا يصح أن يقال عن الله إنه ثالث ثلاثة. الله يا هيبا واحد لا شريك له في ألوهيته. ولقد أراد آريوس أن تكون الديانة لله وحده لكنه ترنم في زمانه بلحن غير معهودٍ من مثله.*

الثالوث المسيحي ليس هو ثالوث المصريين القدماء الوثنيين ولا يليق أن يقال هذا، فهما مختلفان عن بعضهما تمام الاختلاف كما سنشرح، ولكن عقيدة الثالوث في المسيحية هي عقيدة راسخة في الكنيسة من البداية منذ عصر الرسل. وليست هي من اختراع كنيسة الإسكندرية. بل إنه من المتعارف عليه في علم الآباء "الباترولوجي" Patrology أن لفظة "ثالوث" Τριάδος كانت

معروفة لدى الآباء منذ زمن القديس ثيئوفيلس الأنطاكي أسقف أنطاكية الشهيد (١٦٩– ١٨١م): "وكذلك الأيام الثلاث قبل الكواكب النيرة، هي رمز للثالوث، لله وكلمته وحكمته".

The three days which were before the luminaries, are types of The Trinity, of God and His Word and His Wisdom.
Τριάδος τοῦ Θєοῦ καὶ τοῦ Λογοῦ αὐτοῦ καὶ τὴς σοφίας αὐτοῦ [186]

وكما يتضح مما سبق إن لفظة "الثالوث" قد عُرفت أولاً في أنطاكية وليس في الإسكندرية. فكيف يقول د. يوسف زيدان على لسان **نسطور**: *ولكنني أرى الأمر من زاوية أخرى، زاوية أنطاكية إن شئت وصفها بذلك.*

ثم يسترسل في شرحه الخاطئ ومحاولة إقناع هيبا بخطأ عقيدة الثالوث وإنها شِرك بالله الواحد وعن إنه لا يوجد ما يسمى ثالوث. ولغته هنا تشبه إلى حد كبير لغة القرآن وليست لغة إنسان مسيحي. وهذا أمر مُتوقع من مسلم يقحم نفسه في اللاهوت المسيحي!

يقبل المؤلف فكر الهرطقات، ويعتبرها أقرب إلى العقل ويسمي الهراطقة "المفكرين". كما ذكرنا سابقًا في ما قاله في المحاضرة التي ألقاها في مؤتمر القبطيات بالقاهرة في سبتمبر الماضي عام ٢٠٠٨م.

ص٣٤ كلام **الأسقف ثيئودور** عن أن الديانة "*كثير منها أتى من أفلوطين*" لكن الراهب هيبا اعترض على ثالوث أفلوطين.

ثيئودور: الثالوث أصله من أفلوطين.

نسطور: الثالوث أصله من الفراعنة.

---

[186] St. Theophilus, *Ad Autolycum*, ii. 15., vol. 2 of *ANF*, p. 101.

شرح مُبَسَّط لعقيدة الثالوث في المسيحية

تمهيد

بادئ ذي بدء لابد أن نعرف أنه من غير المقبول أن نُخضع الحقائق الإلهية للعقل. فلا يصح أن نقبل فقط ما تقبله عقولنا ونرفض ما لا تدركه عقولنا، لأننا إن استطعنا أن نفهم بعقولنا كل الحقائق الإلهية، فهذا يعني أحد أمرين لا ثالث لهما: إما أن الله له حدود أي محدود (حاشا) وبذلك استطاعت عقولنا المحدودة استيعاب حقيقته، أو أن عقولنا لها صفة عدم المحدودية حتى تستطيع الإحاطة بما هو غير محدود! ولكن إن كنّا نقبل بمنتهى السهولة أن نستخدم التليفزيون، بينما قليلون منّا فقط هم الذين يفهمون كيف تأتينا الصورة والصوت للأحداث في نفس لحظة حدوثها، عبر الأثير من أماكن بعيدة جدًا تفصلنا عنها قارات ومحيطات. ويستخدم الإنسان الطائرة فتنقله من قارة لأخرى وهو معلّق في الجو مطمئنًا أنه سيصل إلى الدولة التي يقصدها، على الرغم أيضًا من أن الكثيرين منّا لا يعرفون كيف تطير الطائرة في طبقات الجو العليا. فإن كنا نقبل هذه الأمور ونصدقها بدون أن نفهمها، لماذا يتطاول الإنسان ويطلب أن يُخضع الحقائق الإلهية لعقله المحدود؟! وهل من المعقول أن تحتوي حفرة على شاطئ البحر، مهما كان اتساعها، البحر كله.

بمعنى هل نستطيع أن ننقل البحر ونضعه في حفرة؟! نفس الشئ بالنسبة للحقائق اللاهوتية الغير محدودة وعقلنا المحدود. ولي شاهد على ذلك المفهوم من أقوال الآباء من **تعليم القديس غريغوريوس النزيانزي عن الثالوث القدوس**[١٨٧]، فقد قال "إن الله غير مُدرَك بعقولنا البشرية". وقد كان القديس غريغوريوس لاهوتيًا متضعًا. فأقر بأنه:

> لا يوجد الإنسان الذي اكتشف أو يستطيع أن يكتشف من هو الله في الطبيعة أو الكُنه[١٨٨]. كان يمكن أن يحاط الله بالكلية لو كان في الإمكان حتى أن يدرك بالفكر لأن الإدراك هو صورة من صور الإحاطة[١٨٩].

وشرح قائلاً إن معرفتنا لله هي فيض قليل فقال:

> كل ما يصل إلينا ما هو إلاّ فيض ضئيل من نور عظيم. حتى إن كان أحدٌ قد عرف الله أو نال شهادة الكتاب المقدس عن معرفته لله، فلنفهم: إن مثل هذا الشخص قد نال درجة من المعرفة تجعله يبدو أكثر استنارة من الآخر الذي لم يحظَ بنفس القدر من التنوير[١٩٠].

---

[١٨٧] مقتطفات من ترجمة عربية لمحاضرة للمؤلف ألقيت فى المؤتمر الثانى للدراسات الآبائية بالاشتراك مع جامعات أثينا وتسالونيكى المنعقد تحت رعاية البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث فى دير القديس الأنبا بيشوى بوادى النطرون فى الفترة من ١٩٩٦/١٢/٢٦ إلى ١٩٩٦/١٢/٢٩م

[188] St. Gregory Nazianzen, *Second Theological Oration*, XVII., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 294.

[189] St. Gregory, *Second Theological Oration*, X., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 292.

[١٩٠] St. Gregory, *Second Theological Oration*, XVII., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 294.

ولكن القديس غريغوريوس كان يتحدث عن معرفة أكثر وضـــوحًا عن الله في الحياة الأخرى.

الثالوث المسيحى

نقول أولاً إننا نؤمن بإله واحد مثلث الأقانيم، فلا يوجد تشابه بـــين الثالوث في عقيدتنا الأرثوذكسية وبين ثالوث قدماء المصريين:

- ففي ثالوث قدماء المصريين هم ثلاثة منفصلون عـــن بعضـــهم تمامًا، فإيزيس وأوزوريس وحورس هم -عندهم- ثلاثـــة آلهـــة ولكنهم ليسوا إلهًا واحدًا، أما في المسيحية فالآب والابن والروح القدس إله واحد مثلث الأقانيم، والأقانيم الثلاثـــة هـــى متمـــايزة وليست منفصلة، فالابن يولد من الآب أزليًـــا دون أن ينفصـــل منه، وكذلك الروح القدس ينبثق من الآب أزليًا بدون انفصـــال، فلا يوجد انفصال بينهم.
- فى الثالوث الفرعوني يوجد تفاوت زمني؛ أي مر وقت لم يكـــن فيه حورس موجودًا ثم وُجد، فهناك فارق زمني بينه وبين أبيه، أما في المسيحية فـــالولادة والانبثـــاق أزليـــان، بمعنـــى: فـــي استمرارية بلا بداية أو نهاية فالأزلية خارج الزمن لأن الـــزمن له بداية وله نهاية، ولم يمر وقت (حسب تعبيرنا) كان فيه أحـــد الأقانيم موجودًا دون وجود الآخر.
- في الثالوث الفرعوني تزوج أوزوريس بإيزيس وأنجبا حورس، أما في الثالوث المسيحي فلا يوجد زواج ولا ميلاد جســـدي ولا

ما يشبه ذلك، فولادة الابن من الآب هي ولادة طبيعية مثل ولادة الشعاع من النور وولادة التيار من الينبوع.

كيف أن الآب والابن والروح القدس إله واحد؟

للتبسيط نعطي هذا المثال: النار يوجد بها لهب؛ واللهب يخرج منه نور وحرارة. فاللهب يسمى نار، والنور يسمى نار، والحرارة تسمى نار، والدليل على ذلك إنه من الممكن أن نقول إننا نوقد النار، أو إننا نوقد اللهب، أحيانًا نقول نحن نستنير بالنار أو نحن نستدفئ على الحرارة أو نحن نستدفئ على النار. فاللهب والنور والحرارة الخارجة منه شئ واحد أي نار واحدة وليست ثلاثة نيران ولكن اللهب غير النور غير الحرارة. ومع أن اللهب غير النور غير الحرارة؛ ولكن اللهب إن لم يلد نورًا ويشع حرارة لا يكون نارًا على الإطلاق. فاللهب بنوره وحرارته هو النار الحقيقية. هكذا إذا تأملنا في الثالوث القدوس نفهم أن الآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله. تمامًا مثلما أن اللهب هو نار، والنور هو نار، والحرارة أيضًا نار، فالآب هو الله الآب، والابن هو الله الابن، والروح القدس هو الله الروح القدس، ويمكن أن يُقال الله فقط بدون الآب، كما نقول إن اللهب هو نار فالتسمية ليست مشكلة، ولكن من المهم أن نفهم أنه إذا لم يوجد الابن لا يوجد الله، لأنه لا يوجد آب بغير ابن، كما لا توجد نار بغير حرارة؛ حتى لو كان هناك لهب لأن اللهب بدون حرارة ليس له قيمة، وكذلك أيضًا العقل

بدون فكر ليس له قيمة، فالمُوَلِّد يلد كهرباء، والنور يلــد شــعاعًا، والعقل يلد فكرًا، والزهور تلد رائحة، والمغنــاطيس يلــد مجــالاً مغناطيسيًا، والنبات يلد براعم، ولا يوجد شئ في الوجود كله لا يلد غير الحجر والجماد الأصم. فالله أعلن لنا أنه كإله واحــد هــو آب وابن وروح قدس.

نحن نؤمن أن الله واحد. لأنه لا يوجد أكثر من إله في الوجود. فالكتاب المقدس يقول: "أنت تؤمن أن الله واحد حسنًا تفعل" (يع٢: ١٩)، "لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالايمان" (رو ٣ : ٣٠)، "ولكن الله واحد" (غل ٣: ٢٠) وأيضًا "وأن ليس إله آخر إلا واحدًا.... لكن لنا إله واحد" (١كو٨: ٤– ٦)

لكن الله الآب ليس من الممكن أن يكون هو الله، إلاّ إذا كان هــو أبو الكلمة فلا يوجد آب بدون ابن.

إن ولادة الابن من الآب الســماوي شــئ، والــولادة من العــذراء شئ آخر. فهو مولود من الآب أزليًا قبل كل الدهور وقبل خلق العالم كله، ولادة إلهية روحية بدون أم. لذلك نقول عنه في قانون الإيمان {المولود من الآب قبل كل الدهور}.

عندما أراد الله أن يخلصنا أرسل ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين هم تحت الناموس من لعنة الخطية كما قال الكتاب "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس. ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني" (غل٤: ٤، ٥) وأيضاً يقول الكتاب "الكلمة صار جسداً وحل

بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً" (يو١: ١٤). إنه كلمة الله الأزلي الذي هو كائن في حضن الآب كل حين وكما يقول "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر" (يو١: ١٨). فعندما تجسد الكلمة رأينا الله. لذلك يقول "الذي رآني فقد رأى الآب" (يو١٤: ٩).

* * *

هل الله والمسيح، الآب والابن في وحدة في أقنوم واحد أو طبيعة واحدة؟

ص٢٢٢ يقول **هيبا** عن الفِريسي: *وقد سألني أول ما لقيني عن معنى كلمة أقنوم عند المصريين والإسكندرانيين، فقلت إنها تعني الشخص أو الكيان الذاتي... ويشرح بتفصيل التفصيل، كل الأقوال والمذاهب والبدع منتصرًا إلى القول بوحدة الله والمسيح، الآب والابن، في أقنوم واحد أو طبيعة واحدة.*

لم يفهم د. زيدان معنى الأقنوم، وبالتالي لم يفهمه أيضًا راهبه الذي سمَّاه الفريسي. فخلط بين الجوهر والأقنوم.

الأقنوم هو الشخص المتمايز، مع الجوهر أو الطبيعة التي يحملها. بمعنى أن الأقنوم هو جوهر أو طبيعة مشخصنة.

الآب والابن والروح القدس يشتركون في الجوهر الإلهي الواحد. وما نسميه بـــ "الصفات الجوهرية" التي يشترك فيها الأقانيم الثلاثة

نعني بها كمثال: القدرة الإلهية على كل شئ، الوجود فى كل مكان، اللامحدودية، الحكمة، الحق، المحبة، الحياة، الصلاح، العدل، الرحمة.. إلخ هذا بحسب الجوهر، ولكن بحسب الأقنوم هناك ثلاثة أقانيم لها ثلاث صفات نسميها "الصفات الأقنومية" وهذه ينفرد بها كل أقنوم على حدة، وهي الأبوة للآب والبنوة للابن، والانبثاق للروح القدس. فالآب لا يمكن أن يكون آبًا وابنًا في نفس الوقت والعكس صحيح، ونفس الأمر بالنسبة للروح القدس. وإذا أردنا أن نُعَرِّف الأقنوم فهو كيان حقيقي غير منفصل في الجوهر الإلهي.

الآب: هو الله من حيث الجوهر، وهو الأصل من حيث الأقنوم.

الابن: هو الله من حيث الجوهر، وهو المولود من حيث الأقنوم.

الروح القدس: هو الله من حيث الجوهر وهو المنبثق من حيث الأقنوم.

والأقنوم عمومًا هو الشخص مع الطبيعة التي يحملها، أو هو جوهر مشخصن أو طبيعة مشخصنة. لأن الطبيعة تبقى كمعنى مجرّد إلى أن تتشخصن. فالطبيعة البشرية لا وجود حقيقي لها إلاّ في آدم. والطبيعة الإلهية كائنة في ثلاثة أقانيم. وبذلك أيضًا الجوهر الإلهي كائن في ثلاثة أقانيم بغير انفصال في الجوهر.

قال القديس أثناسيوس:

يجب علينا ألا نتصور وجود ثلاثة جواهر منفصلة عن بعضها البعض في الله -كما ينتج عن الطبيعة البشرية بالنسبة للبشر- لئلا نصير كالوثنيين الذين يملكون عديداً

من الآلهة. ولكن كما أن النهر الخارج من الينبوع لا ينفصل عنه، وبالرغم من ذلك فإن هناك بالفعل شيئين مرئيين واسمين. لأن الآب ليس هو الابن، كما أن الابن ليس هو الآب، فالآب هو أب الابن، والابن هو ابن الآب. وكما أن الينبوع ليس هو النهر، والنهر ليس هو الينبوع، ولكن لكليهما نفس الماء الواحد الذي يسري في مجرى من الينبوع إلى النهر، وهكذا فإن لاهوت الآب ينتقل في الابن بلا تدفق أو انقسام. لأن السيد المسيح يقول "خرجت من الآب" وأتيتُ من عند الآب. ولكنه دائمًا أبدًا مع الآب، وهو في حضن الآب. وحضن الآب لا يَخْلو أبدًا من الابن بحسب ألوهيته[١٩١]. كيف إذًا لا يكون كافرًا من يقول كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجودًا لأن هذا مثل الذى يقول تمامًا كان هناك وقت كان فيه الينبوع جافًا خاليًا... ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعًا، لأن الذى لا يلد من ذاته (أى من نبعه الخاص) لا يكون ينبوعًا.(المقالة الأولى ضد الآريوسية ف٦ : ١٩) [*]

فلا يوجد تيار بدون ينبوع، ولا يوجد ينبوع بغير تيار، إذ أنه إن لم يلد الينبوع تيارًا يكون بذلك جافًا ولا يصح تسميته ينبوعًا. لذلك لا

---

[١٩١] St. Athanasius, *Expositio Fidei*, vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 84, 85.

[*] St. Athanasius, *Four Discourses against the Arians*- Discourse I, point 19. , vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser.

توجد ولا لحظة واحدة يكون فيها الينبوع بغير تيار. فلا الينبوع سابق للتيار ولا التيار لاحق للينبوع.

وينبغي أن نلاحظ أنه طبقًا لتعاليم الآباء فإن الكينونة أو الجوهر ليس قاصرًا على الآب وحده (غريغوريوس النزيانزي)؛ لأن الآب له كينونة حقيقية وهو الأصل في الكينونة بالنسبة للابن والروح القدس، ولكنه غير سابق في الوجود، كما شرح ذلك القديس أثناسيوس في مَثَل الينبوع والتيار، والابن له كينونة حقيقية بالولادة الأزلية، والروح القدس له كينونة حقيقية بالانبثاق الأزلي. ولكن ليس الواحد منهم منفصلاً في كينونته أو جوهره عن الآخرين. والولادة والانبثاق ليسا حدثين لهما علاقة بالزمن، ولكنهما حقيقتين خارج الزمن وفوق الزمن، مستمرين بلا بداية ولا نهاية.

وكذلك العقل ليس قاصرًا على الابن وحده، لأن الآب له صفة العقل والابن له صفة العقل والروح القدس له صفة العقل، لأن هذه الصفة هي من صفات الجوهر الإلهي. وكما قال القديس أثناسيوس {لماذا تكون صفات الآب هي بعينها صفات الابن؟ **إلا لكون الابن هو من الآب وحاملاً لذات جوهر الآب**}. ولكننا نقول إن الابن هو "الكلمة" أو "العقل المولود" أو "العقل منطوق به" أما مصدر العقل المولود فهو الآب.

وبالنسبة لخاصية الحياة فهي أيضاً ليست قاصرة على الروح القدس وحده، لأن الآب له صفة الحياة، والابن له صفة الحياة، والروح

القدس له صفة الحياة، لأن الحياة هي من صفات الجوهر الإلهـــي. والسيد المسيح قال "**كما أن الآب له حياة في ذاتـــه كـــذلك أعطـــى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته**" (يو٥: ٢٦). وقيل عن السيد المسيح باعتباره كلمة الله "فيه كانت الحياة" (يو١: ٤). ولكن الروح القدس نظراً لأنه هو الذي يمنح الحياة للخليقة لذلك قيل عنه أنه هو [الرب المحيي] (قانون الإيمان والقداس الكيرلسي) وكذلك أنه هـــو [رازق الحياة] أو [معطي الحياة] (صلاة الساعة الثالثة).

من الخطورة أن ننسب الكينونة إلى الآب وحده، والعقل إلى الابـــن وحده، والحياة إلى الروح القدس وحده، لأننا في هذه الحالة نقسّـــم الجوهر الإلهي الواحد إلى ثلاثة جواهر مختلفة. أو ربمـــا يـــؤدي **الأمر إلى أن ننسب الجوهر إلى الآب وحده** (طالما أن لـــه وحـــدَهُ الكينونة) وبهذا ننفي الجوهر عن الابن والروح القـــدس أو نلغـــي كينونتهما، ويتحولان بذلك إلى صفات لأقنوم إلهي وحيد هو أقنـــوم الآب (وهذه هي هرطقة سابيليوس). وقد أشار القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات إلى هذه المفاهيم فقال:

> وفكّرت كذلك في الشمس، والشعاع، والنور. وهذا لا يخلو أيضاً من خطر: يُخشى أولاً تصوّر تركيب ما في الطبيعـــة غير المركّبة -كما يكون ذلك في الشـــمس وخصائصـــها- **ويُخشى ثانياً أن يُخـــص الآب وحـــده بـــالجوهر فتـــزول أقنومية الآخريْن، ويكونان قوتين لازمتين لله لا أقنوميْن.** فليس الشعاع شمساً وليس النور شمساً، بل فيض شمســـي

> ومزيّة (خاصية أو صفة) جوهرية. وأنه ليُخشى عند التمسك بهذا التشبيه أن يُنعَت الله بالوجود وباللاوجود معاً، وهذا منتهى السخف[192].

وهو هنا لا يرفض التشبيه المذكور ولكن يحذّر من الفرق بين التشبيه والأصل في فهم عقيدة الثالوث.

وإلى جانب استعماله مثال الشمس والنور استعمل أيضاً مثال العقل والكلمة لشرح العلاقة بين الآب والابن:

> لقد دُعي "الكلمة" لأنه يُنسَب إلى الآب كما تُنسب الكلمة إلى العقل[193].

ومن البَيِّن في هذا المثال أيضاً أن العقل ليس سابقاً للكلمة كما أن الشمس ليست سابقة للنور والينبوع ليس سابقًا للتيار كما ذكرنا.

استعمال النماذج والأمثلة لشرح الثالوث القدوس:

على الرغم من استعماله مثال الشمس والضوء والعقل والكلمة في شرح العلاقة بين الآب والابن، إلا أنه حذّر من أن هذه النماذج ليست متطابقة مع الحق كله الذي لله المثلث الأقانيم. واستمر القديس غريغوريوس في نفس العظة يقول: "والصورة هي من نفس جوهره"[194].

ويشرح د. زيدان عقيدة نسطور الهرطوقية فيقول:

---

[192] St. Gregory, *Fifth Oration on the Holy Spirit*, vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 328.
[193] St. Gregory, *Fourth Theological Oration*, XX., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 316.
[194] St. Gregory, *Fourth Theological Oration*, XX., vol. 7 of *NPNF*, 2nd ser., p. 317.

ص ٢٤٥ **نسطور:** *لا يجوز تسمية العذراء مريم ثيوتوكوس... وصار ابنها... صار كمثل كُوَّة ظهرت لنا أنوارُ الله من خلالها، أو هو مثل خاتمٍ ظهرعليه النقشُ الإلهي. وظهوُر الشمس من كُوَّةٍ، لا يجعل الكوة شمسًا. كما أن ظهور النقش على خاتم، لا يجعل من الخاتم نقشاً.. يا هيبا، لقد جُنَّ هؤلاء تماماً، وجعلوا الله واحداً من ثلاثة!*

سؤال نسمعه كثيرًا، هل المسيح هو الله أم ابن الله؟ إن أي ملك هو ابن ملك فعندما نقول عنه إن هذا هو الملك يكون الكلام صحيحًا، وعندما نقول إنه ابن الملك يكون الكلام صحيحًا أيضًا لأنه من الجنس الملوكي، فهو ملك ابن ملك.

فالسيد المسيح هو الله بسبب جوهره الإلهي، أنه واحد مع الآب في الجوهر، وهو ابن الله بسبب أنه كلمة الله المولود من الآب قبل كل الدهور. وهناك من يسأل، هل المسيح إنسان ثم أصبح إلهًا؟ فنجيب لا. لأننا نرفض تمامًا أن أي إنسان يصير إلهًا. نرفض تأليه الإنسان، ولذلك نرفض عقيدة نسطور التي تؤله إنسانًا وتعبده بعبادة واحدة مع الله. نحن لا نعبد الله وإنسانًا؛ بل الله الذي ظهر في الجسد. **لأن السيد المسيح هو إله متجسد، وليس إنسانًا متألهًا.** لذلك نقول في قانون الإيمان {نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور} أي قبل خلق الزمن، أو بمعنى أصح خارج الزمن. فكلمة الله مولود من الآب. {نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر} .

مولود غير مخلوق

إن الآب لم يخلق الابن، لأننا نعرف أن الابن هو كلمة الله، ويمكن أن نأخذ تشبيهًا سهلاً: مثل العقل والفكر، فالعقل يلد الفكر، ولا يوجد عقل بدون فكر. والعقل بدون فكر لا يكون عقلاً. والنور يلد الشعاع، فهل النور يتزوج لكي يلد الشعاع! بالطبع لا، إذن فولادة الفكر من العقل هي ولادة طبيعية، وكذلك ولادة النور من النار هي ولادة طبيعية.

ولكن هل لأن العقل هو الذي يلد الفكر فمعناه أن العقل كان سابقًا للفكر من حيث الزمن؟! كلا، لأن العقل بدون فكر لا يكون عقلاً. فالعقل والفكر شئ واحد لا يمكن فصلهما، لأنه كيف يمكن فصل العقل عن الفكر الموجود داخله! **لأنه لو تم فصل العقل من الفكر: فالعقل لا يكون عقلاً. وكذلك لو تم فصل كلمة الله عن الله، فالله يفقد ألوهيته.** وإذا كان هذا العقل لا بداية له، فالفكر أيضًا يكون لا بداية له.

إذا كان الآب أزليًا فالابن أيضًا أزلي، والآب وكلمته واحد لا يمكن فصلهما، لذلك قال "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠ :٣٠). هل يستطيع أي إنسان أن يقول لله "ليس لك كلمة"؟ لذلك نقول إن الآب وكلمته لاهوت واحد وإله واحد وليس إلهين. الكلمة تجسد ولم ينفصل عن الآب، كما لا ينفصل الفكر عن العقل. عندما تكتب

مقالاً يصير المقال تجسيدًا لفكرك، وفي نفس الوقــت لــم ينفصــل فكرك عن عقلك.

وليس فقط الآب والكلمة واحداً؛ ولكن الآب والكلمة والروح القدس لــذلك نقول {باســم الآب والابــن والــروح القدس إلــه واحــد آمين}. أما الروح القدس فهو روح الحكمــة، الآب هــو الحكــيم والحكيم يلد الحكمة وينبثق روح الحكمة. بمعنى أن تقول مثلاً هــذا المقال كله حكمة؛ لأنه الكلام الذي يعبر عن الكاتب. هــو الحكمــة الصادرة عن الحكيم. وإن تعاملت مع الحكيم تقــول مــن خــلال تعاملك: إني أستشعر روح الحكمة. مثلاً في قضية تشــعر أن روح الحق يعمل في هذه القضية ويلهم القاضي إلى الحق. الحق المُعلَــن هو المسيح والحق المُلهم هو الروح القدس ، هو الــذي تستشــعره بدون أن يكون مرئيًا. فالروح القدس يعمل فينا دون أن نراه. الابن رأينا فيه الحق، وحسب ما قال السيد المسيح "من رآنــي فقــد رأى الآب". عندما ترى الشعاع فكأنك رأيت مصدر النــور، مــن رأى الكلمة فقد رأى الآب. وكما يقولون "كلمني فأراك"؛ اللهب يُصــدر نورًا ويشع حرارة، وأنت ترى اللهب من نوره ولكنك تحس به من حرارته. ترى الله في الابن وتحس به في الــروح القــدس الــذي يرشدك ويعمل فيك دون أن تراه. والله لما أراد لنا أن نراه، ظهــر لنا بالابن "في آخر الآيام ظهرت لنا" [من القــداس الباســيلي]، لأن عقلك يُرى بكلمتك، خصوصًا لو كلمتك تجسدت كما ذكرنا. وعندما يريدنا الرب أن نحس به ، يعمل فينا بروحه القدوس. تمامًا مثلمــا

تشعر بالبرد وترى نارًا من على بُعد؛ نورها يرشدك فتنجذب إليها فتدفئك بحرارتها. هكذا يجتذب الابن البشرية لكي تنسكب فيها محبة الله بالروح القدس.

لماذا ثلاثة فقط؟

الحب في نقطة تكون قيمته صفر؛ إذ أن النقطة ليست لها مساحة. إن كان الحب بين اثنين فقط لا ثالث لهما، فالخط المستقيم الواصل بين نقطتين أيضًا مساحته صفر. لكن كما نعلم أن المثلث له مساحة، فإن كانت مساحته لا نهائية فأي مخلوق في هذا الكون سيكون داخل الثالوث. ومحبة الذات هي محبة أنانية متمركزة حول الـ "أنا"، والحب المتخصص يحب الآخر الذي ليس سواه، أما الحب الكامل فيحب الآخر وكل آخر. وهنا نخلص إلى نتيجة هامة هي أن القصة كلها في أصلها تتلخص في عبارة قصيرة جدًا: "الله محبة" ولأن الحب الإلهي غير محدود؛ فإذا نقص أقنوم ينتفي أن يكون الله محبة. وإن زاد على ثلاثة فليس له ضرورة، لذلك فمفتاح المسيحية هو "الله محبة". لو لم يكن الابن، مَن الذي كان الآب يحبه قبل خلقة البشر والملائكة؟ مَن الذي كان الآب يكلمه؟ مَن الذي كان الآب يراه، (حافظين في أفكارنا دائمًا أننا نتكلم عن كيان متمايز ولكن غير منفصل، له نفس الجوهر الإلهي الواحد ولكن له صفة أقنومية خاصة به على حدة لا يشترك فيها معه أي من الأقنومين الآخرين).

مَن الذي كان الآب يسمعه، مَن الذي كان الآب يحس به. إذن بدون الابن والروح القدس سيكون إلهًا لا يحب ولا يسمع ولا يتكلم، ومن هو الذي تجتمع فيه هذه الصفات إلاّ التمثال أو الصنم؟!

إذن ففلسفة المسيحية هى فكرة أننا نرى في إلهنا الوحدانية لأنه لا يوجد أكثر من جوهر، لا يوجد إله للحرب وإله للحب، لا يوجد إله للخير وإله للشر، إذا كان الآب قدوسًا فالابن قدوس والروح القدس قدوس، إذا كان الآب صالحًا، فالابن صالح، والروح القدس صالح، الآب عادل، الابن عادل، الروح القدس عادل، إذن لا يوجد تشرذم، ولا يوجد تشتت، فما معنى أننا نؤمن بوحدانية الله؟ تعني أننا نؤمن بطبيعة إلهية واحدة غير منقسمة ولكن فى نفس الوقت في إطار هذه الوحدانية توجد علاقة الحب التي تربط الثلاثة أقانيم ببعض، هذا الحب المتبادل بين الأقانيم يؤكد لنا أن "الله محبة"، ويعطينا المثل الأعلى الذي منه نستقي الحياة المسيحية الحقة.. كيف نكون نحن الكثيرين واحداً. مع الفارق في التشبيه من حيث عدم انفصال الأقانيم كما ذكرنا.

الفصل الثالث

دفاع د. يوسف زيدان عن نسطور الذي ينادي بالشِرْك

يبدأ د. يوسف زيدان روايته على صفحة ١٥ وهي الصفحة الثالثة في الرق الأول، بأن *"سنة ٤٣١م لميلاد السيد المسيح. وهي السنة المشئومة التي حُرم فيها وعُزل الأسقف المبجل نسطور، واهتزت أركان الديانة"*.

فمن بداية الرواية يتضح ميل د. يوسف زيدان الشديد وحبه لنسطور. رغم إنني كما ذكرت سابقًا، كنت قد شرحت له من قبل رَفْضنا لنسطور بسبب الشِرك الذي ينادي به. وهو يقول إن أركان الديانة قد اهتزت، وهذا يدعو إلى العجب، إذ أنه على العكس؛ فإن حرم نسطور كان تثبيتًا للعقيدة السليمة، وبه تحصنت أركان الديانة وازدادت رسوخًا.

ص٢٤٢ **نسطور:** *العذراء امرأةٌ من النساء مجرد امرأة من النساء، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة.*

ص٢٤٥ **نسطور:** *لا يجوز تسمية العذراء مريم ثيوتوكوس؛ فهي امرأةٌ قديسةٌ، وليست أمًا للإله. ولا يجوز لنا الاعتقاد بأن الله كان طفلاً يخرج من بطن أمه بالمخاض، ويبول في فرشه فيحتاج للقماط، ويجوع فيصرخ*

طالبًا ثدي والدته.. قال: هل يُعقل الاعتقادُ بأن الله كان يرضع من ثـــدي العذراء، ويكبر يومًا بعد يوم، فيكون عمره شهرين ثم ثلاثة أشـــهر ثـــم أربعة! الرَّبُّ كاملٌ، كما هو مكتوبٌ، فكيف له أن يَّتخذُ ولـــداً، ســـبحانه، ومريم العذراء إنسانةٌ أنجبت من رحمها الطاهر بمعجزة إلهية، وصـــار ابنها من بعد ذلك مجلى للإله ومخلصًا للإنسان..

ص٣٢٨، ٣٢٩ **الفريسي:** *ولن يرجع الأسقفُ نسطور أيضًا، عما يعتقده من أن الله اتخذ يسوع مجلى له، ومن أجل الله غير المنظور نسجد نحنُ للمسيح المنظور، مدركين أنه شخصان. هما بحسب قول نسطور: المسيح الآخذ الذي هو كلمة الله، والمسيحُ الإنسانُ المأخوذُ الذي يُدعى باسم الذي اتخذه.*

سوف أشرح كيف نادى نسطور بالشِرْك وأدلل علـــى مـــا أقـــول **بمقولات مُوَّثقةَ لنسطور نفسه.**

من خطابه الرابع ضد بروكلوس الذي له أهميـــة كبيـــرة نقتطـــف الكلمات التالية:

- ... ولكي يصنع الترضية من أجل البشر اتخـــذ المســـيح شخص الطبيعة الخاطئة (البشرية)... **أنا أعبد هذا الإنسان** {يقصد شخص الطبيعة الخاطئة} **مع الله** كـــأداة لصـــلاح الرب... وكالثوب الأرجواني الحي الذي للملك... ذاك الذي تشكَّل في رحم مريم ليس الله نفسه... لكن لأن الله سكن في ذاك الذي اتخذه، **إذن فإن هذا الذي اتُّخِذَ أيضًا يُـــدعى الله بسبب ذاك الذي اتخذه**. ليس الله هو الـــذي تـــألم لكـــن الله

اتصل بالجسد المصلوب... لذلك سوف ندعو العذراء القديسة ثيئوذوخوس *θεοδόχο* "وعاء الله" وليس ثيئوطوكوس ´ "والدة الإله"... ولكننا سوف نوقّر هذه الطبيعة التي هي حُلَّة الله مع ذاك الذي استخدم هذه الحُلَّة، **سوف نفرّق الطبائع ونوحّد الكرامة، سوف** **<u>نعترف بشخص مزدوج ونعبده كواحد</u>**[١٩٥].

- بالتالى دعنا نحفظ الاتصال غير المختلط الذي للطبائع، لأنه **علينا أن نقبل الله في الإنسان، وبسبب الاتصال الإلهي** **<u>دعنا نبجل الإنسان المعبود مع الله القدير</u>**[١٩٦].

وهكذا نرى بوضوح من قول نسطور أنه يعبد شخصين ويؤمن بالازدواجية، وهذا هو الشرك بعينه، ولذلك قاومته الكنيسة وحرَمته، لأن المسيحية لا تعبد إنسانًا إلى جوار الله القدير، بل تعبد الثالوث القدوس بلاهوت واحد. والسيد المسيح هو واحد من الثالوث غير منفصل عن الآب والروح القدس، والعبادة تُقدم له كأقنوم واحد وشخص وحيد غير مزدوج. وبذلك نعبد الإله المتجسد وليس الإنسان المتألِّه.

وفيما يلي أيضًا بعض النصوص التي نُسبت إلى نسطور في كتابه المعروف *Bazar of Heracleides* وهي تؤكد نفس أفكاره:

---

[195] In Marius Mercat. ed. Garnier-Migne, l.c. pp. 789-801.

[196] St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50*, *Letter of St. Cyril to Acacius, Bishop of Melitene*, vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, pp. 159, 160, 162; cf. Loofs, Nestoriana, 275. 9-11, 249. 1-4, 262. 4-6.

• هما شخصان *Two prosopa*: شخص ذاك الذي ألبَس وشخص (الآخر) الذي لَبِس[١٩٧].

• لذلك فإن صورة الله هي التعبير التام عن الله للإنسـان. فصورة الله المفهومة من هذا المنطلق، يمكن أن يُعتقـد (أو تُحسب أو تعتبر) أنها الشخص الإلهي. الله سكن في المسيح وكشف ذاته للبشر من خلالـه، مـع أن الشخصـين *Two prosopa* هما في الحقيقة صورة واحدة لله[١٩٨].

• يجب ألا ننسى أن الطبيعتين يستلزمان أقنومين وشخصين *Two persons* (*prosopa*) متحدين فيه بقرض بسيط وتبادل (*simple loan and exchange*)[١٩٩].

من كل ما سبق يتضح لنا إلى أي مدى كان نسطور ينادي بالشِرْك، ونتعجب لماذا يدافع عنه د. زيدان؟!

* * *

---

[197] Bazar of Heraclides (LH 193), quoted by Bernard Dupuy, OP, 'The Christology of Nestorius' published in *Syriac Dialogue* First non-official Consultation, by Pro Oriente Hofburg Marschallstiege II A-1010 Vienna, 1994, p. 113.

[198] Rowan Greer: '*The Image of God and the Prosopic Union in Nestorius' Bazar of Heraclides* in Lux in Lumine, Essays to Honor W. Norman Pittenger, edited by R. A. Morris jr., New York, 1996, p. 50; quoted by Metropolitan Mar Aprem G. Mooken entitled "*Was Nestorius a Nestorian*" published in *Syriac Dialogue* First Non-Official Consultation, by Pro Oriente Hofburg Marschallstiege II A-1010 Vienna, 1994, p. 223.

[199] R. Nau, Paris 1910, ed. Letouzey et Ane, *Le Livre d'Heraclide de Damas* (=L.H.), p. 28.

شرح مبسط لعقيدة طبيعة السيد المسيح

الفرق بين نسطور وكيرلس عمود الدين:

نسطور اعتبر أن في المسيح شخصين أو أن المسيح مسيحان أى شخصان.

القديس كيرلس اعتبر أن المسيح شخص واحد بسيط (أى ليس شخص من شخصين).

ومعنى شخصين عند نسطور أن الله بكيانه المستقل والإنسان (إنسان ذا شخصية بشرية) بكيانه المستقل اتصلا ببعضهما.

- علّم القديس كيرلس أن طبيعة السيد المسيح البشرية قد اتحدت باللاهوت في لحظة التجسد ولكن لم تَذُب في اللاهوت.

عندما نقول إنه أخذ جسداً نقصد إنه أخذ طبيعة بشرية كاملة بروح عاقلة. بمعنى أننا عندما نقول إن الكلمة تجسد أو إن الكلمة صار جسداً نقصد إنه قد أخذ جسداً محيَياً بروح عاقلة. أى أنه صار بشراً أو صار إنساناً. نفس لحظة التجسد هي لحظة الاتحاد. المفروض أن نقول إن التجسد قد حدث في الاتحاد لكي نؤكد أنه لا يوجد فارق زمنى بين وجود جسد المسيح المخصص للكلمة ولحظة الاتحاد به.

لقد علّم القديس كيرلس الكبير بأن الكلمة حينما تجسد فطبيعته المتجسدة هي طبيعة واحدة من طبيعتين.

هل الروح العاقلة التي في الطبيعة البشرية للسيد المسيح هي شخص؟

حدث خلط عند الأبوليناريين ومن بعدهم النساطرة بين مفهوم الشخص ومفهوم الطبيعة وخصوصاً من جهة خاصية العقل، العقل هو خاصية من خصائص الطبيعة وليس هو الشخص فى حد ذاته. فالشخص العاقل يمتلك ويحمل طبيعة عاقلة. أى أن الشخص هو حامل الطبيعة. فإذا كانت طبيعته إلهية فهو يعقل كإله وإذا كانت طبيعته بشرية فهو يعقل كإنسان وإذا كانت طبيعته ملائكية فهو يعقل كملاك وهكذا...

وقد ملك السيد المسيح الطبيعة الإلهية العاقلة.. أى أنه كان يملك الجوهر الإلهى العاقل منذ الأزل وظل يملكه بغير تغيير. ولما صار إنساناً، صار يملك أيضاً ذهنية البشر أو العقل البشرى الخاص به لنفس شخصه المبارك. فأصبح له بالإضافة إلى ذهنه الإلهى، فكر الإنسان وأسلوبه فى التفكير وذاكرته أو ذهنية الإنسان بالطبيعة، فى وحدة غير ممتزجة بين الطبيعتين بلا تغيير، ولا تلغى الواحدة منهما الأخرى أو تلغى خصائصها بسبب الاتحاد[٢٠٠].

[٢٠٠] المطران الأنبا بيشوي، *المجمع المسكوني الثالث في أفسس ٤٣١م والصراعات العقائدية في القرنين الرابع والخامس حول شخص وطبيعة السيد المسيح* ٢٠٠٥، ص ١٣، ١٤.

تبادل الألقاب:

لأن شخص السيد المسيح هو واحد فإنه هو نفسه حمل لقب ابن الله ولقب ابن الإنسان في آنٍ واحد. وكثيراً ما كان يستخدم لقبه الإنسانى للتعبير عن أمور إلهية تخصه، كما يستخدم لقبه الإلهي للتعبير عن أمور إنسانية تخصه. وذلك لتأكيد أنه شخص واحد.

فمثلاً في استخدام لقبه الإنسانى للتعبير عن أمور إلهية قال:

- "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء **ابن الإنسان** الذي هو في السماء" (يو٣: ١٣). ومن الواضح أن السيد المسيح يملأ السماء والأرض بلاهوته ولكنه استخدم لقب ابن الإنسان لأن ابن الله هو هو نفسه ابن الإنسان وليس آخر غيره.
- "**ابن الإنسان** هو رب السبت أيضًا" (مت١٢: ٨) ورب السبت هو الله طبعاً واستخدم لقب ابن الإنسان.
- "متى جاء **ابن الإنسان** في مجد أبيه وجميع الملائكة القديسين معه" (مت٢٥: ٣١) في حديثه عن المجيء الثانى لابن الله بمجد أبيه استخدم لقبه الانساني.

وفي استخدام ألقابه الإلهية للتعبير عن أمور إنسانية قال:

- "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل **ابنه الوحيد** لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦) وهنا نرى لقب الابن الوحيد وهو لقب المسيح الإلهي باعتباره الابن الوحيد المولود من الآب حاملاً لنفس جوهر الآب "الابن

الوحيد الجنس". نرى هذا اللقب يستخدم للإشارة إلى صلب السيد المسيح وذبحه على الصليب بقوله "حتى بذل ابنه الوحيد" وقوله أيضًا لشرح ذلك "كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان" (يو٣: ١٤) فابن الله الوحيد هو نفسه ابن الإنسان.

- "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا **الابن** إلا الآب" (مر١٣: ٣٢). ولقب الابن هنا مقصود به ابن الله واستخدم فيما يخصه من الناحية الإنسانية.

وقد ورد في العهد الجديد آيات تؤكد نفس المبدأ مثل قول الكتاب "لأن لو عرفوا لما صلبوا **رب المجد**" (١كو٢: ٨). فلقب رب المجد هو لقب إلهي للمسيح والحديث هنا عن صلبه أي عن أمور تخصه من الناحية الإنسانية.

وبهذا نفهم كيف تُدعى العذراء "والدة الإله"، فالولادة من العذراء تخصه من الناحية الإنسانية ولكن يستخدم لقبه الإلهي لأن المولود منها هو هو نفسه ابن الله المولود من الآب وليس آخر غيره. كما أن لقبه الإلهي هو لقبه الأصلي؛ أما لقبه الإنساني فقد اكتسبه بالتجسد.

* * *

تعاليم القديس أثناسيوس ضد النسطورية[٢٠١]

بالرغم من أن نسطور جاء لاحقاً للقديس أثناسيوس، إلاّ أن القديس أثناسيوس قدم تعليماً صارماً ضد هرطقة نسطور.

فقد كتب:

كيف يغامر أناسٌ يُدعَون مسيحيين مجرد أن يرتابوا فيما إذا كان الرب الذي ولد من مريم، بينما هو ابن الله بالجوهر والطبيعة، هو "من نسل داود من جهة الجسد" (رومية ١: ٢)، ومن جسد القديسة مريم؟ أم مَن كان مجازفاً فيقول إن المسيح الذي تألم بالجسد وصلب ليس رباً ومخلصاً وإلهاً وابن الآب؟ أو كيف يتمنون أن يُدعَوا مسيحيين الذين يقولون إن الكلمة حلّ على رجل قديس كما على أحد الأنبياء، ولم يصر هو نفسه إنساناً، آخذا جسداً من مريم؛ لكن إن المسيح هو شخص واحد، بينما كلمة الله، الذي كان قبل مريم وقبل الدهور ابناً للآب، هو آخر؟ أم كيف يدعون مسيحيين أولئك الذين يقولون إن الابن واحد وكلمة الله آخر؟[٢٠٢].

[٢٠١] عن محاضرة ألقاها المؤلف في مؤتمر الدراسات الآبائية سنة ١٩٩٣ في قاعة المؤتمرات بدير الأنبا بيشوى.

[٢٠٢] St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 2., vol. 4 of *NPNF,* 2nd ser., p. 571.

كتب أيضًا أن:

كلمة الله جاء في شخصه هو نفسه، لأنه هو وحده صـــورة الآب، الذي يقدر أن يعيد خلقة الإنسان الذي عُمِـــل علـــى صورته[٢٠٣].

وعلى عكس تعليم القديس أثناسيوس الأرثوذكسي، علّم نســطور بالآتى:

لهذا السبب أيضًا يدعى المسيح الله الكلمة، لأن لـــه صـــلة غير منقطعة بالمسيح[٢٠٤].

وأيضًا:

بالتالى دعنا نحفظ الاتصال غير المختلط الذي للطبائع، لأنه **علينا أن نقبل الله في الإنسان، وبسبب الاتصـــال الإلهـــي دعنا نبجل الإنسان المعبود مع الله القدير**[٢٠٥].

وقال نسطور أيضًا:

الله غير منفصل عن **الواحد** المرئي، ومن أجل هذا، أنا لا أفرق كرامة الواحد غير المنفصل. أنا أفرِّق الطبائع؛ ولكن أوحِّد الكرامة[٢٠٦].

---

[203] St. Athanasius, *St. Athanasius On the Incarnation*: *With an Introduction by C.S. Lewis,* iii. 13 (New York: St. Vladimir's Seminary Press, 2002), p. 41.

[204] St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50, Letter of St. Cyril to Acacius,* vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, pp. 159,160; cf. Loofs, Nestoriana, 275. 9-11.

[205] McEnerney, pp. 160; cf. Loofs, Nestoriana, 249. 1-4.

[٢٠٦] McEnerney, pp. 162; cf. Loofs, Nestoriana, 262. 4-6.

علَّق القديس كيرلس السكندري على هذه الفقرة الأخيرة في خطابه إلى أكاكيوس كالآتى:

> لأنه لم يعرف معنى التجسد، فإنه يذكر طبيعتين ولكنه يفصلهما الواحدة عن الأخرى، واضعاً الله جانباً، وهكذا الإنسان بدوره، متصلاً بالله بواسطة علاقة خارجية فقط وفقاً للمساواة في الكرامة أو على الأقل سلطة السيادة (فقرة ١٦ من الخطاب)[٢٠٧].

لقد رفض **القديس أثناسيوس** أى فصل بين لاهوت وناسوت ربنا يسوع المسيح. وكتب قائلاً:

> الآخرون الذين قسموا غير المنقسم ينكرون حقيقة أن "الكلمة صار جسداً وحل بيننا" (يو ١: ١٤).

وكتب أيضًا:

> **نحن لا نعبد مخلوقاً**. ليبعد هذا التفكير، لأن مثل هذا الخطأ يخص الوثنيين والآريوسيين. **ولكننا نعبد رب الخليقة، المتجسد، كلمة الله. لأنه وإن كان الجسد أيضًا في ذاته هو جزء من العالم المخلوق، إلا أنه صار جسد الله. لهذا نحن لا نقسم الجسد عن الكلمة، لنعبده في ذاته، كما أننا عندما نرغب في عبادة الكلمة نحن لا نفرِّده (نعزله) بعيداً عن الجسد، ولكن كما ذكرنا سابقاً، إننا في معرفتنا، أن "الكلمة صار جسداً" نحن ندرك أنه هو الله أيضًا، بعدما صار**

[207] McEnerney, p. 162.

جسداً. وبالتالي من هو فاقد الشعور هذا الذي يقول لله: "أُترك الجسد حتى أستطيع أن أعبدك" أو من هو غير التقي لينضم إلى اليهود فاقدي الشعور في قولهم، بخصوص الجسد، "فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً؟" (يو١٠: ٣٣) أما الأبرص فلم يكن من هذا النوع لأنه سجد لله في الجسد، وأدرك أنه الله قائلاً: "يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني" (مت٨: ٢)[٢٠٨].

شرح القديس أثناسيوس كيف أن كلمة الله جعل خصائص الجسد خاصة به وكتب:

إن الكلمة غير المادي جعل خصائص الجسد خاصة به، حيث إنه جسده الخاص به. لماذا، عندما ضُرب الجسد بواسطة أحد الخدام، فلأنه هو الذي تألم، سأل: "لماذا تضربني؟" (يوحنا ١٨: ٢٣) وبالرغم من كونه بالطبيعة غير محسوس، إلاّ أن الكلمة قال: "بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين، وجهي لم أستر عن العار والبصق" (إشعياء٥٠: ٦) لأن ما تألم به الجسد البشري الذي للكلمة، هذا نسبه الكلمة الساكن في الجسد إلى نفسه.. وأنه لعجيب بالحقيقة أنه هو الذي تألم مع أنه لم يتألم. تألم لأن جسده

---

[208] St. Athanasius, *Ad Adelphium*. 2., vol. 4 of *NPNF,* 2nd ser., p. 575.

الخاص تألم؛ ولم يتألم لأن الكلمة بما أنه بالطبيعة هو الله، فهو غير قابل للألم[٢٠٩].

ومن ناحية أخرى فقد شرح القديس أثناسيوس كيف أن جسد ربنا يسوع المسيح تمجّد فوق خصائصه الخاصة التي للطبيعة. وكتب يقول:

ولكن بما أن الجسد في نفسه هو من طبيعة مائتة، فقد قام مرة أخرى بواسطة ما يفوق طبيعته الخاصة بسبب الكلمة الذي كان فيه؛ وقُطع عن الفساد الطبيعي، وبلبسه الكلمة الذي هو فوق الإنسان، صار غير قابل للفساد[٢١٠].



[209] St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 6., vol. 4 of *NPNF*, 2nd ser., pp. 572, 573.
[٢١٠] St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 10., vol. 4 of *NPNF,* 2nd ser., p, 574.

كريستولوجية القديس أثناسيوس

كثيراً ما يردد صاحب القداسة البابا شنوده الثالث القول: "إن القديس أثناسيوس دافع بالتساوى عن كلٍ من لاهوت وناسوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح".

وقد بنى القديس كيرلس السكندري تعليمه الكريستولوجي على كريستولوجية القديس أثناسيوس، قدّم خطاب القديس أثناسيوس إلى أبيكتيتوس كمرجع أولي لتعليم الكنيسة الكرستولوجي (أي الخاص بطبيعة المسيح) الصحيح ملقباً إياه "خطاب أبينا القديس أثناسيوس إلى إبيكتيتوس"[٢١١].

في دفاع القديس أثناسيوس عن الناسوت الكامل الذي لربنا يسوع المسيح، رفض الأفكار الخاطئة التي تنص على أن:

> الجسد المولود من مريم مساوٍ في الجوهر للاهوت الكلمة، أو أن الكلمة تغيَّر إلى جسد وعظام وشعر وجسد كامل، وتحول عن طبيعته الخاصة[٢١٢].

قال القديس أثناسيوس بوضوح إن:

> الجسد الذي كان الكلمة فيه (أي اتخذه الكلمة) لم يكن مساوياً للاهوت في الجوهر، ولكنه كان مولوداً بحق من مريم، بينما الكلمة نفسه لم يتغير إلى عظم ولحم، لكنه أتى

عن محاضرة ألقاها المؤلف في مؤتمر الدراسات الآبائية سنة ١٩٩٣ في قاعة المؤتمرات بدير الأنبا بيشوي.

[211] St. Cyril of Alexandria, *Letter 44*, *Letters 1-50* , vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, p. 189.

[212] St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 2., vol. 4 of *NPNF,* 2nd ser., p. 570.

في جسد. لأن ما قاله يوحنا: "الكلمة صار جسداً" (يو ١ : ١٤) له هذا المعنى، كما يمكننا أن نرى في عبارة مشابهة، فبولس الرسول يكتب قائلاً: "المسيح.. صار لعنة لأجلنا" (غل ٣: ١٣) كما أنه هو نفسه لم يصر لعنة، ولكن قيل إنه صار كذلك لأنه أخذ لنفسه اللعنة نيابةً عنّا، وهكذا أيضًا صار جسداً ليس بأن تغير إلى جسد، ولكن لأنه نيابة عنّا أخذ جسداً حياً وصار إنساناً[٢١٣].

وقد كان القديس أثناسيوس أيضًا واضحاً في تعليمه عن الجسد الحي الذي اتخذه كلمة الله أنه يعني ناسوت كامل، أى جسد ونفس عاقلة معاً.

وكتب يقول:

... لكن حقاً إن خلاصنا ليس ظاهراً فحسب، كما أنه لـــيس ممتداً إلى الجسد فقط، إنما الإنسان كله، الجسد والنفس على السواء، قد حصلا على الخلاص في الكلمة نفسه[٢١٤].



[٢١٣] St. Athanasius, *Ad Epictetum.* 8., vol. 4 of *NPNF,* 2nd ser., p. 573.
[214] St. Athanasius, *Ad Epictetum*. 7., vol. 4 of *NPNF,* 2nd ser., p. 572.

الفصل الرابع

"الحروم الاثنا عشر" للقديس كيرلس

مقدمة

ماهي "الحروم الاثنا عشر" للقديس كيرلس أو"لعنات كيرلس" كمـــا يحلو للدكتور يوسف زيدان أن يسمّيها؟

هي ببساطة شديدة تعريف للإيمان الأرثوذكسي أي المســتقيم، اضطر القديس كيرلس أن يضعها **لكـــي يحـــدد الإيمـــان بطريقـــة واضحة لتفادي أن ينخدع الناس بتعاليم نسطور الخاطئة، والشِرك الذي ينادي بـــه.** وقد اُضطر لذلك لأنه وجد الإيمان في خطر فكان من واجبه أن يَهُب للحفاظ عليه وإنقاذ المؤمنين من الضلال. ومـــع ذلك فقد كشف لنا عن مكنونات قلبه، وعبّر عن مشاعره قائلا:

"أنا أحب السلام، ولا أكره شيئًا أكثر من النزاع والعـــراك. إننى أحب الجميع وإن كان يمكنني أن أشفي أحد الأخوة بأن أفقد كل ممتلكاتي وكل ما لي فلي رغبة أن أعمل ذلك بفرح لأننى أقدّر الوئام أكثر من أى شئ آخر... لكن هناك خلاف حول الإيمان... **لقد عهد إلينا بالإيمان المقدس...** فكيـــف نعالج هذه الشرور؟ **أنا مستعد أن احتمل كل اللـــوم وكـــل الخزي وكل الجراح في مقابل ألا يُعرَّض الإيمان للخطـــر،**

أنا مملوء بالحب نحو نسطور، ليس هناك من يحبه مثلما أحبه أنا.. إن كان – وفقاً لوصية المسيح – يجب علينا أن نحب حتى أعدائنا أنفسهم، أليس من الطبيعي أنه ينبغي أن نرتبط بعاطفة خاصة نحو أصدقائنا وإخوتنا في الكهنوت؟ **لكن حينما يُهاجَم الإيمان يجب علينا ألا نتردد في تقديم حياتنا نفسها ذبيحة من أجله. وإن خفنا أن نكرز بالحق لأن هذا يسبب لنا بعض المضايقة، فكيف في إجتماعنا نرنم لقتال ونصرة شهدائنا القديسين**"[٢١٥].

عقد البابا كيرلس مجمعاً في الإسكندرية (٤٣٠م) واعتمد المجمع نص رسالة البابا كيرلس الثالثة إلى نسطور وهي التي تتضمن الحروم الاثنى عشر ومطالبة نسطور بالإعتراف بها وسوف نورد مقتطفات من هذه الرسالة، ولأهميتها سوف ننشرها كاملة في ملاحق الكتاب:

من الرسالة الثالثة إلى نسطور (الرسالة ١٧)[٢١٦]

١- من كيرلس والمجمع المنعقد في الإسكندرية من إيبارشية مصر، نهدي تحياتنا في الرب، إلى الموقر والمحب لله جداً الأسقف الشريك نسطور.

حينما قال مخلصنا بوضوح: "من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني"

[215] Young, *From Nicaea to Chalcedon*, pp. 240-241.

[216] Lionel R. Wickham, *Cyril of Alexandria: Select Letters* (Oxford: Oxford at the Clarendon Press, 1983), pp. 12-33.

(مت١٠: ٣٧)، فماذا سيكون مصيرنا حينما تطلب تقواك منا أن نحبك أكثر من المسيح مخلصنا كلنا؟ من يستطيع أن يساعدنا في يوم الدينونة؟ وأية حجة نخترعها لاختزاننا الصمت طوال هذه المدة أمام التجاديف التي وجهتها ضده؟ فلو أنك آذيت نفسك وحدك في تعليمك بهذه الأفكار الخاصة بك، لقَل قلقنا. لكنك أعثرت كل الكنيسة، وأدخلت خميرة هرطقة غريبة ودخيلة بين الشعب، ليس فقط في القسطنطينية بل وفي كل العالم. إن كتب عظاتك قد انتشرت. فما هو الشرح الذي يمكننا أن نقدمه عن صمتنا؟ كيف لا يكون ضرورياً أن نتذكر قول المسيح: "لا تظنوا أنى جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها" (مت ١٠: ٣٤-٣٥). حينما يمس الإيمان أذى، فليُترك احترام الوالدين المخادِع والمبتَذل، ولينتهي قانون العاطفة الدافئة نحو الأولاد والأقرباء! وبعد ذلك يكون الموت عند الأتقياء أفضل من الحياة "لكى ينالوا قيامة أفضل" (عب ١١: ٣٥) بحسب المكتوب في الأسفار.

٢- لذلك فمع المجمع المقدس المنعقد في مدينة رومية العظمى برئاسة أخينا والخادم شريكنا في الخدمة، المقدس جداً الذي يكرم الله، كليستينوس الأسقف، نحن أيضًا بهذه الرسالة الثالثة نتّهمك الآن، محذّرين إياك بالتوقف عن التعاليم الشريرة جداً والمنحرفة جداً التي ترتئيها وتعلّم بها. وعوضاً عنها اختَر

وعلِّم بالإيمان الصحيح المُسَلَّم للكنائس من البدء بواسطة الرسل القديسين والبشيرين الذين كانوا معاينين وخــداماً للكلمــة. وإذا كنت، تقواك، لا تفعل هذا، حسب الزمن المحدد والمبــين فــى رسالة السابق الذكر أخينا وشريكنا فى الخدمة، المقــدس جــداً والمكرم لله جداً، كليستينوس، أسقف كنيسة روميــة، فــاعتبر نفسك بلا وظيفة أو وضع رسمى أو مكانة معنا ضــمن كهنــة الرب والأساقفة. لا يمكننا أن نتجاهل الكنائس التي اضطربت، والشعب الذي أُعثر، والإيمان الصحيح الذي أُهمل، والقطعــان التي تفرقت بواسطتك، وقد كان حَرِيّــاً بــك أن تكــون أنــت حافظها، لو كنت مثلنا محباً للإيمان الصحيح ومقتفياً أثر تقــوى الآباء القديسين. ولكننا نحن جميعاً في شركة مع كل الأتقيــاء، سواء من الشعب أو من الإكليروس، الذين حُرموا من الشــركة أو عزلوا بواسطة وقارك بسبب الإيمان. لأن رجالاً لهــم رأي قويم لا يجب أن يُحطَموا بواسطة إدانتك لهم على معارضــتهم المستقيمة لك. وقد أشرت إلى هذا الأمر ذاته فى خطابك الــذي كتبته إلى شريكنا فى الأسقفية المقدس جــداً أســقف المدينــة العظمى رومية. ولكنه لن يكون كافياً لتقواك أن تعترف معنــا فقط بقانون الإيمان الذي وضع بالروح القدس بواسطة المجمــع المقدس العظيم المجتمع فى مدينة نيقية أثناء الأزمنة الحرجــة. لأنك لم تفهمه ولم تفسره تفسيراً صحيحاً، بل بالحرى بطريقــة منحرفة، حتى وإن كنت تعترف بنص القانون بشفتيك. ولكــن

عليك أن تلحق ذلك بالكتابة وتعترف بقسم أنك أيضاً تحرم، من ناحية، تعاليمك الممقوتة والكفرية، ومن ناحية أخـــرى، بأنـــك سوف تعلِّم وتتمسك بما نعلِّم ونعتقد فيه نحـــن جميـــع أســـاقفة الغرب والشرق معلمي وقادة العلمانيين. وإن المجمع المقـــدس فى روما، ونحن جميعاً، متفقون على أن الرسائل المرسلة إلـــى تقواك من كنيسة الإسكندرية مستقيمة وبلا لوم، ولكننا أضـــفنا إلى خطابنا هذا الأمور التي يجب أن تتمسك وتُعلِّم بها وأيضًـــا الأمور التي يجب عليك شجبها.

١٢- لقد تعلمنا أن نعتقد بهـــذه الآراء مـــن الرســـل القديســـين والبشيرين، ومن كل الأسفار الموحى بهـــا، ومـــن الاعتـــراف الصادق لآبائنا المباركين. إنه من الضرورى أن تقـــواك أيضًـــا ترضى بكل هذه وتوافق على كل واحدة بدون خداع. **إن ما يلزم أن تحرمه تقواك قد أُلحق بهذا الخطاب المرسل منا.**

وهكذا يتضح المستوى الروحي الرفيع للقديس كيرلس وعدم اكتراثه بأي شئ غير الإيمان، الذي يعتبره أغلى من حياته نفسها. ويعطـــي مسئولية المحافظة على سلامته، الأولوية بـــين أعمالـــه الرعويـــة والكهنوتية الأخرى.

ويعتمد كثير من كُتّاب الغرب، للأسف حتى يومنا هذا، على بعض الكتابات ويعتبرونها وثائق ضد القديس كيرلس الكبير عمود الـــدين وحامي الإيمان وهي لا تزيد عن كونها تهماً باطلة من هراطقـــة أو مدافعين عن الهراطقة.

عنوان رسائل القديس كيرلس

ويضع د. زيدان عنوانًا غريبًا لرسائل القديس كيرلس لا نعلم من أين أتى به!

ص ٢٣٧ **هيبا:** *في أول اللفافة عنوان باللغتين... رسائل البابا كيرلس، رئيس أساقفة الإسكندرية والمدن الخمس الغربية ومصر والحبشة، راعي الكرازة (الدعوة) المرقسية، الناطق بلسان القديس مرقس الرسول. تتلوها اللعنات الاثنتا عشرة، التي كتبها البابا كيرلس ضد المارق نسطور!*

ص٢٣٧ **هيبا:** *حين رأيتُ العنوان، ولم أقرأ الرسالةَ بَعْدُ، أخذتني هَزّةٌ خفيةٌ شاعتْ في بدني، فكأنها صارت تسري في عروقي برملٍ حارٍ بدلاً من الدم. أدركتُ في لحظة إشراقٍ مفاجيء، أن الرعبَ آتٍ لا محالة.. فها هو الماضي يثب فوقنا من مكمنه، فيوشك أن ينشب مخلب المقت، في لحم ظهورنا المكشوفة.*

اعتاد القديس كيرلس أن يفتتح رسائله لنسطور بالعبارة الآتية:

> "كيرلس يهدي تحياته في الرب إلى الموقر جدًا والمحب جدًا لله الشريك في الخدمة نسطور"[٢١٧]. (الرسالة [٤] الثانية إلى نسطور)
>
> "من كيرلس والمجمع المنعقد في الإسكندرية من إيبارشية مصر، نهدي تحياتنا في الرب، إلى الموقر جدًا والمحب لله

[217] St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50,* vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, p. 34; Wickham*, Cyril of Alexandria: Select Letters*, p. 3.

جداً الأسقف الشريك في الخدمة نسطور"[٢١٨]. (الرسالة [١٧] الثالثة إلى نسطور)

ولا توجد تلك الصيغة التي اخترعها المؤلف لكي يبالغ في الإساءة إلى القديس كيرلس. أين مرجعه لها؟!

يقول هيبا بعد أن قرأ عنوان الرسائل

ص٢٣٨ **هيبا:** *قرأتها بصوتٍ مرتفع، لم يلبث أن اضطرب وخفت مع توغُّلي بين سطور الرسائل وخناجرها المشرعة.*

أرسل القديس كيرلس لنسطور أكثر من مرة شارحًا له الإيمان المستقيم، بإسلوب هادئ ولطيف. وحتى في هذه الرسالة الثالثة لنسطور، وفَّر القديس كيرلس الأسلوب الشديد فقط ليستخدمه في حالة ما إذا أصر نسطور على هرطقته وانحرافه في الإيمان، خاصة أنه يقود كنيسة وشعب كثير.

ص٢٤١ **هيبا:** *عدتُ لتلاوة لعنات كيرلس أو حروماته الاثنتى عشرة، التي كانت عبارتها موجزةً حاسمةً، لا تدع مجالاً لأي تأويل أو تخفيف من وَقْعها الكاوي للأكباد. وكانت كلها تنتهي بقوله، إن الذي يخالفه فيما يقرره من عقائد أرثوذكسية قويمة: فليكن ملعوناً .. ليكن ملعوناً.. ملعوناً.. وعلى هذا النحو سارت الفقرات الاثنتا عشرة الأخيرة من رسالة كيرلس مؤكدةً تلك اللعنات التي انقدحت شرارتها من كنيسة الإسكندرية، ثم تأججت نارُها وهاجت، حتى عمت العالم بالحرائق.*

---

[218] St. Cyril of Alexandria, *Letters 1-50,* vol. 76 of *The Fathers of the Church*, trans., McEnerney, p. 38; Wickham*, Cyril of Alexandria: Select Letters*, p. 13.

اُضطر القديس كيرلس إلى كتابة هذه الحروم عندما لم تُجدِ الرسائل الأخرى التي أرسلها لنسطور شارحًا الإيمان المستقيم. وما هو الخطأ في تعريف الإيمان المستقيم والتحذير من الهرطقات؟! هل يملك الإنسان أغلى من إيمانه لكي يَهُب بكل قوته ويفعل كل ما في وسعه لكي يحمي ويصون جوهرة الإيمان التي لا يضاهي قيمتها شئ؟ لو فقد الإنسان إيمانه لفقد كيانه. غير أنه من الثابت تاريخيًا أن المجمع المسكوني كله قد أقرَّ صحة عقيدة التعاليم الموجودة في الرسالتين الثانية والثالثة الموجهتين إلى نسطور (المذيلة بالحرومات الاثنتى عشرة) بعد قراءتهما أمام المجمع، واتفاقهما مع التعليم الأرثوذكسي القويم. وقرأوا أيضًا رسالة نسطور وأقروا أن تعاليمها كفرية، ولذلك حرموه وكل من يقول بقوله. وقد وقَّع الحرم مائتا أسقف[٢١٩].

كتب القديس كيرلس الحرومات الاثنتي عشرة في نفس هذه الرسالة (١٧) وهذا نصها:

الحرومات الاثنتا عشرة

١- مَن لا يعترف أن عمانوئيل هو الله بالحقيقة، وبالتالي لا يعترف أن العذراء القديسة هي والدة الإله لأنها ولدت جسدياً كلمـــة الله المتجسد، فليكن محروماً.

[219] Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, pp. 47, 48.

٢- ومَن لا يعترف أن كلمة الله الآب قد وحَّد نفسه أقنومياً بالجسد، وهو مع جسده الخاص مسيح واحد، وأنه هو نفسه في نفس الوقت إله وإنسان معاً، فليكن محروماً.

٣- مَن يقسم بعد الاتحاد المسيح الواحد إلى أقنومين، ويربط بينهما فقط بنوع من الاتصال في الكرامة، والسلطة والقوة، والمظهر الخارجي، وليس بالحري بتوحيدهما في اتحاد طبيعي، فليكن محروماً.

٤- مَن ينسب الأقوال التي في البشائر والكتابات الرسولية، أو التي قالها القديسون عن المسيح أو التي قالها هو عن نفسه إلى شخصين أو أقنومين، ناسباً بعضها للإنسان على حده منفصلاً عن كلمة الله، وناسباً الأقوال الأخرى، لكونها ملائمة لله، فقط إلى كلمة الله الآب وحده، فليكن محروماً.

٥- مَن يتجاسر ويقول إن المسيح هو إنسان مُلهم من الله وليس بالحري هو الله الحقيقي، لأنه الابن الواحد بالطبيعة، لأن الكلمة صار جسداً (يو ١: ١٤) واشترك مثلنا في اللحم والدم (عب ٢: ١٤)، فليكن محروماً.

٦- مَن يتجاسر ويقول إن كلمة الله الآب هو إله وسيد للمسيح، ولم يعترف بالحري أن المسيح نفسه في نفس الوقت هو إله وإنسان معاً بحسب الكتب أن الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً.

٧- مَن يقول إن الإنسان يسوع هو تحت سيطرة الله الكلمة وإن مجد ابن الله الوحيد يتصل بكينونة مختلفة عن الابن الوحيد، فليكن محروماً.

٨- **مَن يتجاسر ويقول إن الإنسان الذي اتخذه الكلمة ينبغي أن يُسجد له مع الله الكلمة، ويُمجد معه ويُعترف به كإله مع الله الكلمة، كما لو كان الواحد منفصلاً عن الآخر (لأن لفظة "مع" التي تضاف دائماً تفرض أن يكون هذا هو المعنى)، ولا يُكرم عمانوئيل بالحري بسجدة واحدة، ولا يُرسل له ترنيمة تمجيد واحدة، لكون الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً.**

٩- إن قال أحد إن الرب الواحد يسوع المسيح قد تمجد من الروح، وإن المسيح كان يستخدم القوة التي من الروح كما لو كانت خاصة بقوة غريبة عنه ويقول إن الرب قَبِل من الروح القدرة على العمل ضد الأرواح النجسة ويتمم العجائب بين الناس، ولا يقول بالحري إن الروح الذي به عمل المعجزات خاص بالمسيح، فليكن محروماً.

١٠- يقول الكتاب المقدس إن المسيح هو رئيس كهنتنا ورسول اعترافنا (انظر عب ٣ : ١، أف ٥: ٢)، وإنه قدم نفسه من أجلنا رائحة طيبة لله الآب. لذلك إن قال أحد إنه لم يكن كلمة الله نفسه هو الذي صار رئيس كهنتنا ورسولنا حينما صار جسداً وإنساناً مثلنا، لكن آخر منفصل عنه مولود من إمرأة؛ أو يقول إنه قدّم

نفسه ذبيحة لأجل نفسه أيضًا وليس بالحري لأجلنا فقط (لأن من لم يعرف خطية لا يحتاج إلى ذبيحة)، فليكن محروماً.

١١- مَن لا يعترف أن جسد الرب هو معطي الحياة، وهو يخص كلمة الآب نفسه، بل يقول إنه جسد لواحد آخر خارجاً عنه، وإنه مرتبط به فقط في الكرامة، أو حصل فقط على حلول إلهـــي، ولا يعترف بالحري أن جسده معطي الحياة، ولأنه كما قلنــــا يخـــص اللوغوس وله قدرة أن يجعل كل الأشياء تحيا، فليكن محروماً.

١٢- مَن لا يعترف أن كلمة الله تألم في الجسد (بحسب الجسد)، وصُلب في الجسد، وذاق الموت في الجسد، وصار البكــر مــن الأموات (انظر كو١ : ١٨)، حيث إنه الحياة، ومعطـــي الحيـــاة كإله، فليكن محروماً.

* * *

كذلك أرسل مجمع الإسكندرية ٤٣٠م رسالتين أخريين واحدة إلى إكليروس وشعب القسطنطينية والأخرى إلى رهبان القسطنطينية.

وقام وفد من أربعة من الأساقفة والكهنة المصريين بتسليم الرسالة إلى نسطور في يوم الأحد بالكاتدرائية بالقسطنطينية ومعها الوثائق المرسلة من روما. قام نسطور بعدها بتقديم شكوى ضد البابا كيرلس إلى الإمبراطور ثيئودوسيوس. كما قام بنشر اثني عشر حرماً مضادة لحروم البابا كيرلس متهماً إياه بالهرطقة[٢٢٠].

---

[220] Hefele, *A History of the Councils of the Church*, vol. 3, pp. 28-34.

الفصل الخامس

الرد على أن التجسد خرافة

ص ٣٦ **هيبا:** *أأنت الذي قابلتني عند حدود بلدة سرمدة، وعند نزولي من جبل قُسقام بمصر؟*

عزازيل: *ما هذا الذي تقول؟ أنا لا وجود لي، مستقلاً عنك. أنا يا هيبا أنت، ولا أكون إلا فيك.*

هيبا: *ألا تتجسَّد يا عزازيل في أشخاص بعينهم؟*

عزازيل: التجسُّدُ خرافةٌ

سمعتُ صوت أقدام، ففتحت الشباك ثانية.

لم يُعلِّق د. زيدان على هذا التصريح الخطير من عزازيل، وكأنه لم يأتِ بجديد على مسامع هيبا، لم يقل له مثلاً "اسكت يا ملعون" كما قالها له من قبل في ص ١٥٩ مثلاً، عندما استوقفه عزازيل معترضًا على ما كان هيبا يكتبه بخصوص مقتل هيباتيا؛ حيث كتب هيبا: *الله والملائكة والشيطان يشاهدون ما يجري ولا يفعلون شيئًا.* (ونلاحظ هنا كيف ساوى د. زيدان بين الله والملائكة والشيطان). لقد انتهر هيبا الشيطان في أمر هيباتيا الذي ذكرناه، ولم ينتهره عندما حاول أن يهدم عقيدة أساسية في المسيحية! وعلى أية حال فالخيالية أو الدوسيتية *Docetism* بدعة قديمة في

الكنيسة قِدم المسيحية نفسها، وقد قاومها القديس يوحنا الرسول آخر من بقى من الرسل الأطهار إذ أنه تنيح حوالي عام ١٠٦م فقال:

- مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هَذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ (١يو٢ : ٢٢)
- بِهَذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ (١يو٤ : ٢)
- وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهَذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ (١يو٤ : ٣)
- كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ. وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أيضًا (١يو٥ : ١)
- لأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِياً فِي الْجَسَدِ. هَذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَالضِّدُّ لِلْمَسِيحِ (٢يو١: ٧)

وتأتي كلمة *Docetism* من الكلمة اليونانية *δοκή* أو *δοκέσις* و *δόκησις* وتعني "ظهور– شبح" أو "خيال". تؤكد هذه الهرطقة على أن جسد المسيح كان خيالاً، وآلامه وموته كانا مجرد ظهورًا أو مظهرًا خارجيًا فقط. فينادي أصحابها بالقول {إن كان قد تألم فهو ليس إلهًا، وإن كان إلهًا فهو لم يتألم}. {المسيح الروحي يقال مرارًا إنه دخل يسوع الإنسان في معموديته وإنه فارقه قبل الصلب}. وقد ذُكر الخياليون في (١يو٤: ٢) و(٢يو٧) "الذين ينكرون أن يسوع

المسيح جاء في الجسد". وتنادي شيع الغنوسيين مرارًا برؤية خيالية للمسيح. ويؤكد Baur أيضًا أن الخيالية كانت شائعة عند الغنوسيين[٢٢١]. من بين الذين نادوا بالنظرية الخيالية نجد ساتورينوس وباسيليدس وفالِنتيوس وماركيون والمانويين. ويذكر أيضًا Redepening إلى أي حد كان أوريجانوس متهمًا بالخيالية[٢٢٢].

- **يقول الخياليون:**

"إن الابن اتخذ ثلاثين شكلاً من ثلاثين أيونًا. لهذا السبب فقد وُجد الأبدي ثلاثين عامًا على الأرض".

[Hippolytus (c.225,W), 5.120] [223]

كتب القديس إغناطيوس (استُشهد أثناء حكم تراجان ٩٨- ١١٧م) عن الخياليين [*Ep.ad.Smyrn.*6]

"انهم يمتنعون عن الإفخارستيا والصلاة لأنهم لا يعترفون بأن الإفخارستيا هي جسد مخلصنا يسوع المسيح، الذي تألم لأجل خطايانا"[٢٢٤].

إن شهادتنا المبكرة عن مجموعة من المسيحيين الذين يتبنون آراء خيالية عن المسيح، نجدها في مقاومة القديس إغناطيوس الأنطاكي لها وذلك في رسائله إلى سميرنا (٢: ١، ٨:٢) وإلى الترالليين (١٠).

[221] Wace and Piercy, p. 271.
[222] Wace and Piercy, p. 273.
[223] David W. Bercot, ed., *A Dictionary of Early Christian Beliefs* (Massachusetts: Hendrickson, 1998), p. 308.
[224] Henry Bettenson, ed., *Documents of the Christian Church*, 2nd ed. (New York: Oxford University Press, 1963), p. 74.

كتب القديس إغناطيوس في دحضه لهرطقة الخياليين قائلاً:

كن كإنسان أصم لا يسمع عندما يتكلم معك أحد بعيدًا عن يسوع المسيح، الذي كان من قبيلة داود، ابنًا لمريم، الذي وُلد بالحقيقة، الذي أكل وشرب، الذي تألم بالحقيقة تحت حُكم بيلاطس البنطي، والذي صُلب بالحقيقة، وبالحقيقة أيضًا مات... ولكن إن كان –كما يقول بعض الناس الغير أتقياء، والذين هم غير مؤمنين– قد تألم كمظهر خارجي فقط أو كخيال (الذين هم أنفسهم مجرد خيالات)، فلماذا أنا في هذه القيود؟ [Ignatius, *Ad Trall.* IX,X].[225] مشيرًا إلى قيوده وهو في طريق الاستشهاد.

وقال أيضًا إنه يمكننا أن نتكلم عن المصلوب أنه الله المتألم.

[cf.Ignatius, *Eph* 1.1; *Rom* 6.6]

بدون قيامة المسيح بالجسد من الأموات لا يمكن أن تتغير الطبيعة الإنسانية "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس" (عب٢: ١٤).

[cf. Ignatius, *Trall* 9.2; *Symrn*. 7.1]

اقتبس القديس إغناطيوس من (لو٢٤: ٣٩) "انظروا يدي ورجلي إني أنا هو جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما

[225] Bettenson, *Documents of the Christian Church*, p. 35.

ترون لي" ليثبت حقيقة جسد المسيح القائم من الأموات (*Smyrn*.3.1).

في مقاومته للإفخارستيا حسب مفهوم الخياليين يؤكد القديس إغناطيوس على أن الخبز هو جسد يسوع بالحقيقة (*Symrn*.7.1). ويهاجم القديس بوليكاربوس أسقف سميرنا (أزمير) ت. ١٥٥|١٥٦م، أيضًا مجموعة لها نفس الآراء (*Phil*.7.1).

شرح مبسط لعقيدة التجسد

كيف تم التجسد؟

لقد حل الروح القدس على العذراء مريم بدون زواج، وطهَّرها، وقدسها، وملأها نعمة، وكوَّن من جسدها ناسوتاً أو طبيعة إنسانية. وهذه الطبيعة البشرية الخاصة به اتخذها كلمة الله وتجسد بها، لكي يولد من العذراء كإنسان. وكما نقول إنه بولادته من الآب قد دعي ابن الله، هكذا نقول بولادته من العذراء يسمى ابن الإنسان. ولكن ابن الله هو هو نفسه ابن الإنسان، وليس شخصاً آخر؛ حتى بعد ولادته من العذراء هو ابن الله. لذلك قال الملاك للعذراء "القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥). والسيد المسيح نفسه كان أحياناً يسمي نفسه "ابن الإنسان"، وأحياناً أخرى "ابن الله". **فكما وُلد من الآب قبل كل الدهور ولادة روحية إلهية بدون أم، هكذا أيضاً وُلد في ملء الزمان ولادة إنسانية بدون أب. فهو ولد**

من الآب أزلياً بدون أم، وولد من العذراء ولادة زمنية بـــدون أب. فلا ينبغي أن يتم خلط الولادتين معاً. **فالمسيح ليس له أب جســـدي لأنه ولد من العذراء بدون أب، وليس له أم في اللاهوت لأنه ولد من الآب بلاهوته بدون أم.**

إن المسيحية لا تؤمن إطلاقًا بأن الآب قد تزوج الروح القدس لكي ينجب الابن (حاشا). بل الابن هو كلمة الآب بولادة روحية. وحتى في القرآن مذكور عن السيد المسيح (إنه كلمـــة مـــن الله وروح منه). أما عن ولادته حسب الجسد أو ما نسميه التجسد، فكان من العذراء بفعل الروح القدس. وهذا ليس ولادة الكلمـــة مـــن الآب، ولكن ظهوره للعالم في ملء الزمان. فلا توجد علاقة بـــين ولادة الكلمة منذ الأزل وولادته في ملء الزمان من العذراء مريم. وهكذا فإنه يوجد للسيد المسيح ميلادان ميلاد أزلي وميلاد زمني.

وإليك أيضًا عزيزي القارئ بعض ما ذكره القديس أثناسيوس فـــي شرحه للتجسد في كتاب "**تجسد الكلمة**" قال في **الفصل الرابع**:

٢- لأنه من الضروري عندما نتحدث عن ظهـــور المخلـــص بيننا، أن نتحدث عن بداية خلق البشر، ولكي تعلم أن نزوله إلينا كان بسببنا، وأن تعدّينا استدعى تعطّف الكلمة، لكي يأتي الرب مسرعًا لمعونتنا، ويظهر بين البشر. ٣- فلأجل قضيتنا تجســـد لكي يخلصنا، وبسبب محبته للبشر قَبِل أن يتأنس ويظهـــر فـــي جسد بشري. ٤- وهكذا خلق الله الانسان وكان قصده أن يبقى في غير فساد. أما البشر فإذ احتقروا التفكير في الله ورفضوه،

وفكّروا في الشر وابتدعوه لأنفسهم كما أشرنا أولاً، فقد حُكم عليهم بحكم الموت الذي سبق إنذارهم به.

في الفصل الثامن:

١- لأجل ذلك إذن نزل إلى عالمنا كلمة الله الذي بلا جسد، عديم الفناء وغير المادي... ٢-... فإنه رحم جنسنا وأشفق على ضعفنا وتراءف على فسادنا. وإذ لم يحتمل أن يرى الموت وقد صارت له السيادة علينا، ويلاشي عمل الله، فقد أخذ لنفسه جسدًا لا يختلف عن جسدنا... ٤- وهكذا إذ اتخذ جسدًا مماثلاً لطبيعة أجسادنا، وإذ كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده للموت عوضًا عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله من أجل محبته للبشر[٢٢٦].



[٢٢٦] القديس البابا أثناسيوس الرسولي بطريرك الإسكندرية العشرون، *تجسد الكلمة*، نصوص آبائية-٦٢، دكتور جوزيف موريس فلتس (ترجمة وتعليقات)، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، الطبعة الرابعة سبتمبر ٢٠٠٦م، صـ ١٠، ١١، ٢٠، ٢١، ٢٢.

هل بطرس الرسول هو الصخرة التي قامت عليها الكنيسة؟

ص١٩٥ **هيبا**: *نحن أيضًا لم نفهم قول يسوع حين أشار إلــى بطــرس الرسول وقال: على هذه الصخرة، أبني كنيستي. لأننا لم نُــدرك أن كــل كنيسةٍ بُنيت أو سوف تبنى، فهي لابد أن تقوم علــى رســولية بطــرس وإيمانه الذي لا يعرف الشك، وإن كان يعرف الضعف!.*

ص١٦٦- ١٦٧ **هيبا**: *لأن بطرس الرسول، وهو الصخرة التي قامت عليها الكنيسة، كان يعمل صيادًا في البحر.*

يُقَدِّم لنا مؤلف كتاب " تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية" إجابــة وافية لهذا السؤال فيقول:

> نرى في قول السيد المسيح لبطــرس بحســب الترجمــة اليونانية، لفظتين متشابهتين لكنهما ليستا معنــى واحــدًا وهما "بطرس" و "بِتْرا". فــ "بطرس" اسم مُــذَكَّر يعنــي حجرًا مقطوعًا من صخرة. أما "بِتْرا" فاسم مؤنث يعنــي صخرة. وفي الترجمة السريانية الحرقلية وردت لفظتــان متميزتان وهما ܦܛܪܘܣ ܘ ܫܘܥܐ (فِطــرُس وشــوعو) أي "بطرس" و "الصخرة".[٢٢٧]

فيكون نص الآية حسب الترجمة الحرقلية السريانية فــي متــى ١٦: ١٨ مع ذِكر كلمة بطرس بالسرياني "ܟܐܦܐ" (كيفــا) هــي:

---

[٢٢٧] سويريوس يعقوب توما (فيما بعد هو قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية)، ج١، الحاشية ص ٥٣.

(ܐܢܬ ܐܝܬܝܟ ܟܐܦܐ. ܘܥܠ ܗܢܐ ܫܘܥܐ ܐܒܢܝܗ ܠܥܕܬܐ ܕܝܠܝ) (أت إيثايك كيفو. وعَل هونو شوعو أبنوه لعيتو ديل) أي (أنت هـــو الحجـــر وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي)، لأن كلمة "كيفـــا" أو "صـــفا" السريانية تعني حجر ولا تعني صخرة. فكل مؤمن هو حجر في بناء الكنيسة، والرسل والأنبياء هم أحجار في الأساسات، ولكـــن يسوع المسيح هو الصخرة وهو حجر الزاويـــة، كقـــول بـــولس الرسول "كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ (١كو١٠ : ٤) وقول الرب في سفر أشعياء (٤٤: ٨) "هَلْ يُوجَدُ إِلَهٌ غَيْرِي؟ وَلاَ صَخْرَةَ لاَ أَعْلَمُ بِهَا".

ويستطرد المؤلف المذكور مؤكدًا نفس المعنى:

> فيُستنتج من قول السيد المسيح: على هذه الـــ "بترا" أبني بِيعتي: إنه لم يؤسس بِيعته على "بطرس" [صفا]. وأما "بطرس" فقد وُضع في بناء هذه البِيعة. وقصارى القول أن البِيعة لم تؤسس على شخص بطرس الرسول، ولكن بطرس وُضع مع رفاقه الرسل كحجارة في أساسها. ولذا صرّح يوحنا الرسول قائلاً "وسور المدينة كان له اثنا عشر أساسًا وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر" (رؤ٢١ : ١٤). وبهذا المعنى فإن كل مؤمن هو بطرس أي حجر في بناء بِيعة المسيح كما شهد بطرس الرسول نفسه قائلاً: "كونوا أنتم أيضًا مبنيين كحجارة حية بيتًا روحيًا كهنوتًا مقدسًا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع

المسيح" (١بط ٢: ٥). إلاّ أن حجر الزاوية هو المسيح كما قال بولس الرسول "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف ٢: ٢٠)[٢٢٨].

* * *

[٢٢٨] المرجع السابق .

هل الإنسان مُسَيَّر وليس مُخَيَّرًا؟[229]

ص١٦٣ ***هيبا:*** *حين لا أجد اليوم إجابة على تساؤلاتي، لا أجد بُدًّا من القول إنها كانت مشيئة الرب.. الربِّ المحتجب خلف سرادق حكمته الخفية، أو خلف عجزنا الدائم عن فهم أحوالنا، وذواتنا.*

ص١٧١ ***هيبا:*** *الإله المحتجب خلف أستار العزَّة؛ يفعل ما يريد بمن يريد!*

هل الإنسان مسيّر أم مخيّر؟ وإن كان مخيّرًا، فهل هو مخيّر في كل شيء؟

هناك أمور لا يجد الإنسان نفسه مخيّرًا فيها.

حقًا إن الإنسان لم يكن مخيّرًا من جهة الوطن الذي ولد فيه، والشعب الذي نشأ بينه، ومن جهة الوالدين اللذين ولداه، ونوع البيئة التي أحاطت بطفولته وتأثيرها عليه، وكذلك نوع التربية التي عومل بها.

ولم يكن الإنسان مخيّرًا من جهة جنسه، ذكرًا كان أو أنثى. ولم يكن مخيّرًا من جهة شكله ولونه، وطوله أو قصره، ودرجة ذكائه، وبعض المواهب التي مُنحت له أو التي حُرم منها، وما ورثه عن والديه... إلخ.

ولكن الإنسان في تصرفاته وأعماله الأدبية، هو مخيّر بلا شك. يستطيع أن يعمل هذا العمل أو لا يعمله. يستطيع أن يتكلم أو

[229] قداسة البابا شنودة الثالث، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، سنوات مع أسئلة الناس ج٢، الطبعة السابعة، القاهرة ١٩٨٢، ص ٦- ٨.

يصمت. بل أنه يستطيع -إن أراد- أن يصلح أشياء كثيرة مما ورثها، وأن يغير مما تعرض له من تأثير البيئة والتربية.

يمكنه أن يلقي الماضي كله جانباً، ويبدأ حياة جديدة مغايرة للماضي كله، يتخلص فيها من كل التأثيرات السابقة التي تعرض لها منذ ولادته ....

وكم من أناس استطاعوا في كبرهم أن يتحرروا من تأثيرات البيئة والتربية والوراثة التي أحاطت بهم في صغرهم. وذلك بدخولهم في نطاق تأثيرات أخرى جديدة، عن طريق القراءة والصداقة والعشرة، أو بتأثير مرشدين روحيين ومعلمين جدد، أو بتأثير الدين والاجتماعات، كما حدث لأشخاص نشأوا في حياة ضائعة وتابوا، أو غيرهم نشأوا في حياة روحية وضلوا.

وحتى من جهة المواهب أيضاً..

يمكن للإنسان أن ينمي المواهب التي وُلد بها، أو أن يضيعها بعدم الاستخدام. وقد يكون إنسانٌ قليل المواهب، ويستطيع أن يتعهد هذا القليل بالممارسة والاهتمام فتنمو مواهبه، أو يكتسب مواهب لم تكن عنده، ويصير في حالة أفضل ممن وُلد موهوباً وأهمل مواهبه.

وهناك أمور كثيرة تدل على أن الإنسان مخيّر لا مسيّر:

١- إن وجود الوصية الإلهية دليل على أن الإنسان مخيّر.

لأنه إن كان الإنسان مسيّراً، ولا يملك إرادته ولا حريته، فما معنى الوصية إذن؟! وما فائدة الوصية إن كان الإنسان عاجزاً عن السير

فيها، وإن كان مسيّراً على الرغم منه في اتجاه عكسي؟! وعلى رأي الشاعر الذي قال:

ألقاه في اليَمْ مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

وحتى إن كان الإنسان مسيّراً في طريق الوصية، فلا لزوم للوصية إذن، لأنه سيسير في هذا الطريق بالذات، وُجدت الوصية أو لم توجد!!

ولكن الأمر المنطقي هو أن وجود الوصية دليل قاطع على أن الإنسان مخيّر، هو في حريته يتبع وصية الله أو لا يتبعها. وهذا ما نشاهده فعلاً... بإمكان الإنسان أن يطيع وصايا الله إن أراد. أو يعصاها إن أراد. لأن الله وهبه حرية الإرادة وحرية الاختيار. وضع أمامه الخير، ولكنه لم يرغمه على السير فيه.

٢- وجود الخطية دليل على أن الإنسان مخيّر.

فلو كان الإنسان مسيّراً، فهل من المعقول أن الله يسيّره نحو الخطية؟ وبذلك يكون شريكاً معه في ارتكابها؟! حاشا. إن هذا أمر لا يقبله العقل... ولا يتفق مطلقاً مع طبيعة الله الذي هو قدوس وصالح، يكره الشر ولا يوافق عليه، ويدعو كل الناس إلى التوبة وترك الخطية.

إذن حينما توجد خطية، يكون الإنسان قد فعلها باختياره وبإرادته، أي أنه كان مخيّراً فيما يفعله .

وإن كان الإنسان مخيّراً في فعل الشر، فإنه بالأولى وبالأحرى يكون مخيّراً في فعل الخير، ومخيّراً أيضاً في أن يتجه إلى التوبة

وترك الخطية. والله يدعو الجميع إلى التوبة. ولكنه يتركهم إلى اختيارهم، يتوبون أو لا يتوبون.

٣- وجود الدينونة دليل على أن الإنسان مخيّر.

مجرد وجود العقاب والثواب دليل على أن الإنسان مخيّر فيما يفعله. لأنه من أبسط قواعد العدل، أن لا يُحكم على إنسان ما لم يكن في تصرفاته عاقلاً حرًا مريدًا. فإن ثبت انعدام الحرية والإرادة، لا يُحكم له أو عليه، إذ أن لا مسئولية حيث لا حرية.

وبناء على هذا لا يمكن أن يحكم الله على خاطئ بالعذاب الأبدي، ما لم يكن هذا الإنسان بكامل اختياره قد شاء لنفسه السلوك الردئ وارتكبه، فأخذ لنفسه جزاء إرادته وعمله. وعلى قدر ما تكون له من إرادة، هكذا تكون عقوبته.

ومحال أن يُعاقب الله إنسانًا مُسَيَّرًا، لأنه ما ذنب هذا المُسَيَّر؟ العقوبة بالأحرى تكون على من سَيَّره نحو الخطأ.

ونفس الكلام نقوله من ناحية الثواب، فالله يكافئ مَنْ فعل الخير باختياره وبإرادته ورغبته. أما إن كان مُسَيَّرًا، فإنه لا يستحق ثوابًا.

وأخيرًا، نود أن نقدم ثلاث ملاحظات:

أولاً: إن الله يحث كل إنسان على الخير، ويرشده ليبعد عن الخطأ. سواء عن طريق الضمير، أو المرشدين والآباء والمعلمين، وبكل عمل النعمة. ومع ذلك يتركه إلى اختياره يقبل أو لا يقبل.

ثانياً: إن الله يتدخل أحياناً لإيقاف شرور معينة، ويمنع من ارتكابها. وفي هذه الحالة لا يكون فضل لمن ترك هذا الشر، ولا يكون له ثواب.

هنا، من أجل الصالح، يُسيّر الله الأمور بنفسه، أو يحول الشر إلى خير. أما في باقي أمور الإنسان العادية وتصرفاته فهو مخيّر ويملك إرادته.

ثالثاً: قد يفقد الإنسان إرادته بإرادته. أي أنه ربما بإرادته يستسلم لخطية معينة، إلى أن تصير عادة أو طبعاً، يخضع لها فيما بعد ويفعل ما يريده هذا الطبع، وكأنه أمامه بغير إرادة، **ولكنها عدم إرادة، تسببت عن إرادة سابقة، فعلها الإنسان وهو مخيّر.**

* * *

وها بعض النصوص من الكتاب المقدس توضح أن الإنسان مُخَيَّر ويملك حرية إرادته، وتأكيدًا لكل ما قلناه:

- لأَنَّ هَذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ (١تي٢: ٣-٤).
- أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الحَيَاةَ وَالمَوْتَ. البَرَكَةَ وَاللعْنَةَ. فَاخْتَرِ الحَيَاةَ لِتَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ (تث ٣٠ : ١٩)

- "يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا" (مت ٢٣ : ٣٧).
- "لَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا"... "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي" (مت١٩: ١٧، ٢١).
- "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي" (مت ١٦: ٢٤).
- "هَذَا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعاً وَعَلِمَ أَنَّ لَهُ زَمَاناً كَثِيراً فَقَالَ لَهُ: أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟" (يو٥: ٦).
- "هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤ٣: ٢٠).

* * *

الباب الثالث

الفصـــل الأول

- حقيقة عزازيل
- مقال لقداسة البابا شنودة الثالث، أطال الله حياته، عن "عزازيل"

الفصـــل الثاني

- هل هو إبداع أم خداع!
- محاكاة د. زيدان، لدان براون مؤلف رواية شفرة دافنشي

الفصـــل الثالث

- سِرّ المطران

الفصـــل الرابع

- إخضاع حقائق الإيمان للعقل
- التشكيك في وجود الله
- جزء فلسفي يشجع على الإلحاد

الفصل الخامس

- النهاية الأليمة – انتصار عزازيل
- تحليل الرواية

الفصل الأول

حقيقة عزازيل

ورد في كتاب د. يوسف زيدان عن عزازيل ما يلي:

ص٣٤٩ **هيبا:** *في أصل عزازيل، آراءٌ وأقاويل.... ثم كان ذكره الأشهر، في التوراة التي كتبها الأحبار بعد عودة اليهود من السبي البابلي.* ***أما في ديانة المسيح، فالمذاهب كلها تؤكّده، ولا تقبل الشك فيه. فهو دومًا في مقام عدو الله. وعدو المسيح، ولا يُعرف مقامه من الروح القدس!..***

ص٣٥٠ **هيبا** في حوار مع عزازيل:

سألتُ عزازيل عن المعنى الواحد لأسمائه الكثيرة، فقال: النقيض.

عزازيل نقيضُ الله المألوه.. هذا ما قاله لي همسًا، بلغةٍ أخرى غير اللغة السابقة التي لم أعرفها. غير أنني فهمت عبارته، وهِمتُ في معانيها.. هو إذن نقيضُ الإله الذي عرفناه، وعَرَّفناه بالخير المحض. ولأن لكُلّ شيء نقيضًا، أفردنا للشر المحض كياناً مناقضًا لما افترضناه أولاً، وسميناه عزازيل وأسماءً كثيرةً أخرى.. قلتُ هامسًا:

- لكنك يا عزازيل، سببُ الشَّرّ في العالم.

- يا هيبا كن عاقلاً، أنا مبررُ الشرور.. هي التي تسبّبُني.

- ألم تزرع الفُرقة بين الأساقفة؟ اعترفْ!

- أنا أقترفُ ولا أعترفُ، فهذا ما يريدونه مني.

- وأنت، ألا تريد شيئاً؟

- أنا يا هيبا أنت، وأنا هُم.. تراني حاضرًا حيثما أردتَ، أو أرادوا. فأنا حاضرٌ دومًا لرفع الوزْر، ودفع الإصْر، وتبرئة كل مُدان. أنا الإرادةُ والمريدُ والمرادُ، وأنا خادمُ العِبَاد، ومُثير العُبَّاد إلى مطاردة خيوط أوهامهم.

أفردنا للشر المحض كيانًا مناقضًا لما افترضناه أولاً وسميناه عزازيل

ينكر هنا د. زيدان وجود الشيطان وينكر أيضًا وجود الله حسب فكر هيبا.

والآن نرد على ما ورد في رواية د. يوسف زيدان عن عزازيل:

من هو عزازيل؟

عزازيل كلمة عبرية עֲזָאזֵל وردت في العهد القديم في سفر اللاويين عند الحديث عن يوم الكفارة، للإشارة إلى التيس الذي يتم عزله. فيصف سفر اللاويين إنه بعد أن يفرغ الكاهن من تقديم التيس الأول أي تيس الخطية للتكفير عن الشعب، يأتي الطقس الخاص بتيس البرية. "وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلاَقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. لِيَحْمِلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ فَيُطْلِقُ التَّيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ". (لاويين ١٦: ٢١-٢٢).

وعزازيل في العهد القديم اسم يشير إلى كبش الفــداء Scapegoat كما هو مذكور في مراجع عديدة.[230] بمعنى "تيس التَرْك – الرحيل" A goat for going away في (لاويين ١٦ : ٨، ١٠، ٢٦).

"وَيُلْقِي هَارُونُ عَلَى التَّيْسَيْنِ قُرْعَتَيْنِ: قُرْعَةً لِلرَّبِّ وَقُرْعَةً لِعَزَازِيلَ... وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيّاً أَمَامَ الرَّبِّ لِيُكَفِّرَ عَنْهُ لِيُرْسِلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ.... وَالَّذِي أَطْلَقَ التَّيْسَ إِلَى عَزَازِيلَ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ إِلَى الْمَحَلَّةِ".

وفي أكثر من مرجع في البرنامج الالكتروني*BibleWorks 7* نجد أن معنى كلمة عزازيل يرتبط بذبيحة الخطية التي كانت تُقدم في يوم الكفارة العظيم، وسنورد ما ذكرته بعض هذه المراجع:

International Standard Bible Encyclopedia, 347,[231] Azazel (*BibleWorks 7)*,

في لاويين١٦: ٥ [وَمِنْ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَأْخُذُ تَيْسَيْنِ مِنَ الْمَعْزِ لِذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ..].

يمثل التيسان ذبيحة خطية واحدة. فهما يمثلان وجهين لشئ واحد. (التيس) الثاني ضروري ليوضح ما قام به الأول

[230] Robert Young, *Young's Analytical Concordance to the Bible* (Nashville: Thomas Nelson, 1982), p. 842; George V. Wigram, *The Englishman's Hebrew and Chaldee Concordance of the Old Testament* (Michigan: Zondervan, 1970), p. 915.

[231] Dr Stanley Morris. *The International Standard Bible Encyclopedia*, 1915, 1st ed., IBT, 1997 in *BibleWorks7*, programmed by Michael S. Bushell, Michael D. Tan, and Glenn L. Weaver, 2006, Bible Concordance and Morphological Analysis Program.

الذي ذُبح (ولا يستطيع أن يعلن لنا نتيجة ذبحه) ليوضح عمليًا عزل الخطية عن الخاطئ. وكون التيس يُستبعد مصحوبًا بشخص ما إلى مكان غير مأهول بالسكان، هو تأكيد على الاستحالة المطلقة لإمكانية عودته وهذا يعني أن الإثم قد غُفر ومُحيَّ بصورة مطلقة.

المعنى الحرفي لكلمة عزازيل עֲזָאזֵל :

Far removed, going far away

بمعنى: الإزالة (النقل– التخلَّص من) بعيدًا– الترحيل بعيدًا.

البعض يفسرونه على أنه شيطان البرية، ولذلك يشرحون معنى الكلمة على أنه "مَن فَصَل نفسه عن الله" أو "الذي فَصَل نفسه" أو "الذي يُضل آخرين". ولكن شيطانًا من هذا النوع من المستحيل أن يوضع في مقابل يهوه بهذه الطريقة. من المعروف أنه لم يُطلَق أبدًا على الشيطان في أي موضع في الكتاب المقدس اسم "عزازيل". ويُذكر أن نفس الفكرة أو نفس الطقس يحدث في شريعة تطهير الأبرص ولكن على الطيور (عصفورين) [انظر لاويين ١٤].

ورد في:

Easton Bible Dictionary, 374,[232]

التفسير المفضل لعزازيل مرتبط بمعنى الكلمة، وهي تعني "العزل". التيس الذي للرب ذُبح ذبيحة خطية، أما التيس الذي أُطلق إلى عزازيل في البرية فهو يرمز [للنتيجة] لنتيجة سفك دم ذبيحة الخطية، وفاعلية هذا الدم، أي أن الخطية قد عُزلت تمامًا بطريقة محسوسة. لكي يشعر بنو إسرائيل بنتيجة الفداء بطريقة عملية.

بعض اليهود يفسرونه بأنه اسم مكان على بُعد ١٢ ميل شرق أورشليم. آخرون اعتبروه روح شريرة أو حتى الشيطان.

ولكن عندما نتذكر أن التيسين معًا يشكلان نموذجًا أو مثلاً للمسيح الذي "وضع الرب عليه آثامنا"، وعندما ندرس المعنى الأصلي للكلمة وهو (العزل) separation يكون التفسير أن واحدًا من التيسين يمثل الكفارة، والآخر الذي لعزازيل، يمثل أثر عمل الكفارة العظيم، أي النزع الكامل للخطية [وعزلها ومحوها ونسيانها]. **وهذا هو الرأي المفضل بكل تأكيد**. التيس الذي قُدم للرب هو ذبيحة خطية وبه تمت الكفارة. ولكن لابد أن تُستبعد الخطية أيضًا بطريقة مرئية. ولذلك فقد وُضعت الخطية رمزيًا

---

[232] M. G. Easton, *Easton Bible Dictionary*, 3rd ed., 1897 in *BibleWorks7*.

بالإعتراف على رأس التيس الآخر (الذي لعزازيل)، الذي يُرسَل إلى البرية.

المعنى اللغوي الأصلي للكلمة يوضح وبقوة **العزل الكامـــل للخطيـــة**، ولذلك فهو ذو مغزى. فقـــد أُســـتبعدت الخطيـــة بالكامل.

كان من المهم أن تُرى فاعلية الذبائح التي يقـــدمها رئـــيس الكهنة وحده في قدس الأقداس، وأن تتجسد هـــذه الفاعليـــة بطريقة مرئية. وهكذا كان عزل تيس عزازيل؛ لا يُعـــرف عن التيس أي خبر بعد ذلك. لأن المعنى الكامل لهذا الإجراء يتحقق بإرسال التيس إلى البرية حاملاً الخطية بعيداً. فكمـــا شهد تيس الرب لِما استوجبته الخطية [الذبح]، والاحتياج لدم الكفارة، هكذا أيضاً التيس الذي لعزازيل كان يشـــهد علـــى فاعلية الذبيحة ونتيجة سفك الدم في إبعاد الخطية.

وقد ورد أيضًا في:

Strong´s Concordance[233] (*BibleWorks 7*)

5799 עֲזָאזֵל Scapegoat;

عزازيل، كبش الفداء وتعني العزل الكامل، وتشـــير إلـــى التيس الذي أُستخدم كذبيحة لخطايا الشعب.

---

[233] *Strong's Concordance* in *BibleWorks7*, programmed by Michael S. Bushell, Michael D. Tan, and Glenn L. Weaver, 2006, Bible Concordance and Morphological Analysis Program.

وفي:

The New Strong´s Complete Dictionary of BibleWords[234]

5799 עֲזָאזֵל from 5795, 235;

5795 עז ez, aze: بمعنى تيس

235 אזל azal: الجذر الأوَّلي بمعنى يذهب بعيدًا ومن ثَم يختفي

فيكون עֲזָאזֵל بمعنى تيس الرحيل أو كبش الفداء

وفي فترة التلمود كان التفسير الرابِّيني الشهير أن عزازيل يشير إلى المكان الذي يُرسَل إليه التيس[٢٣٥].

وقد أصبحت فكرة كبش الفداء scapegoat ذات مغزى في التاريخ الوسيط والحديث لما يُعرف بـ "معاداة السامية Anti-Semitism عندما كان اليهود يُلامون بسبب الأوبئة أو الأزمات الإقتصادية أو غيرها من الكوارث، فكان يُقال إنهم كانوا "كبشًا للفداء scapegoated"[٢٣٦]!

<u>أما اعتبار "عزازيل" بأنه الشيطان – كما توهم د. يوسف زيدان واتخذ من عزازيل عنوانًا لروايته، مُدعياً أنه الشيطان نفسه!</u> زاعماً إنه، على حد قوله، يوسوس للناس كما يتوهم المتدينون أنه يوجد

---

[234] James Strong, *The New Strong´s Complete Dictionary of Bible Words* (Nashville: Thomas Nelson, 1996), pp. 301,471.

[235] Harris R. Laird, ed., *Theological Wordbook of the Old Testament*, vol. 2 (Chicago: Moody Press, 1980), p. 568.

[236] Sara E. Karesh and Mitchell M. Hurvitz, *Encyclopedia of Judaism* (New York: Facts on File, 2006), p. 39.

شيطان وهو نابع من داخلهم- فلم يأتِ إلا في ما يُعرف بـ "الأسفار الخارجة" عند اليهود. وهي عبارة عن عدة أعمال غير قانونية ترجع لفترة الهيكل الثاني، ونخص بالذكر "سفر أخنوخ"، وهو عبارة عن كتاب يقدم مجموعة كبيرة من عدة أفكار دينية غير منسجمة مع بعضها البعض[٢٣٧]. يُعرف نصه الكامل بالأثيوبية فقط[٢٣٨]، ويحوي "نصوصًا أسطورية تتضمن رموزًا وصورًا خيالية وقصصًا مستقبلية خاصة بفناء هذا العالم"[٢٣٩]، ويقدم وصفًا أسطوريًا خياليًا ومُضحكًا لعزازيل وهو "يُعلِّم الرجال أن يصنعوا سيوفًا وسكاكين وتروسًا ودروعًا، وعَرَّفَهم بمعادن الأرض وفن تشكيلها" (أخنوخ ٨: ١)[٢٤٠]. كما أنه "قد قام بتعليم الأشرار الأسرار الإلهية المحفوظة في السماوات" (أخنوخ ٩: ١)[٢٤١].

ويستكمل الكتاب إنه بناء على ذلك ذهب أخنوخ وقال: "عزازيل! لن يكون لك سلام في ما بعد، وسوف تلاقي عقوبة شديدة فصاعدًا!" (أخنوخ ١٣: ١)[٢٤٢].

وفي رواية عزازيل، نجد أن د. يوسف زيدان يقدم وصفًا مماثلاً لعزازيل في العبارات التالية:

---

[237] W.J. Ferrar, *The Uncanonical Jewish Books* (London and New York, 1918), p. 68.

[238] Robert Helm, 'Azazel in Early Jewish Tradition,' *Andrews University Seminary Studies* 32.2 (1994): 218.

[٢٣٩] راجع: حسن ظاظا، *الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه*، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١، صـ ٧٦.

[240] R.H. Charles, ed., *Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*, vol.2 (n.p.: Oxford, 1913), p. 192.

[241] Charles, *Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*, vol.2, p. 193.

[242] Charles, *Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*, vol.2, p. 196.

ص٢٨ **هيبا:** *غير أن آدم انخدع بوسوسة إبليس، فعصى الرب القدوس، وأكل من الشجرة المنهى عنها، على أمل أن يصير إلهاً.* خدعه عزازيل *اللعين بوسوسته، فأخطأ آدم، وعوقب بالطرد من الجنة، بحكم قُدُّوسية الرب الإله.*

ص٥٠ **هيبا:** *أظن أن خوفي من الانتهاء، وليس إلحاح عزازيل هو دافعي للكتابة.*

ص٥١ – *عزازيل!* – *نعم يا هيبا، عزازيل الذي يأتيك منك وفيك*

ص١٦٣– *عزازيل، ألا تنام؟* – *كيف أنام وأنت مستيقظ!*

ص ٢٢٠ *... ومع ذلك خانته* (أي حواء) *مع عزازيل اللعين، وتحالفا ضده* (أي ضد آدم).

ص٣٤٤ – *أنا لست حولك يا هيبا، أنا فيك.*

ص٣٤٨ – *يا هيبا، الإنسان في كل عصر يخلق إلهاً له على هواه، فإلهه دوماً رؤاه وأحلامه المستحيلة، ومناه.*

– *كُف عن هذا الكلام، فأنت تعرف مكانك من الله، فلا تذكره*

– *أنا مذكور يا هيبا، ما دام هو مذكور!*

ص٣٤٩ **هيبا:** *أما في ديانة المسيح، فالمذاهب كلها تؤكده* (أي تؤكد عزازيل)، *ولا تقبل الشك فيه. فهو دوماً في مقام عدو الله، وعدو المسيح، ولا يُعرف مقامه من الروح القدس!.. روى عنه القدماء، أنه خلق الطاووس، فقد ورد في نقش قديم، أنهم عَيَّروا عزازيل بأنه لا يفعل إلا القبائح، ولا يدعو إلا إليها، فأراد أن يثبت لهم قدرته على فعل الجمال، فخلق هذا الطائر. قلتُ ذلك يوما لعزازيل، فابتسم وهَزَّ كتفه اليمنى متعجباً.*

ص٣٤٩ **هيبا:** سمعتُ صوت عصافير تملأ الأفق، وكان باب الصومعة *مفتوحاً، وعزازيل يجلس صامتاً عند الباب. أحببتُ أن أسمع منه صوتي،*

فسألته أيٌّ أسمائه أحبُّ إليه؟ فقال: كلها عندي سواء، إبليس، الشيطان، أهريمان، عزازيل، بعلزبوب، بعلزبول.."

ومن كل ما سبق نرى بكل وضوح أن رواية د. يوسف زيدان تعتبر اسم "عزازيل" هو اسم إبليس أي الشيطان.

لذلك ينبغي علينا التأكيد أن الادعاء بأن عزازيل هو نفسه الشيطان هو أمر مرفوض وغير معقول، حتى من وجهة النظر اليهودية؛ فيقول العالم اليهودي رونالد أيزنبرج Ronald Eisenberg في كتابه الموسوعي "التقاليد اليهودية" The Jewish Traditions:

> إنه من الواضح أن التقليد الإسرائيلي لم يعتبر هذا الطقس (الوارد في سفر اللاويين) ذبيحة للشيطان، ليس فقط لأن تيس عزازيل لم يكن يُذبَح[٢٤٣]–على الأقل طبقاً للتوراة– ولكن لأن الأصحاح التالي في سفر اللاويين (١٧: ٧) خصوصاً، يمنع تقدمة الذبائح لشياطين[٢٤٤]. [وَلاَ يَذْبَحُوا بَعْدُ ذَبَائِحَهُمْ لِلتُّيُوسِ الَّتِي هُمْ يَزْنُونَ وَرَاءَهَا. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً تَكُونُ هذِهِ لَهُمْ فِي أَجْيَالِهِمْ].

والعجيب أن القديس كيرلس قد أفرز رسالة كاملة (٤١) هي "الرسالة إلى أكاكيوس"[٢٤٥] عن التيس المُرسَل إلى البرية، يشرح فيها أمر عزازيل. وكأنه كان يتنبأ أن عزازيل سوف يثير كل هذه

---

[243] *Encyclopedia Judaica*, 2nd ed. s.v. "Azazel" p. 763.

[244] Ronald L. Eisenberg, *JPS Guide to Jewish Traditions* (Philadelphia: Jewish Publication Society, n.d.), p. 224.

[٢٤٥] أكاكيوس، أسقف ميليتيني في كبادوكيا، توفي سنة ٤٣٨م.

الأقاويل؛ يومًا ما بقلم الدكتور مصطفى محمود في مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٢| ٣| ١٩٩٧م، ومن بعده بقلم الدكتور يوسف زيدان في هذه الرواية.

فقال القديس كيرلس السكندري في هذه الرسالة، مُفنِّداً مزاعم من يتوهَّم أن عزازيل هو الشيطان:

٤- أما أولئك الذين ليس لهم ذهنٌ مرتبٌ حسنٌ، ولكنهم كما لو كانوا يعرجون ويلعبون مثل الأطفال، فالأمور المختارة للتفكير تكون عندهم موضع ازدراء وأحيانًا موضع اتهام. وأقول هذه الأمور بخصوص كتابات تقواكم التي قوبلت بالتساؤلات. لأنه ربما بعض أولئك قد فكروا أن الأول من التيسين مخصص لله -الذي هو فوق الكل- كتكريس وذبيحة، بينما الآخر مُرسَل إلى البرية وإلى شيطان شرير ونجس، وذلك بيد كاهن وبواسطة وحي شرعي. لذلك، فمن هذه النقطة، فإن الأمر يعتبر غباءً ومثيراً للضحك. ويمكن أن نقول لأولئك الذين قبلوا الأمر على أنه هكذا، وكيف أنه لم يكن ضروريًا أن نتأمل فيه أكثر من ذلك، لأنه كيف يكون الذي هو خالق كل الأشياء، والذي يعلو على كل فكر وكلام، والذي هو وحده إله ورب بالطبيعة، يقبل المتمرد، أي الشيطان، كما لو كان شريكًا في سلطانه ومجده؟! ونحن قد سمعناه يقول بوضوح بواسطة أحد الأنبياء القديسين: "مجدي لا أعطيه لآخر" (أش ٤٢: ٨). ولكن إن كان الناموس

قد أوصى بواسطة موسى الكلي الحكمة، أن كل من يريد أن يقدم ذبيحة، فمن الضروري أن يقدم الذبيحة له* وله وحده. فإن كان هو الذي أعلن الناموس قد أخبر أنه من الضروري أن المجد اللائق به، وبه وحده، يُعطَى للأرواح النجسة، فكيف لا يكون مناقضًا لكلماته نفسها، لأن ما أوصاهم أن لا يفعلوه، قد أمر أنه ينبغي أن يُفعل"[٢٤٦].

١٤- والكتب تقول ما يلى: "ويقدم التيس الحي ويضع هارون يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب بني إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس الحي ويرسله بيد إنسان مستعد إلى البرية" (لا ١٦: ٢٠-٢٢سبعينية). لذلك لاحظوا كيف يدعو التيس الثاني بالتيس الحي، في حين أن التيس الأول هو الذي ذبُح. فكما قلت إن الابن الواحد والوحيد الرب يسوع المسيح يشار إليه في الاثنين معاً كمتألم في جسده الخاص وخارج الألم، كما في الموت وكما فوق الموت. لأن كلمة الله كان حيًا رغم أن جسده المقدس ذاق الموت، وكلمة الله ظل غير متألم، رغم أنه جعل آلام جسده خاصة به ونسبها إلى نفسه[٢٤٧].

---

* أي "لله"

[٢٤٦] كيرلس السكندري، *رسائل القديس كيرلس*، ج٣، ترجمها عن اليونانية د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد، مؤسسة القديس أنطونيوس: مركز دراسات الآباء ١٩٩٥، صـ ٦٢،٦١.

[٢٤٧] المرجع السابق، صـــ ٦٨، ٦٩.

١٥- ولعل المرء يرى أن هذا سر عميق وعظيم وهو مدوَّن لنا بطريقة أخرى في سفر اللاويين. لأن الناموس يعلن بواسطة موسى أن الأبرص قد صار دنساً، وقد أُمِرَ أن يُرسل بعيدًا عن المحلة كنجس. لكن لو حدث أن مرضه قد بُرئ تماماً، فعندئذ يُؤمَر بأن يُقبل. وأضاف قائلاً:

"هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره. يُؤتى به إلى الكاهن ويخرج الكاهن إلى خارج المحلة فإن رأى الكاهن وإذا ضربه البرص قد بُرئت من الأبرص، يأمر الكاهن أن يُؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران.. ويأمر الكاهن أن يُذبح العصفور الواحد في إناء خزف على ماء حي. أما العصفور الحي فيغمسه في دم العصفور المذبوح على الماء الحي. وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء" (لا ١٤: ٢-٧). لذلك يوجد عصفوران نقيان. أي طاهران وبلا عيب، بحسب الشريعة. واحد يذبح على ماء حي، أما الآخر فيظل غير مذبوح ويُغطّس في دم العصفور المذبوح وفي ماء حي، ويرسل بنفس الطريقة التي أُرسل بها التيس إلى البرية[٢٤٨].

١٧- لذلك كما أن سر المسيح يشار إليه بحكمة في التيسين، هكذا يشار إليه أيضًا في العصفورين[٢٤٩].

---

[٢٤٨] المرجع السابق، صـ ٦٩، ٧٠.

[٢٤٩] المرجع السابق، صـ٧٢.

٢١- لذلك كان من الملائم أن الناموس المعطى بواسطة موسى -وهو يقصد أن يرسم بوضوح سر المسيح- ما كان ينبغي أن يقدم سر المسيح بواسطة واحد من التيسين أو واحد من العصفورين، يموت ويحيا في نفس الوقت، لكي لا يبدو هذا العمل المعجزي كأنه استعراض مسرحي. ولكنه يشير بواحد منهما إلى معاناة ذبحه، ويقدمه في الآخر حيًا وقد أطلق حرًا"[٢٥٠].

٢٥- لذلك قد كتبت هذه الأمور التي عرفتها، ويبقى دور وقاركم أن تجروا فحصًا دقيقًا على ما قد كتبته، حتى إذا ما اكتشفتَ أن هناك حاجة إلى تحسين ما، فهذا يمكن أن ينفعنا نحن والشعب عندنا هنا. لأن المسيح هو الذي يكشف أموراً عميقة وخفية، ويغرس الفهم في قلوبنا، لأن فيه وعنده "مذخر كل كنوز الحكمة والعلم" (كو٢:٣)"[٢٥١].

وهكذا نخلص إلى أن التيس الذي لعزازيل كان يرمز إلى أحد وجهي ذبيحة السيد المسيح الكفارية عن خلاص البشر. فالتيسان اللذان يُقدمان ذبيحة خطية في يوم الكفارة العظيم: التيس الذي يُذبح هو رمز لسفك دم السيد المسيح تكفيرًا عن خطايانا، والتيس الذي يُطلق حيًا لعزازيل أي للعزل، يرمز إلى السيد المسيح أيضًا في قيامته من الموت حيًا مما يبررنا نحن كنتيجة

---

[٢٥٠] المرجع السابق، صـ ٧٤.
[٢٥١] المرجع السابق، صـ ٧٦.

لإبعاد خطايانا وعزلها عنا، وكأنها صارت لا صلة لنا بها نهائيًا "كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا" (مز١٠٣: ١٢). وهكذا يتحقق خلاص الله لنا نحن البشر الرازحين تحت ثقل خطايانا، إذ أنه "لَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أع٤ : ١٢) ذاك "الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رو٤ : ٢٥).

ومن ذلك يتضح أيضًا أن كل ما جاء في العهد القديم وبالأخص في التوراة، يشير ويرمز للمسيا المُخَلِّص؛ كما قال هو بفمه الطاهر: "لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ **مُوسَى** لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي **لأَنَّهُ هُوَ كَتَبَ عَنِّي**" (يو٥: ٤٦).

مقال لقداسة البابا شنودة الثالث، أطال الله حياته، عن "عزازيل"

وهو يؤكد كل ما ذكرناه. وقد نشرته جريدة وطني بتاريخ ٦ أبريل سنة ١٩٩٧. السنة ٣٩، العدد ١٨٤١، ص٢:

وصل إلينا كثير من الأسئلة بخصوص "عَزَازِيلَ" ملخصها:

من هو عَزَازِيلَ الذي كُتب عنه في سفر اللاويين أصحاح ١٦؟ هل هو الشيطان؟ وهل كانت تُقدم له ذبائح؟ وهل يعني هذا أن عَزَازِيلَ كان يُعبد بتقدمة الذبائح له؟ وبهذا تكون عبادة الشيطان ذات أصل يهودي؟ وللإجابة عن كل هذه الأسئلة نقول:

ليس اسم عَزَازِيلَ من أسماء الشيطان، ولم يرد هذا الاسم ضمن أسماء الشيطان الكثيرة التي وردت في الكتاب المقدس. ومنها الشيطان، وابليس، والتنين، والحية القديمة. كما كُتب في سفر الرؤيا (٢٠: ٢،١). وكلمة شيطان باليونانية ساطاناس، ومعناها المقاوم. ووردت بالقبطية هكذا أيضًا. كما سمى أيضًا سطانائيل، أي المقاوم لله. وبالإنجليزية Devil وهي كلمة مأخوذة من (ديافولس) اليونانية. وورد للشيطان اسم آخر هو بعلزبول. وقال اليهود أيام المسيح إن بعلزبول هو رئيس الشياطين (مت١٢:٢٤) و(لو١١:١٥).

وسفر حزقيال وصف الشيطان بأنه "الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظَلِّلُ" (حز ١٤:٢٨) أي أنه من طغمة الكاروبيم.

ولم يُذكر إطلاقًا في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد أن كلمة "عَزَازِيلَ" هي اسم من أسماء الشيطان!

ولم ترد كلمة "عَزَازِيلَ" إلاّ في سفر اللاويين أصحاح ١٦، ولم يُذكر في تلك المناسبة أنه الشيطان. إنما ذُكر أن إحدى التقدمتين كانت لِعَزَازِيلَ، وذلك في يوم الكفارة العظيم.

ومن غير المعقول منطقيًا ولاهوتيًا أن تكون التقدمة لِعَزَازِيلَ بمعنى أنها للشيطان، بينما الله الذي أمر بها موسى النبي (لا ١٦: ٢،١، ٩، ١٠).[وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى ... كَلِّمْ هَارُونَ أَخَاكَ أَنْ.... يُقَرِّبُ هَارُونُ التَّيْسَ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِلرَّبِّ وَيَعْمَلُهُ

ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ. وَأَمَّا التَّيْسُ الَّذِي خَرَجَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ لِعَزَازِيلَ فَيُوقَفُ حَيّا أَمَامَ الرَّبِّ لِيُكَفِّرَ عَنْهُ لِيُرْسِلَهُ إِلَى عَزَازِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ.]

إن تلك التقدمة لم تكن إحدي سقطات بني اسرائيل الكثيرة، وإنما كانت بأمر من الله. فهل يُعقل أن يأمر الله بتقديم تقدمة للشيطان؟! ويكون ذلك في عيد عظيم هو يوم الكفارة؟!

فاسم عَزَازِيلَ ليس اسمًا لشخص ولا لشيطان، وإنما هو اسم معنى. كلمة عَزَازِيلَ معناها العزل. فماذا تعني في سفر اللاويين؟ ولأي شئ ترمز في عمل المسيح الكفاري؟ العمل الكفاري للسيد المسيح له تفاصيل عديدة جدًا. وكل ذبيحة أو تقدمة تمثل جانبًا معينًا من هذه التفاصيل.

والمعنى الذي يقدمه يوم الكفارة العظيم هو أن السيد المسيح قد حمل خطايانا، ومات عنا، وأبعد عنا هذه الخطايا. عزلها عنا تمامًا.. فما عدنا نسمع عنها أو نتذكرها، ولا يذكرها الله لنا.

فما هي الطقوس التي كانت ترمز إلى هذه الأمور في يوم الكفارة؟

كان يؤتي باثنين من ذكور الماعز (تيسين). وتلقى عليهما قرعة: احدهما لِلرَّبِّ، والثاني لِعَزَازِيلَ، (لا ١٦:٨). الأول يكون ذبيحة خطية، أي يذبح ويسفك دمه كفارة عن الخطية. وهكذا يموت. لأن الكتاب يقول: "إِنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رو ٦:٢٣).

أما الثاني فيمثل عزل الخطية عن الإنسان لذلك سمى عَزَازِيلَ. وقيل "يرسله إلى عَزَازِيلَ إلى البرية" أي يرسله إلى العزل حاملاً الخطية.

وهكذا "وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلاَقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. لِيَحْمِلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ فَيُطْلِقُ التَّيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ." (لا١٦: ٢١،٢٢).

وهذا ما عناه بقوله "يرسله إلى عَزَازِيلَ إلى البرية". وليس معنى هذا أنه يرسله إلى شخص اسمه عَزَازِيلَ، أو شيطان اسمه عَزَازِيلَ. وإنما يرسله إلى العزل، إلى العزل عن مساكن الناس، إلى البرية، إلى "أرض مقفرة" حيث ينتهي أمره.

ولعل هذا المعنى، ما قاله المزمور عن مغفرة الرب لنا: "كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا". (مز١٠٣:١٢).

هذا البعد الذي تمثله (البرية) وتمثله (الأرض المقفرة).

يحمل هذه الخطايا فوق رأسه، ويبعد بها بعيدًا. يعزلها عنا عزلاً كاملاً. لذلك سمى عَزَازِيلَ، من جهة المهمة التي تُنسب إليه.

لم تُذكر كلمة "عَزَازِيلَ" في الكتاب المقدس إلا في هذه المناسبة وحدها، وهي حمل خطايا الناس وعزلها عنهم في البرية في أرض مقفرة، ولعل هذا ما يقصده الرب في كلامه عن مغفرة خطايا التائب بقوله:

"كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لاَ تُذْكَرُ عَلَيْهِ" (حز ١٨:٢٢). "أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ" (أر ٣١:٣٤).

هذه الخطايا التي عزلت عنا، لم يعد الرب يذكرها لنا، لأنها قد غفرت. لقد بعدت عنا بعيدًا، كبعد المشرق عن المغرب. صورتها أمامنا: ذلك الحيوان الذي حملها عنا إلى أرض مقفرة. وما عدنا نسمع عنه ولا عنها. هذه الخطايا التي عُزلت عنا، ما عادت تُحسَب في حساب خطايانا.

وهكذا قيل عنها في المزمور "طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ، طُوبَى لِرَجُلٍ لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً" (مز٣٢: ١،٢). وقد اقتبس بولس الرسول هذه العبارة من المزمور في (رو٤: ٧،٨)، وقال عن عمل الفداء الذي قام به السيد المسيح له المجد "إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (٢كو ٥:١٩).

ولماذا لا يحاسبهم على خطاياهم؟ ذلك لأنها قد عزلت عنهم، ما عادت تظهر. اختفت مثل تيس عَزَازِيلَ في البرية في أرض مقفرة. إذن ملخص الذي حدث يوم الكفارة هو الآتي:

١- الخلاص يحتاج إلى الدم، لذلك سُفك دم ذبيحة الخطية، فأخذ العدل الإلهي حقه. ولذلك قيل "قُرْعَةً لِلرَّبّ" (لا ١٦:٨).

٢- خطايا الناس وُضعت على رأس التيس الآخر، إذ أقر بها هارون رئيس الكهنة، وهو واضع يديه على التيس الحي، إشارة إلى حمله لجميع خطايا الناس وذنوبهم.

٣- كل هذه الخطايا عُزلت عنهم، وبعدت عنهم بعيدًا، وما عادت تُحسب عليهم. وهذا العزل أُطلق عليه كلمة "عَزَازِيلَ" العبرية ومعناها العزل.



الفصل الثاني

هل هو إبداع أم خداع!

الخداع من البداية

يذكر د. زيدان على لسان **المترجم:**

ص١١ ... *مع أنني تأكَّدتُ بعد بحوث مطوَّلة من صحة كُل الشخصيات الكنسية، ودقة كل الوقائع التاريخية التي أوردها في مخطوطته البديعة هذه.*

وإمعانًا في التضليل يقول على لسان **المترجم:**

ص١٢ *ثم ألحقتُ بالرواية بعض الصور المرتبطة بأحداثها*

بدأ د. يوسف زيدان روايته بخدعة أطلقوا عليها حيلة فنية وإبـــداع. كان من الممكن اعتبار الأمر كذلك لو كانت مجرد رواية أدبية لـــم تتعرض لكنيسة مجيدة ولدين سماوي شـــوَّه د. يوســـف صـــورته وجرَّده من كل ما هو إلهي، وزيَّف حقائق تاريخية راســـخة علـــى مدى ستة عشر قرناً من الزمان. وقد تجاهل تمامًا مشاعر الأقبـــاط المسيحيين الذين نشأ وعاش بينهم كمواطنين وأخوة، أبنـــاء وطـــن واحد تربطهم روابط متينة لا تقوى عزازيله على زعزعتها.

حاول إيهام القارئ بأن كل ما ذكره في الرواية هو صدق، وقد نجح في ذلك إلى حد أنه أربك قرّاءه، فاعتقد الكثيرون منهم أن كل ما جاء في الرواية قد حدث بالفعل، وهنا تكمن الخطورة.

والأمر المؤسف جدًا أن يقوم رئيس قسم المخطوطات بمكتبة الإسكندرية ذات التاريخ العريق في كل العالم، بتزييف مخطوطة نسخها من خياله المملوء بالعداء ضد كل ما هو ديني، وبالتحديد الديانة المسيحية وبالتخصيص كنيسة مصر في عاصمتها التاريخية الإسكندرية.

محاكاته لدان براون مؤلف رواية شفرة دافنشي

- استوحى "د. زيدان" فكرة روايته من رواية شفرة دافنشي؛ فنهج نفس نهج مؤلِّفها "دان براون" وخلط الحقيقة بالخيال حتى إنك لو لم تكن لك دراية بالتاريخ لصدّقت تمامًا كل ما جاء فيها. ذلك لأنه بدأ مثل "دان براون" روايته مباشرة بما أسماه "مقدمة المترجم" فقال:

يضم هذا الكتاب الذي أوصيتُ أن يُنشر بعد وفاتي، ترجمة أمينة قدر المستطاع لمجموعة اللفائف (الرقوق) التي اكتُشفت قبل عشر سنوات بالخرائب الأثرية الحافلة، الواقعة إلى جهة الشمال الغربي من مدينة حلب السورية.

وبذلك أوهم القارئ بأن الرواية التي بين يديه هي فعلاً مجرد ترجمة لبعض الرقوق المخطوطة. هذا هو ما أقرّه أولئك الأدباء

الذين امتدحوا الرواية بل وغالبية القرّاء. وكان من المفروض احترامًا لعقلية قرّائه أن يوضّح من البداية أنها رواية خيالية وليست مجرد ترجمة لمخطوطة. وذهب في خداعه لأبعد من هذا فجعل كل أبطال روايته شخصيات تاريخية حقيقية ماعدا شخصية واحدة وهو بطلها الأول. قال إنه لم يجد لها سجلاً في تاريخ الكنيسة، ولم يؤكّد عدم وجوده. ثم عاد بالتاريخ إلى الوراء ستة عشر قرنًا وراح يعيد صياغته مرة أخرى كما أوحت له نفسه التي – كما يتضح من الرواية – ليست في صلح مع الله.

- بل ومثل ما فعل دان براون أيضًا استشهد **بصور حقيقية** مثلاً: *لبقايا منزل هيبا في بلاده الأولى*، وصورة لشخص قال إنها *قد تكون صورة السيد الصقلي*، وصورة أخرى زعم إنها *ما بقي من أرضية منزل التاجر الصقلي!* وهو في ذلك يستخف بعقلية قرّائه بصورة تدعو إلى الخجل. وزاد على ذلك إنه وضع أيضًا صورة *لبقايا المسرح، حيث استمع فيه هيبا لهيباتيا*. ثم إمعانًا منه في خداع القارئ، وضع صورة كتب تحتها *الخرائب الأثرية الواقعة شمال غرب حلب (حيث وُجدت الرقوق)* أي المكان الذي وُجدت فيه المخطوطة المزعومة. ووضع أيضًا صورة *للدير السماوي* المذكور في الرواية، وصورة أخرى *لأطلال الدير كما تبدو اليوم*.

وسنورد هنا عزيزي القارئ بعض أرقام الصفحات وأسماء الأماكن التي استخدمها دان براون ووضع فيها صورًا لتضليل

القرّاء واقناعهم بأن ما جاء في روايته هو محض الحقيقة، لتدرك إلى أي مدى نَهَج "زيدان" نَهْج "دان"! فهل اسمه مجرد صدفة "زَي دان"، يا للعجب فابهتي أيتها السموات واقشعرّي أيتها الأرض!

في الطبعة الخاصة المصورة التي أصدرها دان براون:

Brown, D. *The Da Vinci Code: Special Illustrated Edition*. NewYork: Broadway Books, 2004.

على ص٢١ في هذه الطبعة: يذكر هرم متحف اللوفر الزجاجي ويضع صورة لذلك الهرم الموجود فعلاً، لكي يوهم القارئ أن كل ما سوف يقوله عن هذا الهرم هو حقائق.

على الصفحات ٤٣١ ،٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٩ من نفس الطبعة، وضع دان براون صورًا فوتوغرافية لـ Rosslyn Chapel في سكوتلاندا، وهو مكان هام بالنسبة لأحداث الرواية.

على ص٤٣٤ من نفس الطبعة: يقول براون إن هناك نجمة داود ✡ ضخمة محفورة في أرضية الكنيسة، وهذا غير صحيح. وهو يحاول باستخدام عدة صور أن يقنع القارئ بأكذوبته، ولكن لا توجد صورة للنجمة نفسها لأنه لا توجد نجمة في الحقيقة.

مرة أخرى على الصفحات ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٥: يقدم صورًا للهرم الزجاجي المقلوب والموجود فعلاً في متحف اللوفر بفرنسا. مدَّعيًا أن مريم المجدلية مدفونة في هذا المكان. وهكذا هو يخلط الحقيقة بالخيال؛ الهرم موجود فعلاً لكن مريم المجدلية ليست مدفونة هناك كما ادَّعى.

وأيضًا على ص٥٣ صورة Sketch of Leonardo Da Vinci
سكيتش لليوناردو دافنشي

ص٢٢٧ صورة Chateau Villette قصر فيليت

ص٣٤٨ صورة The Temple Church كنيسة المعبد

ص٣٩٦ صورة Westminister Abbey كاتدرائية ويستمينيستر

وهذه كلها أمور حقيقية وموجودة بالفعل وتدور حولها أحداث الرواية. يخلط براون بين ما هو حقيقي وما هو خيالي ويقنع القارئ بصدق ما يقوله بواسطة هذه الصور، وهذا ما فعله د. زيدان أيضًا.

- **من أوجه التشابه أيضًا بين شفرة دافنشي وعزازيل، <u>تمجيد الزنى</u>:** يحكي دان براون عن زنى أمين متحف اللوفر في فرنسا "جاك سونيير" –وهو جدّ "صوفي" بطلة الرواية– مع إمرأة عارية ليست زوجته فوق المذبح في معبد أسفل منزله في باريس، وفوجئت "صوفي" بجدّها مع جماعة من العابدين لفينوس آلهة الجمال (عند الإغريق والرومان، وهي أيضًا الإلهة إفروديت)، وهم يقيمون شعائر دينية تمجد الزنى فوق المذبح، لأن الاتحاد بالألوهة في نظر "دان براون" هو عن طريق الاتحاد بالمرأة في علاقة الزنى.

ويذكر د. زيدان على لسان الراهب المزعوم عن أوكتافيا التي أخطأ معها:

ص ١٢٧ **هيبا:** *"فغمرني ضياؤها أول مــرة"*. بالإضافة لتكريس عددًا كبيرًا من صفحات روايته لوصف الزنا والعلاقات الخاطئــة، مــن ص ٧٤ إلى ١٢٥، ومن ص ٢٨٢ إلى ص ٣٢٥.

- وهناك تشابه آخر هو **تأليه المرأة**، ففي دافنشي كود مجَّد براون الإلهة فينوس، وفي عزازيل يمجد د. زيدان هيباتيا. ونورد هنــا اقتباسًا من رواية دافنشي كود، باللغة الانجليزية التي كُتب بهــا والترجمة العربية له، ثم نورد أيضًا مقولة من عزازيل؛ ليتضــح لك عزيزي القارئ إلى أي مدى التشابه بين دان وزيدان:

Page 334-335[252]:

> The ability of a woman to produce life from her womb made her sacred. A god.

Pages 39-40:

> The pentacle…is a pre-Christian symbol that…is representative of the *female* half of all things – a concept religious historians call the 'sacred feminine' or the 'divine goddess.'…"In its most specific interpretation, the pentacle symbolizes Venus – the goddess…

Page 103:

> "…the five-pointed star has always been the symbol for beauty and perfection associated with the goddess and the sacred feminine."

---

[252] Brown, D. *The Da Vinci Code* (New York: Doubleday, 2003).

الترجمة العربية:

ص٣٤٤، ٣٤٥ :

قدرة المرأة أن تصنع الحياة من رحمها جعلتها مقدسة. إلهة.

ص٣٩، ٤٠ :

النجمة الخماسية... هي رمز ما قبل مسيحي a pre-Christian symbol وهي... تمثل النصف الأنثوي لكل الأشياء؛ وهو مفهوم يدعوه المؤرخون الدينيون "الأنوثة المقدسة" أو "الإلهة (الأنثى) السماوية"... في تفسيرها الأكثر خصوصية، ترمز النجمة الخماسية إلى الإلهة فينوس...

ص١٠٣ :

النجمة الخماسية هي دائمًا رمز للجمال والكمال المرتبطين بالإلهة والأنوثة المقدسة.

أما في عزازيل فيمجد د. زيدان هيباتيا ويتضح ذلك من وصفه لها:

ص١٣٦ **هيبا:** *هيباتيا.. وكأنها كائنٌ سماويٌ هبط إلى الأرض من الخيال الإلهي، ليبشّر الناس بخبرٍ ربانيّ رحيم. كانت لهيباتيا تلك الهيئة التي تخيَّلتُها دومًا ليسوع المسيح، جامعةً بين الرقَّة والجلال.. في عينيها زرقةٌ خفيفة ورُماديةٌ، وفيها شفافية. في جبهتها اتساعٌ ونورٌ سماويٌّ، وفي ثوبها الهفهاف ووقفتها، وقارٌ يماثل ما يحفُّ بالآلهة من بهاء. من أي عنصر نوراني خُلقت هذه المرأة؟.. كانت تختلف عن بقية الناس! فإن كان الإله خنوم هو الذي ينحت أجسام الناس، فمن أي صلصال طاهر نحتها، وبأي عطرٍ سماويٍّ سَبَكَها؟.. يا إلهي، إنني أُجدِّف.*

- وجه شبه آخر هو: **الهجوم على مجمع نيقية.**

- وكل من براون ود. زيدان **زعم أن الإمبراطور قسطنطين قد حرق الأناجيل. ولم يستبق سوى الأناجيل الأربعة الموجودة حاليًا التي تُثبت ألوهية السيد المسيح.**
- وأيضًا **التشابه في الهجوم على الكنيسة**:

هاجم دان براون الكنيسة الكاثوليكية التي نشأ في رحابها بينما هاجم د. زيدان كنيسة الإسكندرية التي نشأ في جوارها.

ولقد كتب الدكتور صلاح فضل مقالاً في جريدة الأهرام في عددها الصادر الاثنين ١٣ أبريل ٢٠٠٩م، السنة ١٣٣، العدد ٤٤٦٨٨، على الصفحة ١٢، يمتدح فيه رواية عزازيل. فقال من ضمن ما قاله:

> .... وكم كنت أعجب عندما أرى هذه الحيلة قد انطلت على بعض قراء "عزازيل" فظنوا أن هناك راهبًا حقيقيًا اسمه "هيبا" وأن هذه الرقائق من المخطوطات التي يقوم عليها يوسف زيدان في مكتبة الإسكندرية، وساورهم الشك في مدى صحتها ودرجة مصداقيتها، وهذه شهادة بنجاح الكاتب في حيلته وإن ترتب عليها افتراض شروط حقيقية لا مجال لتوقعها من رواية متخيلة، مما ساعد على الالتباس في قراءة الرواية ومحاسبتها بمنطق التاريخ الموثق والأقوال المسندة، وقد شارك المؤلف في الإيحاء بهذا الوهم.

وهو هنا يكرر ما قلناه نحن عن خداع د. زيدان للقارئ بإيهامه أن هناك رقوق مخطوطة بالفعل. ويستدل على نجاح الكاتب، بانطلاء الحيلة على القراء. وهو بهذا يتفق معنا في أن الرواية مبنية أصلاً على خدعة يطلقون عليها إبداع فني كما ذكرنا قبلاً، ويُقر بأنه ليس هناك مخطوطة حقيقية، الأمر الذي للأسف، لم يُشِر إليه زيدان في روايته وهو في ذلك لم يحترم عقلية قرَّائه.

وقد وجدنا ما توقعناه، في اعتبار القراء ما ذكره د. زيدان على أنه تاريخٌ حدث بالفعل؛ فقد ذكر د. صلاح فضل في هذا المقال:

> .... وضع يوسف إصبعه بمهارة على بؤرة التشعب، ولوعة الغرور بامتلاك الحقيقة التي أفضت إلى لوثة التعصب في عقائد العصور السالفة... ولأن يوسف زيدان قد قفز فجأة بهذه الرواية، التي أنصت فيها إلى وسوسة شيطان فنه، إلى مصاف المبدعين الإشكاليين، وقبض بعنف على جذر الحساسية الدينية اللاهبة في زماننا...

إذن هو يعتبر أن كنيسة الإسكندرية ممثلة في الأب البطريرك البابا كيرلس، مصابة بلوعة الغرور بامتلاك الحقيقة مما أدى بها إلى لوثة التعصب في عقائد العصور السالفة ويقصد بها الوثنية. وهو يشير بهذا إلى مقتل هيباتيا كما وصفه د. زيدان. والعجيب أنه يناقض نفسه ففي نفس المقال يذكر:

> وقد شارك المؤلف في الإيحاء بهذا الوهم، إذ زعم أن كل ما تضمنته (الرواية) من آراء ووقائع وأحداث يمتلك

> مصداقية تاريخية ومستقى من مصادر موثوق بها، فوقع القارئ في شَرَك الخداع الروائي، ولم يبادر النقد بتوضيح طبيعة التخيل الروائي الغالب عليها، وشرع الطَيْبون من رجال الدين في التصدّي لدحض إشاراتها إلى الهرطقة، وكأنها قد أصبحت موضوعًا مثارًا اليوم وليس علامة من حفريات الماضي القديم المندثر.

ونحن في حيرة؛ كيف وهو يقـــرر أن لوعـــة الغـــرور ولوثـــة التعصب هي حقائق تاريخية "وضع يوسف إصبعه بمهارة عليها"، يعود فيقول:

> وقد شارك المؤلف في الإيحاء بهذا الوهم، إذ زعم أن كـــل ما تضمنته من آراء ووقائع وأحـــداث يمتلـــك مصـــداقية تاريخية ومستقى من مصادر موثوق بها فوقع القارئ فـــي شَرَك الخداع الروائي.

وبهذا يوقع الدكتور صلاح القارئ في فخ جديد لم يوقعه فيه كاتـــب الرواية نفسه؛ وهو أن كاتب الرواية قال إن الشخصيات التي جاءت بالرواية هي شخصيات حقيقية، بينما يقول الدكتور صلاح إنها غير حقيقية!

ويقول الدكتور صلاح أيضًا:

> وشرع الطَيْبون من رجال الدين فـــي التصـــدّي لـــدحض إشاراتها إلى الهرطقة، وكأنها قد أصبحت موضوعًا مثـــارًا اليوم.

ونحن نشكره على وصفه رجال الدين "بـــالطيبين"، ولكـــن مـــن الواضح أنه يقصد بكلمة الطيبين "السُّذج". ولماذا السُّـــذج ، **هــل هو يعتبر أن اليقظة اللاهوتية لكنيستنا هي نوع من الســـذاجة؟** نحن ندافع عن إيماننا الذي يتطاول عليه د. زيدان ويحـــاول أن يجرَّده من كل ما هو إلهي ويُقدِّمه بصورة مشوشة غير حقيقيـــة لا نستطيع أن نقبلها؛ **إذ أننا لو سكتنا إزائهـــا فســـكوتنا يعنـــي قبولنا لما قاله، وعندئذ نكون كمن يتنكر للمسيحية.**

ويقول د. صلاح إن زيدان "قبض بعنف على جذر الحساسية الدينية اللاهبة في زماننا"..

فهل يمتدحه على هذه النقطة؟! لم يقتلـــع الـــدكتور زيـــدان جـــذر الحساسية الدينية اللاهبة، بل بالعكس ألهبهـــا بزيـــادة واســـتخدمها كسلاح ذي حدين؛ فهو من ناحية يؤلم ويثير المسيحيين بالمســـاس بمقدساتهم وبعقائدهم وقياداتهم التي يُجلِّونها للغايـــة، ومـــن ناحيـــة أخرى يقدم المسيحية والمسيحيين بصورة تكفي كما قلنـــا ســـابقًا، لاشمئزاز المسلمين منها، مما يُعَمِّق الهُوة ويمهد الطريق لقيام فتنة طائفية.

نحن نتساءل، كيف وهو رئيس قسم المخطوطات في جامعة الإسكندرية يقوم بتزييف مخطوطة؟ أين مصداقيته، وهل يمكن أن يوثق فيما يقوله بخصوص المخطوطات الموجودة بين يديه بعد خداعه في هذه الرواية؟

ويأخذنا العجب والأسى في آنٍ واحد؛ ونتساءل لماذا يهاجم الإسكندرية ويمجد في أنطاكية بهذه الطريقة؟ هل يصح أن يُشَوِّه تاريخ مصر بهذه الصورة المخزية، وهو يحمل الجنسية المصرية؟! لماذا يُشَوِّه أحد قيادات مكتبة الإسكندرية الحاليون صورة كنيسة الإسكندرية ويمجد في أنطاكية؟ **نحن نمجد أنطاكية المعاصرة** ولكننا نرفض عقائد أنطاكية التي رفضتها الكنيسة الجامعة وكنيسة أنطاكية الشقيقة. هو يمجد أنطاكية المرفوضة وليس أنطاكية المُشَرِّفة، بسبب حقده على المسيحية.



الفصل الثالث

سر المطران *المسيحي الأرثوذكسي* المُعجب بشغف بالرواية الهدَّامة للمسيحية الأرثوذكسية

ربما تتعجب عزيزي القارئ كيف أن مطرانًا سريانيًا أرثوذكسيًا من الكنيسة الأنطاكية السريانية الأرثوذكسية الشقيقة التي نعتز بها كثيرًا وتربطنا بها روابط محبة قوية وعميقة (ونذكر بطريركها في كل صلوات الآباء في كنيستنا، وهم يذكرون بابا كنيستنا في كل صلوات الآباء في كنيستهم)، هذا المطران يُبدي إعجابه الشديد بهذه الرواية المملوءة أغلاطًا وافتراءات على آباء الكنيسة الجامعة بل وتزييفًا للتاريخ الكنسي المجيد! وكيف قَبِل ما جاء في الرواية من تشكيك في حقيقة التجسد والصلب، وكثير من الأخطاء اللاهوتية الأخرى التي تناولناها بالتفصيل في أجزاء سابقة من الكتاب.

وهو في هذا لا يمثّل إلاّ نفسه فقط؛ فمن البَيِّن أن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة لا يمكن أن توافق على ما جاء بالرواية من تزييف للتاريخ وتشويه للمسيحية.

ونحن نتعجب كيف وهو راهب يقرأ الأجزاء اللاأخلاقية فيها والتي تستغرق واحد وخمسين صفحة في وصف العلاقة الخاطئة للراهب المزعوم مع أوكتافيا وصفًا بطيئًا، وثلاث وأربعين صفحة

في وصف علاقة نفس الراهب المزعوم الخاطئة مع مرتا بنفس الطريقة، مما يندى له الجبين حتى أن الذين قرأوا هذين الجزأين من الرواية علّقوا بقولهم: "استفاض في شرحه للأوضاع الجنسية وكأنه يعطي درسًا للعشيقات كيف يمارسن الجنس مع عشّاقهن". (وقد عزفتُ أنا شخصيًا عن قراءة الأجزاء التي تصف علاقاته الخاطئة، إذ لا يصح للرهبان قراءة مثل هذه الأمور اللاأخلاقية، ولكن عرفت ذلك من الذين قرأوها قبل أن يصلني الكتاب).

ثم بعد كل ذلك يصفها بالآتي، وذلك في الندوة الأولى التي أُقيمت في حلب في جمعية العاديات (الأثريات) في ٢٠٠٨/٤/٢٩:

> قرأت الرواية **بشغف** رغم كثرة مشاغلي وأسفاري، **لكني لم أستطع الكف عن قراءة هذا النص الروائي الممتع،** وبخصوص العنوان فإن د. يوسف زيدان قدم لنا تعريفًا به من خلال الحديث الشريف الذي بدأت به الرواية، **فعزازيل هو الشيطان** المحرك للأحداث والمبرر للشرور لأن كل عمل فيه خطية يكون عزازيل وراءه، **وفي الرواية كثير من التاريخ،** والذي لا يعرف تاريخ المسيحية لن يعرف مراد د. يوسف زيدان من الرواية، بل أعتقد أنه أراد بالرواية أن ننظر بعناية في **التاريخ المسيحي وأن نعطي معرفة دقيقة بالصراع الكنسي بين مدرستي أنطاكية والإسكندرية، فهي رواية لاهوتية بحتة ترتبط بحقائق التاريخ وتخترق الخطوط الحمراء** وتخترق جدران الأديرة، **فتقدم حياة الرهبان** ودور عزازيل في الرهبنة. والرواية

تقدم لغة على قدر من الاعجاز البياني، خاصة وإنها تربط بين اللغتين السريانية والعربية لتوجه الأفكار بقوة إلى أهمية التراث والمخطوطات وإلى التاريخ الذي يسبق الإسلام، لأن د. يوسف زيدان يرى أن انتماءه العميق لهذه الأمة يعطيه **الحق في النظر** في تراثها الإسلامي والمسيحي، **فالتاريخ المسيحي ليس ملكًا للمسيحيين وحدهم، ومع ذلك احتاط د. زيدان فجعل رؤيته تحت عنوان رواية فقال الكثير والكثير على اعتبار أنه محض رواية.**

يقول نيافة المطران:

"يرى د. يوسف زيدان أن انتماءه العميق لهذه الأمة يعطيه **الحق في النظر** في تراثها الإسلامي والمسيحي".

لكن أتراه يعطيه الحق في تزييفه وتشويهه أيضًا كما فعل؟!

يقول نيافة المطران أيضًا:

"**فهي رواية لاهوتية بحتة ترتبط بحقائق التاريخ وتخترق الخطوط الحمراء وتخترق جدران الأديرة**".

وبهذا هو يؤكد بل ويعتبر أن كل ما جاء في الرواية من أحداث تاريخية هو صحيح قد حدث فعلاً! ونحن قد عرضنا ما جاء في الرواية من أحداث وأوضحنا مدى مصداقية حدوثها من عدمه.

اعتبر نيافة المطران أن الرواية **رواية لاهوتية بحتة**، على الرغم من أنها تقدم حقائق إيمانية مغلوطة تمامًا كما رأينا. بل وتُقَوِض المسيحية من أهم حقيقة فيها وهي أن **السيد المسيح هو ابن الله**، الأمر الذي من لا يؤمن به لا يُعدَ مسيحيًا مهما كان اسمه

أو شكله أو وظيفته. وقد كتب القديس يوحنا الرسول في خاتمة إنجيله:

"وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ" (يو ٢٠ : ٣١).

وورد في الأناجيل وأسفار العهد الجديد أيضًا:

"اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أيضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ الله" (لو ١ : ٣٥).

"اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ"... "اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ" (يو٣ : ١٨، ٣٦).

"اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ" (يو٥ : ٢٥).

"وَهَذِهِ هِيَ وَصِيَّتُهُ: أَنْ نُؤْمِنَ بِاسْمِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً كَمَا أَعْطَانَا وَصِيَّةً" (١يو٣ : ٢٣).

والعجب العُجاب هو أن نيافة المطران لم يذكر ولم ينوّه أبدًا إلى وجود ولو حتى بعض التحوير أو التغيير في الحقائق التاريخية. ولم يُشِر لا من قريب ولا من بعيد إلى الأخطاء اللاهوتية الموجودة بالرواية، بل على العكس فهو النصير الأول والمؤيّد الأكبر للرواية، وقد مدحها بأحلى الكلمات، وكأنه يؤكّد ويُقر بكل ما فيها من إيمان وعقيدة لا تتفق مع المسيحية الأرثوذكسية. مما يدعو إلى العجب والتساؤل!.

ولكنه على غير قصد منه قد أكّد أن المؤلف قد تجاوز حدوده عندما قال إن الرواية "**تخترق الحدود الحمراء**".

وأضاف نيافة المطران: "**فالتاريخ المسيحي ليس ملكًا للمسيحيين وحدهم**" فهل يعني ذلك أن يعبث د. زيدان بالتاريخ المسيحي ويعيد صياغته حسب هواه؟!

"**ومع ذلك احتاط د. زيدان فجعل رؤيته تحت عنوان رواية فقال الكثير والكثير على اعتبار أنه محض رواية**"، ماذا يعني نيافة المطران بهذا الكلام؟ هل هو على غير قصد منه قد كشف أن صديقه وضع ما يدور في فكره من تيه وتَشَوَش وحقد على الديانة المسيحية، في قالب روائي؟.

وقد نشر محمد الحمامصي في الجريدة الالكترونية "ايلاف" تفاصيل تلك الندوة الأولى، واختار عنوانًا لمقالته [مقولة للمطران في الندوة وهي] "**عزازيل رواية لاهوتية بحتة ترتبط بحقائق التاريخ**". وقد ذكرنا هنا ما قاله نيافة المطران بالحرف الواحد كما جاء في هذه الجريدة الالكترونية في ٢٠٠٨/٧/٢٦.

زيّن د. زيدان الغلاف الخلفي إبتداءً من الطبعة الخامسة لروايته الهدّامة بهذه الكلمات التي مدحه بها نيافة المطران:

"يوسف زيدان هو أول روائي مسلم، يكتب عن اللاهوت المسيحي بشكل روائي عميق. وهو أول مسلم، يحاول أن يعطي حلولاً لمشكلات كنسية كبرى.. إن د. يوسف زيدان

اقتحم حياة الأديرة، ورسم بريشة راهب أحداثًا كنسية حدثت بالفعل، وكان لها أثر عظيم في تاريخ الكنيسة القبطية".

يرى نيافة المطران أن د. زيدان قد "**أعطى حلولاً لمشكلات كنسية كبرى**". ما هي هذه المشكلات وما هي الحلول التي أعطاها لها د. زيدان، في رأي نيافة المطران؟!

ويؤكد أن ما ذكره الراهب هي "**أحداثًا كنسية قد حدثت بالفعل**"!

وقد رأينا ونحن نَمُر على هذه الأحداث عبر هذا الكتاب وبالوثائق العلمية والمراجع العالمية، كيف أن معظم ما ذكره إما أن يكون من نسج خياله، أو أن تكون أحداثًا قد حدثت بالفعل ولكن حَوَّرها وحرَّفها وطوَّعها لتخدم أهدافه من الكتابة. فكيف يدّعي نيافة المطران أنها **أحداثٌ كنسية قد حدثت بالفعل!**

إلى هذه الدرجة المذهلة يُرَوِّج نيافة المطران لهذه الرواية، ونحن نتساءل لماذا؟ ولحساب مَنْ تزييّف التاريخ والتأكيد على عقيدة فاسدة، جاهد آباؤنا حتى الدم لكي يحفظوها بلا تزييف أو تشويه، واستهانوا بحياتهم وقدَّموها رخيصة في سبيل ذلك؟

كتب محمد الحمامصي أيضًا في ميدل ايست أونلاين بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٦ تحت عنوان "حلب تقيم ندوتها الثانية عن رواية عزازيل للدكتور زيدان":

في بداية الندوة أكّد نيافة المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم (مطران حلب وتوابعها للسريان الأرثوذكس) إنه

قرأ الرواية قبل صدورها، وأبدى إعجابه الشديد بها كعمل فني من طراز رفيع.. وأن د. يوسف زيدان كتب بريشة راهب يرسم أحداثًا كنسية حدثت بالفعل، وكان لها أثر عظيم في تاريخ الكنيسة القبطية. فالرواية مزيج من البحث في اللاهوت والتاريخ. ومن خلال شخصية الراهب (هيبا) يمكن أن نلمس تقاربًا روحيًا وفكريًا بين المؤلف والأسقف نسطور المكروه في الأوساط المسيحية. وفي رأي نيافة المطران غريغوريوس يوحنا أن أكثر ما أزعج المسيحيين في مصر هو أن المؤلف تعرّف إلى أسرار الأديرة واخترق أسوارها.

وذلك يعني أن نيافة المطران يتّفق تمامًا مع المؤلف في ما ذكره بخصوص الأديرة والرهبان، أي أنه عرف الحقائق المختفية. والعجب كل العجب أن يتصوّر نيافة المطران أن أكثر ما يزعج المسيحيين في مصر بخصوص هذه الرواية هو "أسرار" الأديرة التي يدّعي أن المؤلف قد عرفها، وهل زِنى الراهب هيبا في خيال الدكتور يوسف زيدان بصورة هابطة جدًا هو أسرار الأديرة التي يحيا فيها رهبان قديسون؟! ومن جانب آخر فقد تغافل نيافة المطران الحلبي تمامًا عن كل الأخطاء التاريخية والتزييف في ديانتنا وعقيدتنا المسيحية الأرثوذكسية والتشكيك الواضح والمباشر في حقائق الدين المسيحي مثل التجسد والفداء كما أوضحنا سابقًا.

ومما يؤسف له أيضًا أن هناك إيحاءً في كلام المطران عن أمور سيئة تحدث في داخل الأديرة مما يسئ إلى سمعة الرهبنة القبطية.

وعلى الموقع الالكتروني لمطرانية السريان بحلب في ٢٠٠٩/٣/٢١ نُشر خبر الندوة النقدية الثانية لرواية "عزازيل" التي أقامتها مديرية الثقافة بالتعاون مع جمعية العاديات بحلب ونذكر مما جاء فيه:

> نشرت جريدة المشاهير في ٢٠٠٨/١٠/٢٩ الصفحة ٨ مقالاً بعنوان: رواية عزازيل في ندوة نقدية في مديرية الثقافة جاء فيه:... إضافة إلى الجانب اللاهوتي العميق الذي وصفه نيافة المطران يوحنا ابراهيم بأنه أمر نادر الحدوث في الروايات وهي أيضًا جنحت من رواية إلى بحث جمع بين حدث لاهوتي وبحث تاريخي.

ونتعجب أن نيافة المطران قد اعتبر الرواية بحث جمع بين حدث لاهوتي وبحث تاريخي، في حين أن كاتب الرواية نفسه يحاول أن يستتر خلف ما أسماه الابداع الروائي.

ونعود الآن للسؤال ما هو السر وراء الموقف الغريب الذي يتخذه نيافة المطران؟ وكما يقولون إذا عُرف السبب بطل العجب!.

حضر نيافة المطران يوحنا ابراهيم اجتماعات الحوار السرياني الثالث الذي نظمته ودعت إليه منظمة البرواورينتى Pro Oriente في واشنطن بأمريكا في ولاية إلينوي في الفترة ما بين ٨-١١ يوليو عام ١٩٩٧. وقدّم ورقة أو بحثًا دافع فيه عن نسطور وهاجم

آباء الكنيسة سواء السريانية أو القبطية، مثل القديس ساويرس بطريرك أنطاكية (٥١٢- ٥٣٨م) والقديس كيرلس الأول بطريرك الإسكندرية (٤١٢- ٤٤٤م)، والقديس رابولا أسقف الرُها (إديسّا) (٤١١-٤٣٥م). ولكن منعته الرئاسات الكنسية للكنيستين بإجتماعهما معًا من نشرها، فاعتذر شفويًا عن ما جاء بها، ووعد بعدم نشرها، وقدَّمها لي شخصيًا لكي أُعَدِّلها وأحذف منها كل هجوم على الآباء. وقد قمت بذلك فعلاً، ولا نعلم إن كان قد نشرها بعد التعديل أم لا.

ويبدو إنه لم يجد فرصة أن ينشرها لذلك استتر وراء الكاتب المسلم وشجعه أن ينشر ما عجز هو عن نشره. والدليل على ذلك أنه اعترف بنفسه أنه اطّلع على الرواية قبل صدورها بل كان من أوائل الذين قرأوها. فعلى ما يظهر أنه أمدّ المؤلف بالمادة المطلوبة ثم قام بمراجعة الرواية في النهاية.

وقد سبق للمطران أن حاول نشر المعتقدات النسطورية بأن قام بترجمة اصدارات مؤسسة البرواورينتى في الحوار مع النساطرة وفيها أوراق قدّمها النساطرة الأشوريون ومن يؤيدهم. ووصلت هذه الإصدارات المترجمة، والتي طبعها باللغة العربية في الشرق الأوسط، إلى معرض الكتاب الدولي بمصر.

ومما يدل على التحالف بين نيافة المطران والدكتور يوسف زيدان، أن الدكتور يوسف زيدان قد أكّد في روايته أن كنيسة الإسكندرية قد اضطهدت كنيسة أنطاكية في صراع البابا كيرلس

الإسكندري ضد البطريرك نسطور الذي كان قسًا في أنطاكية، وادّعى أنه يدافع عن اللاهوت الأنطاكي ضد السكندري، مع إن أنطاكية الأرثوذكسية تحرم نسطور وعقيدته بكل قوة.

وفي إطار التحالف المذكور بين د. زيدان ونيافة المطران، نجد نيافة المطران يقول للأسف كما أوردنا على ص ٣١٤ في الندوة الأولى حول كتاب عزازيل في جمعية العاديات في حلب "اعتقد أنه [أي المؤلف] أراد بالرواية أن ننظر بعناية في **التاريخ المسيحي** <u>وأن نعطي معرفة دقيقة بالصراع الكنسي بين مدرستي أنطاكية والإسكندرية</u>".

إنني أشفق على شعب كنيستينا الشقيقتين من هذا التضليل الذي يحاول أن يُعيد الصراع المفتعل بين مدرستيهما.

كان نسطور أنطاكي المنشأ ولكنه لم يعبّر عن عقيدة الكنيسة الأنطاكية الشقيقة. وكان آريوس إسكندري المنشأ ولكنه لم يعبّر عن كنيسة الإسكندرية، بل كان مجمع كنيسة الإسكندرية هو أول مجمع مقدس يحرم آريوس في العالم سنة ٣١٨م بحضور مائة أسقف، ونفس الأمر حدث مع أوريجانوس الذي تتلمذ آريوس على كتاباته وكان أوريجانوس هو مدير مدرسة الإسكندرية، وبادرت الإسكندرية بحرمه هو وتعاليمه.

الفصل الرابع

خطورة إخضاع حقائق الإيمان للعقل

وهبنا الله العقل عطية منه ومَيَّزنا به عن سائر المخلوقات. والعقل هو من ملامح الصورة الإلهية في الإنسان. وكان من المفترض أن يستخدم الإنسان عقله في أن يدرك مقدار محبة الله له وعنايته به ورغبته في خلاص الإنسان من عقوبة الموت والانفصال الأبدي عنه. وأيضًا كان من المفترض أن يستخدم الإنسان عقله في أن يرتقي بحياته إلى الأسمى رافضًا الشر متمسكًا بالخير. ولكن يا للأسف فقد انحدر الإنسان بعقله وبحرية إرادته في الإتجاه المعاكس؛ فاستخدمه في اختراع الشرور ومقاومة الله. بل وصل الأمر إلى إخضاع الحقائق الإلهية إلى عقله؛ فأصبح لا يؤمن إلا بما يقبله عقله فقط دون الاستعانة بإرشاد الروح القدس الذي يُلهم العقل بما هو فوق العقل.

وهذا ما سوف تستنتجه من الفقرات التالية.

ص ١٨٤ **هيبا:** *سوف تبقى يا سيدي تناقضات، لن يستطيع العقل حلَّها.*

نسطور: *قد لا يستطيع ذلك عقلُك أنت، ثم يأتي مِنْ بعدك مَنْ يقدر على ذلك.*

هيبا: *أو تسقط التناقضات من تلقاء نفسها، وتُنسى، فلا تشغل أذهان الناس!*

ص٢٤٦ **نسطور:** *يا هيبا، إن الخطر أبعد وأهم من لفظة ثيوتوكوس*[*] *التي يتسلَّى الجهلةُ والعوامُ بترديدها. فالأمْر يتعلَّق بحقيقة الإيمان، وبقدرة هذا الدين الحق على مخاطبة قلب الإنسان وعقله، في كل زمان ومكان. إن الوثنيين يهزأون من* ***إسرافنا في الخرافة***، *وسيأتي من بعد هؤلاء المستهزئين بنا مستهزئون منا،* ***يسخرون من تلك الأوهام***، *ويحاولون طرحها، فيطرحون الديانة بجملتها.. إن البشارة والمعجزة الإلهية ياهيبا، سِرٌّ نادرٌ، لو أُفرطَ فيه سيفقد معناه، ونفقد نحن الإيمان، ونضادّ العقل!*

ص٣٢٩ **هيبا** عن الفِريسي: *وراح يقول وقد صار صوته متهدّجًا، على غير العادة: الديانة دَيْنٌ فادحٌ، لا يمكن لأحدٍ أن يوفي به. ديانتنا تديننا. تدينُ من دان بها، بأكثر مما تدين غير المؤمنين. وتدين أيضًا غير المؤمنين! الكُّل مدانٌ، الكل ضالٌّ، والآب السماويُّ أقنومٌ مفارقٌ محتجبٌ خلف هذه الاعتقادات كلها. وهو لا يظهر لنا بتمامه، لأننا لا نقدر على الإحاطة بظهوره التام. هو فوق لفظ الأقنوم، وفوق كلمة الطبيعة، وفوق إدراكنا. هو بعيدٌ عنا، ونحن بعيدون عن بعضنا، لأننا جميعًا مرهونون بأوهامنا.* ***الأقنومُ ذاته وَهْمٌ غامضٌ***، *اخترعناه وصدَّقناه واختلفنا فيه، ولسوف نحارب بعضنا دومًا من أجله. وقد يأتي يومٌ، يكون فيه لكل إنسان اعتقاده الخاص المختلف عن اعتقاد غيره،* ***فتمحى الديانةُ من أساسها وتزولُ الشريعة***.. *ويومها.. هل سيكون.. سأقومُ إلى صومعتي!*

[*] كلمة يونانية Θεοτοκος تُطلق على العذراء مريم وتعني "والدة الإله" وقد رفضها نسطور في تعليمه بكل إصرار.

هذه هي النتيجة المُرة التي وصل إليها هيبا ومن يشاركه فكره، إنه لا ديانة ولا شريعة، بالإضافة إلى ما سوف أذكره في موضعه فيما يخص رغبته في تطبيق شريعة الحمام على البشر!

انظر أيضًا مقدمة شرحنا لعقيدة الثالوث، الباب الثاني، الفصل الثاني، ردًا على هذا الاتجاه العقلاني المدمر للإيمان.

جزء فلسفي يشجع على الإلحاد

ص١٥ **هيبا:** *وأن بقية الأشياء مثل بقية الأشياء، لا يمتاز منها إلا ما نميزه نحن بما نكسوه به من وهْم وظن واعتقاد.*

ولعل البدايات كما كان أستاذي القديم سوريانوس يقول، ما هي إلا محض أوهام نعتقدها. فالبداية والنهاية، إنما تكونان فقط في الخط المستقيم. ولا خطوط مستقيمة إلا في أوهامنا، أو في الوريقات التي نسطر فيها ما نتوهمه. أما في الحياة وفي الكون كله، فكل شيء دائري يعود إلى ما منه بدأ، ويتداخل مع ما به اتصل. فليس ثمة بداية ولا نهاية على الحقيقة، وما ثَمَّ إلا التوالي الذي لا ينقطع، فلا ينقطع في الكون الاتصال، ولا ينفصم التداخل، ولا يكف التفريع، ولا الملء ولا التفريغ.. الأمر الواحد يتوالى اتصاله، فتتسع دائرته لتتداخل مع الأمر الآخر، وتتفرع عنهما دائرة جديدة تتداخل بدورها مع بقية الدوائر. فتمتلىء الحياة، بأن تكتمل دائرتها، فتفرغ عند انتهائنا بالموت، لنعود إلي ما منه ابتدأنا..

ص٢٣٠ **هيبا:** *"أحبُّ هذه اللحظات الواصلة بين انتباهات الصحو وخلسات النوم. أظنُّ أن الله قرر أن يخلق العالم، في لحظةٍ كهذه. الله لا ينام، هو فقط يتعب ويستريح".*

"تُرى، هل يحلم الرَّبُّ؟ مَنْ يدري، فقد يكون هذا الكون بكل ما فيه، هو حلمٌ واحدٌ من أحلامه".

ص٣٤٠ **هيبا:** *أبحرتُ إلي عوالم بعيدة، وراء هذا العلم. غُصتُ في أزمنةٍ سحيقة لم تعرف الشقاء البشري، أزمنةٍ أسبق مما يحكيه سفر التكوين عن بدء الخليقة.. مَنْ الذي كان موجودًا قبل وجود الإنسان على الأرض. الله، الملائكة، الشيطان؟ ماذا كانوا جميعًا يفعلون، قبل وجودنا وإنشغالهم بنا؟*

الإجابة عن ما كان الله يفعله قبل الخليقة، تجدها في شرحنا للثالوث: الباب الثاني، الفصل الثاني.

مَنْ الذي كان موجودًا قبل وجود الإنسان على الأرض؟

الأرض خلقها الله لأجل الإنسان.

أما الملائكة فعملهم دائمًا هو تسبيح الله. وبالنسبة للشيطان فهو لا يعمل إلا الشر هو وجنوده الأشرار.

وقد ورد في الأسفار المقدسة أن الشيطان عند سقوطه قد طُرح من السماء إلى الأرض (حزقيال ٢٨: ١٦، ١٧):

"بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْماً فَأَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللَّهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ. قَدِ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ لِبَهْجَتِكَ. أَفْسَدْتَ حِكْمَتَكَ لأَجْلِ بَهَائِكَ. سَأَطْرَحُكَ إِلَى الأَرْضِ وَأَجْعَلُكَ أَمَامَ الْمُلُوكِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْكَ".

ونزل إلى أقسام الأرض السفلى حيث توجد الهاوية في الوقت الحاضر. (رؤيا ١٢: ٩، ١٠، ١٣):

"فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ... الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَاراًوَلَيْلاً... وَلَمَّا رَأَى التِّنِّينُ أَنَّهُ طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، اضْطَهَدَ الْمَرْأَةَ".

"فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ أَلْفَ سَنَةٍ، وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ." (رؤ ٢٠: ٣، ٤)

وإنه كان يتمشَّى ويتجوَّل في الأرض لمحاربة البشر وحتى القديسين ومنهم أيوب (انظر أي ١: ٦، ٧):

"وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسَطِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: مِنْ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا".

* * *

الفصل الخامس

النهاية الأليمة: انتصار عزازيل

تحليل الرواية:

لا تقدم أي فائدة ترتقي بالإنسانية أو تخدمها، على العكس فأخَف وصف، بل والوصف الأكثر تأدبًا هو أنها رواية تهدم القيم الأخلاقية التي تحمي المجتمع من الانهيار. وتهدم أيضًا مجرد الإيمان بوجود الله أصلاً بصفة عامة، و حقائق الإيمان المسيحي الأرثوذكسي بصفة خاصة.

وهي رواية تعتمد على عنصر التشويق والإثارة، ولكنها لن تنال إعجاب أصحاب الأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية والضمائر اليقظة.

والأسوأ من هذا كله هو أن الرواية تشجع على الإستجابة لنداءات الشيطان، وتعطي إحساسًا باستمراء الخطية وكأنها أمر طبيعي وسهل، وتُغفل تمامًا نتائجها السيئة وأن نهايتها –إن لم توجد توبة– هي الهلاك الأبدي إلى جوار الدمار الإنساني الإجتماعي، الأمر الذي تغافل عنه تمامًا الدكتور زيدان. وأيضًا تغافل عن كون الخطية تُحزن للغاية قلب الله المحب القدوس الذي "بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو٣: ١٦). وعلى الرغم من أن د. زيدان قد أقحم نفسه

في عمل يمس الله من قريب؛ فتحدث عن الثالوث والتجسد وطبيعة السيد المسيح، ولكنه غيَّب الله تمامًا عن الرواية. الله عنده هو محتجب في سماواته؛ ليس له عمل إيجابي في خلاص الإنسان.

وبالرواية أيضًا انكفاء كثير على الذات؛ هذا الانكفاء من شدته أدى إلى السقوط في الوحل والغوص فيه إلى الأعناق!

- ص ٣٥٠ **عزازيل:** *فأنا حاضرٌ دومًا لرفع الوزْر، ودفع الإصْر، وتبرئة كل مُدان. أنا الإرادةُ والمريدُ والمرادُ، وأنا خادمُ العِبَاد،* ***ومُثير العُبَّاد إلى مطاردة خيوط أوهامهم.***

- ص ٣٦٨، ٣٦٧ **هيبا:** *أمضيتُ يومين بالمكتبة أحاور عزازيل حتى أقنعته بأمور،* ***واقنعني بأمور كنتُ متردِّدًا فيها..*** *كان مما أقنعني به وصادف هوى في نفسي، أن أختلي بصومعتي هذه الأربعين يومًا، أدوِّن خلالها ما رأيته في حياتي منذ هروبي من قرية أبي، حتى رحيلي عن هنا، غداً،* ***للقيام بما اتفقنا عليه.*** *وها هي الأيامُ الأربعون قد مَرَّت، وتَمَّ اليوم تدويني. وما ذكرتُ فيه إلا ما تذكَّرتُ أو رأيتُ في أعماق ذاتي.. وها هو الرّقُّ الأخير، ما يزال معظمه خاليًا من الكتابة ولسوف أترك هذه المساحة بيضاء، فربما يأتي بعدي مَنْ يملؤها. والآن سأغفو قليلاً، ثم أصحو قبل الفجر، فأضعُ الرقوق فى هذا الصندوق، واواريه التراب تحت الحجارة الكبيرة التي عند بوابة الدير.* ***ولسوف أدفنُ معه خوفي الموروث، وأوهامي القديمة كلها.*** *ثم أرحلُ، مع شروق الشمس،* ***حُرًّا.***

- ص ٥١ **عزازيل:** *فربما تأتيك بعد أيام اعتكافك الأربعين، أخبار نصرة نسطور من بعد هزيمته! **وربما سترى مرتا ثانية في ثوبها الدمشقي الخلاب، وتأخذها معك يوم رحيلك المنتظر، فتهنأ بها بقية عمرك، ويهدأ قلبك الملتاع.***

من الواضح هنا مادام قد ذكر أنه سيرحل حرًا، إن عزازيل قد أقنعه أن يتحرر من خوفه الذي ورثه كمسيحي، آمن يومًا أن هناك قيامة للأجساد ودينونة للخطاة، كما أنه قد اختار طريق الرهبنة والبُعد عن النساء. وهذا ما سمَّاه أوهامه القديمة كلها.

المقولة الأولى تفيد الضياع الذي يعانيه:

- ص٣٣٩ **هيبا:** *بل أراني أخشى الغوص في باطني، لكي أعرف حقيقة ذاتي الملتبسة.. كل ما فيَّ ملتبسٌ.. عمادي، رهبنتي، إيماني، أشعاري، معارفي الطبية، محبتي لمرتا.. أنا التباسٌ في التباس! والالتباسُ نقيضُ الإيمان، مثلما إبليسُ نقيضُ الله.*

- ص٣٤٢ **هيبا:** *ماذا عساك يا إبليس، يا أيها اللعين، أن توصلني إليه؟ هل تريد أن تُضلَّني عن إيماني بالمسيح؟ أو لم تدرك أنني ما عدتُ مؤمنًا مثلما كُنت.. هل تغويني بالمفسدات؟ أو لم تعرف ما جرى قديمًا مع أوكتافيا، وما يجري اليوم مع مرتا.. أم أنك تريد أن تأخذني إلى سُبل الهرطقة؟ وما هو أصلاً الإيمان القويم، الذي تكون الهرطقاتُ بخلافه؟ لا يصحُّ وجود هرطقات، ما لم تصح الأرثوذكسية القويمة.. وما الأرثوذكسية؟ أهي ما يقّررونه في الإسكندرية، أم ما يعتقدونه في أنطاكية؟ هل هي إيمان الآباء الأولين، الأتقياء المقدَّسين.. أم هي*

الاعتقاداتُ الوثنية التي فتك أهلها بآباءٍ أولين، صاروا مع الأيام أتقياء ومقدَّسين؟
تماوجتْ في باطني الأسئلةُ التي لا إجابة عنها: هل القويُم هو إيمانُ كيرلس، أم إيمان نسطور المسكين الذي سيلحق عما قريب بمن سبقوه من المحرومين: بولس السيمساطي، آريوس المطرود، تيودور المبجّل.. كل المهرطقين هنا، كانوا مبجلين هناك! وكل الآباء مطعونٌ عليهم، عند غير أتباعهم. الشيطانُ يلعب بالجميع، فهل تراه يسعى الآن كي يلعب بي؟ ألا يكفيه لعبه مع هؤلاء الذين يستعدون للحرب في إفسوس؟ وتلك النار التي يشعلها في كل الكنائس.

من الواضح أن عزازيل الرواية نجح في إخراج الراهب هيبا من الإيمان المسيحي الأرثوذكسي بقبوله الشك في صحة المسيحية وإيمان الكنيسة الجامعة. وأوصله إلى أن الشيطان يلعب بالآباء وبالهراطقة جميعًا.

- ص ٣٤٥ **عزازيل:** *أنت قلق يا هيبا مما فيك. لأنك تعرف ما سوف يحدث في أفسوس، وتعرف أنك ستفقد مرتا، مثلما فقدت من قبل ما كان لك: حلم النبوغ في الطب، الأمل في إدراك سرِّ الديانة، الغرام بأوكتافيا، الولع بهيباتيا، الاطمئنان بالغفلة، الإيمان بالخرافات...*

- ص ٣٤٥ **حوار بين هيبا وعزازيل:**

عزازيل : *دع الأموات يهنأون بموتهم، وخُذْ مرتا وعُدْ إلى بلادك الأولى.*

هيبا : *اسكت، وعُد أنت من حيث جئت.. أيها الوجود الغامض المخايل.*

عزازيل : *أَعدني أنت، فأنت الذي أوجدتني.*

هيبا : *أنا لم أُوجِدِ أحدًا.. أنا الآن أحلم....*

- ص٣٤٧ أخذت الراهب **هيبا** حُمى فغاب عن وعيه ويقول:

غبتُ ثانية، فجاء عزازيل بوجه ناصع، بدا وسط الظلام مضيئاً...

يرى الشيطان وكأنه ملاكًا!

ويصل الانكفاء على الذات إلى ذروته، حتى إلى الغوص في وحل الانحلال من كل الضوابط، عندما يسعى الإنسان وراء تحقيق الذات وإشباع رغباتها بطريقة خاطئة فيفقد اتزانه، مما يؤدئ حتمًا إلى الانهيار والدمار الشامل. وهنا يستشهد د. زيدان بقول للسيد المسيح ويُطَوِّعَه ليخدم أغراضه الخاصة، ويخرج إلينا باختراع شاذ يُلبسه ثوبًا برَّاقًا عكس الحقيقة تمامًا.

- ص٢٦٥، ٢٦٦ **هيبا:** *لماذا لا يتعلَّم الناسُ من الحمام، العيشَ في سلام. الحمامُ طيرٌ، وبسيط، وقد قال يسوع المسيح: كونوا بسطاء كالحمام.. الحمامُ مسالمٌ؛ لأنه لا مخالب له، فلينبذ الناس ما بأيديهم من الأسلحة وعتاد الحرب! والحمامُ لا يأكل فوق طاقته ولا يختزن الطعام، فليكف الناس عن اكتناز القوت وتخزين الثروات.. والحمامُ يعيش حياة المحبة الكاملة، لا تفرّق ذكوره بين أنثى جميلة وأخرى قبيحة، مثلما يفعل الناس.. وإذا بلغ الفرد منه مبلغ الطيران، لم يعد يعرف أبًا له ولا أُمًا، وإنما يدخل مع البقية في شركة كاملة لا تعرف أنانيةً ولا فردانية. فلماذا لا يعيش الناس علي ذاك الحال،* ***ويتناسلون في جماعات مسالمة،***

*مثلما كان حال الإنسان أول الأمر؟ الكلُّ يعيش في الكل، يحيا في هناءة، **ثم يموت بغير صخبٍ، مثلما تموت بقية الكائنات. ويختار الرجالُ من النساء، والنساءُ من الرجال، ما يناسب الواحد منهم للعيش حينًا في محبة مع الآخر، ثم يتركه إذا شاء، ويأنس لغيره إذا أراد، ويصير نسلهم منسوبًا لهم جميعًا**.. وتكون النساءُ كالحمامات، لا يطلبن من الرجال غير الغزل ولحيظات الالتقاء.*

ص٣٣٩ **هيبا:** ***وددتُ لوعدتُ طفلاً في زمنٍ قديم،*** *وكانت لي أمٌ غير التي كانت، وأبٌ آخر يشبه أبي الذي كان، عائلةٌ كبيرة تفتخر بي، كلما قلتُ شعرًا جديدًا.. وزوجتان تُحبانني، إحداهما مثل أوكتافيا، والأخرى تشبه مرتا..* ***أو أكون مثل ذكور الحمام الجبليّ، بسيطًا وطاهرًا، أحظى لحظةً بمن اقتربتْ مني، ثم نطير..***

وأترك المجال هنا للقارئ العزيز ليتأمل في المقولتين السابقتين بدون تعليق مني.

- ص٣٤٨ **هيبا:** *وهمس لي عزازيل بأن تلك كانت تلةَ الدير في الزمن السحيق، من قبل أن يوجد البشر، ومن قبل أن يخلق الله الإنسان.. ثم سألني: هل خلق الله الإنسانُ، أم العكس؟*

- **هيبا:** *ماذا تقصد؟*

- **عزازيل:** *يا هيبا، الإنسان في كل عصر يخلق إلهًا له على هواه، فإلهه دومًا رؤاه وأحلامه المستحيلة، ومُناه.*

- *كُف عن هذا الكلام، فأنت تعرف مكانك من الله، فلا تذكره.*

- *أنا مذكورٌ يا هيبا، مادام هو مذكورٌ!*

غلبني الغيابُ، فتركتُ عزازيل يقول ما يريد، وانصرفتُ عنه.. بعد حين عدتُ إليه، فكان يتكلم منفردًا. أنصتُّ، فوجدته يقول بلغةٍ غريبةٍ ما معناه أن الله محتجبٌ في ذواتنا، والإنسان عاجز عن الغوص لإدراكه! ولما ظنَّ البعض في الزمن القديم، أنهم رسموا صورة للإله الكامل، ثم أدركوا ***أن الشر أصيلٌ في العالم وموجودٌ دومًا؛ أوجدوني لتبريره.*** *هكذا قال..*

وتعود الرواية لكي توحي بأن الله نفسه هو من صُنع البشر وكذلك أيضًا الشيطان. وأن الله هو في ذات الإنسان وكذلك الشيطان؛ فما يتصوره الإنسان خيرًا هو الله المحتجب في ذاته والذي يرسمه هو، وما يتصوره شرًا هو الشيطان المحتجب في ذاته، والذي ابتكره وأوجده هو.

أليست هذه الرواية دعوة إلى الإلحاد والوجودية وهدم جميع الأديان مستترة وراء الهجوم على الديانة المسيحية في الإسكندرية؟!

نحن نأمل أن لا تنطلي هذه الحيلة على علماء المسلمين في مصر.

* * *

ملحق رقم (١)

الرسالة الثالثة إلى نسطور (الرسالة ١٧) [٢٥٣]

١- من كيرلس والمجمع المنعقد في الإسكندرية من إيبارشية مصر، نهدي تحياتنا في الرب، إلى الموقر والمحب لله جداً الأسقف الشريك نسطور.

حينما قال مخلصنا بوضوح: "من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني" (مت١٠: ٣٧)، فماذا سيكون مصيرنا حينما تطلب تقواك منا أن نحبك أكثر من المسيح مخلصنا كلنا؟ من يستطيع أن يساعدنا في يوم الدينونة؟ وأية حجة نخترعها لاختزاننا الصمت طوال هذه المدة أمام التجاديف التي وجهتها ضده؟ فلو أنك آذيت نفسك وحدك في تعليمك بهذه الأفكار الخاصة بك، لقَل قلقنا. لكنك أعثرت كل الكنيسة، وأدخلت خميرة هرطقة غريبة ودخيلة بين الشعب، ليس فقط في القسطنطينية بل وفي كل العالم. إن كتب عظاتك قد انتشرت. فما هو الشرح الذي يمكننا أن نقدمه عن صمتنا؟ كيف لا يكون ضرورياً أن نتذكر قول المسيح: "لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً. فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها" (مت ١٠:

[253] Wickham, *Cyril of Alexandria: Select Letters*, p.12-33.

٣٤-٣٥). حينما يمس الإيمان أذى، فليُترك احترام الوالدين المخادع والمبتذل، ولينتهِ قانون العاطفة الدافئة نحو الأولاد والأقرباء! وبعد ذلك يكون الموت عند الأتقياء أفضل من الحياة "لكي ينالوا قيامة أفضل" (عب ١١: ٣٥) بحسب المكتوب في الأسفار.

٢- لذلك فمع المجمع المقدس المنعقد في مدينة رومية العظمى برئاسة أخينا والخادم شريكنا في الخدمة المقدس جداً الذي يكرم الله، كليستينوس الأسقف، نحن أيضاً بهذه الرسالة الثالثة نتّهمك الآن، محذرين إياك بالتوقف عن التعاليم الشريرة جداً والمنحرفة جداً التي ترتئيها وتعلم بها. وعوضاً عنها اختَر وعلم بالإيمان الصحيح المسلم للكنائس من البدء بواسطة الرسل القديسين والبشيرين الذين كانوا معاينين وخداماً للكلمة. وإذا كنت، تقواك، لا تفعل هذا، حسب الزمن المحدد والمبيَّن في رسالة السابق الذكر أخينا وشريكنا في الخدمة، المقدس جداً والمكرم لله جداً، كليستينوس، أسقف كنيسة رومية، فاعتبر نفسك بلا وظيفة أو وضع رسمى أو مكانة معنا ضمن كهنة الرب والأساقفة. لا يمكننا أن نتجاهل الكنائس التي اضطربت، والشعب الذي أعثر، والإيمان الصحيح الذي أهمل، والقطعان التي تفرقت بواسطتك، وقد كان حَرِياً بك أن تكون أنت حافظها، لو كنت مثلنا محباً للإيمان الصحيح ومقتفياً أثر تقوى الآباء القديسين. ولكننا نحن جميعاً في شركة مع كل الأتقياء، سواء من الشعب أو من الإكليروس، الذين

حرموا من الشركة أو عزلوا بواسطة وقارك بسبب الإيمان. لأن رجالاً لهم رأي قويم لا يجب أن يحطَموا بواسطة إدانتك لهم على معارضتهم المستقيمة لك. وقد أشرت إلى هذا الأمر ذاته في خطابك الذي كتبته إلى شريكنا في الأسقفية المقدس جداً أسقف المدينة العظمى رومية. ولكنه لن يكون كافياً لتقواك أن تعترف معنا فقط بقانون الإيمان الذي وضع بالروح القدس بواسطة المجمع المقدس العظيم المجتمع في مدينة نيقية أثناء الأزمنة الحرجة. لأنك لم تفهمه ولم تفسره تفسيراً صحيحاً، بل بالحرى بطريقة منحرفة، حتى وإن كنت تعترف بنص القانون بشفتيك. ولكن عليك أن تلحق ذلك بالكتابة وتعترف بقسم أنك أيضاً تحرم، من ناحية، تعاليمك الممقوتة والكفرية، ومن ناحية أخرى، بأنك سوف تعلم وتتمسك بما نعلم ونعتقد فيه نحن جميع أساقفة الغرب والشرق معلمي وقادة العلمانيين. وإن المجمع المقدس في روما، ونحن جميعاً، متفقون على أن الرسائل المرسلة إلى تقواك من كنيسة الإسكندرية مستقيمة وبلا لوم، ولكننا أضفنا إلى خطابنا هذا الأمور التي يجب أن تتمسك وتعلم بها وأيضاً الأمور التي يجب عليك شجبها.
هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية الذي يتفق عليه كل الأساقفةِ مستقيمي الرأى في الغرب والشرق:

٣- نؤمن بإله واحد، الآب ضابط الكل خالق كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب أي من

نفس جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، له نفس الجوهر مع الآب، الذي به كان كل شئ ما في السماء وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل، وتجسد، وتأنس، وتألم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات، وسوف يأتى ليدين الأحياء والأموات، ونؤمن بالروح القدس.

ولكن بالنسبة لمن يقولون: كان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجوداً، أو أنه: لم يكن موجوداً قبل أن يولد، أو أنه: خُلِق من العدم، أو أن ابن الله من طبيعة أو جوهر مختلف، ويقولون إنه عرضة للتبدل أو التغير، فأولئك تحرمهم الكنيسة الجامعة الرسولية.

وإذ نتبع –في كل شئ– اعتراف الآباء القديسين، الذي صاغوه بالروح القدس الناطق فيهم، وإذ نتبع ما في أفكارهم من معاني، وكما لو كنا نسير في الطريق الملوكي، فإننا نقول إن: كلمة الله الابن الوحيد، المولود من نفس جوهر الآب، إله حق من إله حق، نور من نور، الذي به كان كل شئ، ما في السماء وما على الأرض، وإذ نزل لأجل خلاصنا، وتنازل إلى إخلاء نفسه (انظر في ٢: ٧–٨)، فإنه تجسد وتأنس، أى أخذ جسداً من العذراء القديسة، وجعله خاصاً به من الرحم، واجتاز في الولادة مثلنا، ووُلد كإنسان من امرأة، دون أن يفقد ما كان عليه، ولكن رغم أنه اتخذ لحماً ودماً فإنه ظل كما كان، الله في

الطبيعة والحق، جلياً. فإننا نعلن أيضاً أن الجسد لم يتحول إلى طبيعة اللاهوت، ولا طبيعة كلمة الله الفائقة الوصف، تغيرت إلى طبيعة الجسد. فهو بصورة مطلقة غير قابل للتبدل أو للتغير. ويظل كما هو دائماً حسب الكتب. حتى حينما كان منظوراً، وكان لا يزال طفلاً مقمطاً وفي حضن العذراء التي ولدته، فإنه كان يملأ كل الخليقة كإله، وكان حاكمها مع أبيه. لأن اللاهوت هو بلا قدر وبلا حجم، ولا يقبل أن يحد.

٤- ولأننا نعترف أن الكلمة اتحد بالجسد أقنومياً، فإننا نعبد ابن ورب واحد يسوع المسيح، دون أن نفصل ولا نميز الإنسان عن الله، كما لو كان الواحد متصل بالآخر بالكرامة والسلطة، لأن هذا هراء ليس أكثر. ولا نعطى لقب "مسيح" على التوازي لكلمة الله على حدة، ولمسيحٍ ثانٍ، المولود من امرأة على حدة، بل نعترف بمسيح واحد فقط، كلمة الله الآب مع جسده الخاص. هو قد مسح كإنسان بيننا رغم أنه يعطي الروح للذين يستحقون أن ينالوه، وليس بكيل، كما يقول البشير المغبوط يوحنا (انظر يو٣: ٣٤). كما أننا لا نقول إن كلمة الله سكن في المولود من العذراء القديسة، كما في إنسان عادى، لئلا يُفهَم أن المسيح هو إنسان حامل لله. لأنه رغم أن "الكلمة حل بيننا" (انظر يو١: ١٤) حقاً وقيل إن في المسيح "يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو٢: ٩)، فإننا لا نظن إنه إذ صار جسداً أن يقال عن حلوله إنه مثل الحلول

في القديسين، ولا نعرِّف هذا الحلول فيه إنه يتساوى وبنفس الطريقة كالحلول في القديسين. ولكن الكلمة إذ اتحد بالجسد بحسب الطبيعة دون أن يتغير إلى جسد، فإنه حقق حلولاً مثلما يقال عن نفس الإنسان وحلولها في جسدها الخاص.

٥- لذلك فهناك مسيحٌ واحد، ابن ورب، ليس بمعنى أنه إنساناً حقق أو ملك مجرد اتصال مع الله، كإله، بواسطة اتحاد كرامة أو سلطة، لأن المساواة في الكرامة لا توحِّد الطبائع، فبطرس ويوحنا يتساويان في الكرامة الواحد مع الآخر، في كونهما رسولين وتلميذين مقدسين، لكن الاثنين ليسا شخصاً واحداً! كما أننا لا نرى أن طريقة الاتصال هى وفقاً للمجاورة لأن هذه لا تكفي لتحقيق الاتحاد الطبيعى، ولا وفقاً لمشاركة اعتبارية مثلما نلتصق نحن بالرب كما هو مكتوب إننا روح واحد معه (انظر ١كو٦: ١٧)، لكننا نرفض تعبير "الاتصال" لأنه لا يعتبر كافياً للدلالة على الاتحاد. كما أننا لا نتكلم عن كلمة الله الآب كإله أو رب للمسيح، حتى نتحاشى أن نقطع المسيح الواحد إلى اثنين، الابن والرب، فلا نسقط في التجديف الأحمق بجعله إلهه وربه. وكما قلنا سابقاً، فإن كلمة الله قد اتحد بالجسد أقنومياً، فهو إله الكون ورب الجميع الذي يحكم الكل، وليس هو عبد لنفسه ولا سيد لنفسه (انظر يو١٣: ١٢-١٦). وأن يعتقد أحد بهذا ويقوله هو أكثر حماقة وهو أيضاً تجديف. وقد قال إن الله أباه (انظر يو٢٠: ١٧)، رغم أنه هو إله

بالطبيعة ومن جوهر أبيه. ومع ذلك نحن ندرك أنه مع كونه إلهاً فإنه قد صار إنساناً أيضاً خاضعاً لله حسب قانون الطبيعة الإنسانية. لكن كيف يصير إلهاً أو سيداً لنفسه؟ لذلك كإنسان، وفيما يختص بما هو لائق لشروط إخلائه لنفسه (انظر في ٢: ٧-٨)، فهو نفسه يقول إنه خاضع لله مثلنا. وهكذا هو أيضاً "ولد تحت الناموس" (غل٤: ٤)، رغم إنه كإله هو معلِن الناموس وهو واضع الناموس.

٦- ولكننا نرفض أن نقول عن المسيح: "بسبب ذلك الذي ألبس أعبد اللابس، وبسبب غير المنظور أعبد المنظور". إنه أمر بشع أن يقال أيضاً: "إن المتَخَذ، يدعى الله مع الذي اتخذه"[٢٥٤]. فالذي يقول ذلك، يقسم المسيح الواحد إلى اثنين، وبالتالى فإنه يجعل الناسوت واللاهوت مفترقين أيضاً. والذي يقول ذلك ينكر الاتحاد الذي بمقتضاه لا يُسجد للواحد مع الآخر أو يدعى الله، ولكن المقصود هو الواحد المسيح يسوع، الابن الوحيد الجنس، الذي يكرم بسجدة واحدة مع جسده الخاص. ونحن نعترف أنه هو الابن المولود من الله الآب، والإله المولود الوحيد، ورغم أنه غير قابل للألم بحسب طبيعته الخاصة، فقد تألم من أجلنا في جسده الخاص حسب الكتب، وفي جسده المصلوب وهو غير القابل للألم جعل آلام جسده آلامه هو. لأنه بنعمة الله ولأجل الجميع ذاق الموت (انظر عب ٢: ٩)، بإخضاع جسده الخاص للموت

[254] Loofs, Nestoriana, p, 262.3,4,11, and 12.

رغم أنه بحسب الطبيعة هو الحياة وهو نفسه القيامة (انظر أع ٤: ٢). ولكي بواسطة قوته الفائقة بعد أن داس الموت في جسده الخاص يصير أولاً "البكر من الأموات" (كو ١: ١٨) و"باكورة أولئك الذين رقدوا" (١كو ١٥: ٢٠)، لكي يمهد السبيل إلى قيامة عدم الفساد أمام طبيعة الإنسان (انظر ١كو ١٥: ٥٣)، وبنعمة الله، كما سبق أن قلنا، ذاق الموت لأجل الجميع، ولكنه قام حياً في اليوم الثالث بعد أن سلب الجحيم. والنتيجة أنه، حتى إن كان يمكن أن يقال عن قيامة الأموات أنها صارت "بواسطة إنسان" (انظر يو١١ :٢٥)، فلا نزال نفسر هذه العبارة بأنها تعني كلمة الله المتأنس الذي حل سلطان الموت. وهو سيأتي في الوقت المناسب كالابن الواحد والرب في مجد أبيه ليدين المسكونة بالعدل كما هو مكتوب (انظر مز ٩٨: ٩، أع ١٧: ٣١).

٧- ولكن من الضروري أن نضيف هذا أيضاً. في إعلاننا بموت ابن الله الوحيد حسب الجسد (انظر ١كو ١١: ٢٦) أي موت يسوع المسيح، فإننا نعترف بقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات، حينما نقدم الذبيحة غير الدموية في الكنائس، وهكذا نتقبل البركات الروحية ونتقدس بالتناول من الجسد المقدس والدم الكريم اللذين للمسيح مخلصنا كلنا. ونحن نفعل هذا لا كأناس يتناولون جسداً عادياً، حاشا، ولا جسد رجل متقدس بسبب اتصاله بالكلمة وفقاً لاتحاد في الكرامة، ولا كواحد قد حصل على حلول إلهي، بل باعتباره الجسد الخاص

للكلمة نفسه المعطي الحياة حقاً. ولأنه الله فهو الحياة بحسب طبيعته، ولأنه صار واحداً مع جسده الخاص، أعلن أن جسده معطى الحياة. لأنه رغم أنه يقول: "الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه" (انظر يو٦: ٥٣) لا يجب أن نستخلص من هذا أن جسده هو جسد واحد من الناس مثلنا (لأنه كيف يكون جسد إنسان ما محيياً بحسب طبيعته الخاصة؟)، ولكنه بالحقيقة الجسد الخاص للابن الذي صار إنساناً كما دعى ابن الإنسان لأجلنا.

٨- أما بالنسبة لأقوال مخلصنا في الأناجيل فإننا لا نقسمها إلى أقنومين أو إلى شخصين، لأن المسيح الواحد الوحيد ليس فيه ثنائية رغم أننا نعتبره من عنصرين مختلفين اتحدا في وحدة غير منقسمة، وبنفس الطريقة فإننا مثلاً لا نعتبر أن في الإنسان ثنائية مع أنه يتكون من عنصرين هما النفس والجسد. يجب أن تكون لنا نظرة صحيحة فنعتقد أن الأقوال التي تخصه كإنسان أو تلك التي تخصه كإله هى لمتكلم واحد. فحينما يقول عن نفسه بالألفاظ التي تناسبه كإله: "من رآنى فقد رأى الآب" (يو١٤: ٩) و"أنا والآب واحد" (يو١٠: ٣٠)، نفهم طبيعته الإلهية التي تفوق الوصف التي بحسبها هو واحد مع أبيه بسبب وحدة الجوهر، وهو أيضاً صورته ومثاله وشعاع مجده (انظر عب ١: ٣). ومن ناحية أخرى، فإنه يقدِّر حدود الإنسانية فيقول لليهود: "ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق"

(يو٨: ٤٠)، لكن حدوده البشرية هذه لا تقلل من إدراكنا له بأنه الله الكلمة المساوي والمماثل للآب. لأنه من الضروري أن نؤمن أنه بينما هو الله بالطبيعة، فقد صار جسداً، أى صار إنساناً مُحياً بنفس عاقلة، فلماذا يخجل أي إنسان من أي أقوال تناسب الإنسان، تكون قد صدرت منه؟ لأنه لو كان قد تحاشى الكلمات التي تناسب الإنسان، فما الذي أجبره أن يصير إنساناً مثلنا؟ فلأي سبب يتحاشى –ذاك الذي نزل لأجلنا إلى إخلاء نفسه الاختياري– الكلمات المناسبة للإخلاء؟ وبالتالي تنسب كل الأقوال التي في الأناجيل إلى شخص واحد، إلى أقنوم الكلمة الواحد المتجسد، لأنه بحسب الكتب هناك رب واحد يسوع المسيح (انظر ١كو٨: ٦).

٩- ولكن إن كان يُدعى: "رسول ورئيس كهنة اعترافنا" (انظر عب٣: ١) لأنه يقدم لله الآب اعتراف إيماننا الذي ننقله إليه وبواسطته لله الآب، وأيضاً للروح القدس، كذبيحة لله الآب، فإننا نؤكد ثانية أنه بحسب الطبيعة هو ابن الله الوحيد الجنس. ولا ننسب لقب وحقيقة كهنوته إلى إنسان آخر غيره. لأنه صار وسيطًا بين الله والإنسان (١تى٢: ٥)، ووكيل مصالحة السلام، إذ قدم نفسه لله الآب رائحة طيبة (أف٥: ٢). لذلك قال: "ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً، بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر، ثم قلت هانذا أجئ في درج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله" (عب١٠: ٥-٧ وانظر مز٤٠: ٧-

٩). لأنه قد قدم جسده الخاص رائحة طيبة لأجلنا وليس لأجل نفسه. لأن ما هي حاجته وهو الله السامي تماماً عن الخطية، لتقديم تقدمة أو ذبيحة لأجل نفسه؟! لأنه "إن كان الجميع قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (انظر رو٣: ٢٣) بمعنى إننا معرَّضون للانحراف، وطبيعة الإنسان تضعف تماماً بالخطية. لكن إن لم يكن هذا هو حاله وبالتالي نحن أدنى من مجده، فكيف إذن يبقى هناك شك في أن الحمل الحقيقي قد ذُبح من أجلنا وعوضاً عنا؟ إن القول بأنه قد قدم نفسه من أجل نفسه ومن أجلنا لا يمكن بأى حال أن يفلت من تهمة الكفر. إنه لم يخطئ بأي شكل، ولا فعل أي خطية. إذن، منطقياً، أية ذبائح يحتاجها، إن لم تكن هناك أية خطية تقدم من أجلها ذبيحة.

١٠- ولكن حينما يقول عن الروح: "ذاك يمجدني" (يو١٦: ١٤) فنحن، بصواب نفهم، أنه لا يعني أن المسيح والابن الواحد، كان ينقصه المجد من آخر، فاكتسبه من الروح القدس، وذلك لأن روحه ليس أسمى منه ولا فوقه. ولكنه يقول إنه يمجده لأنه استخدم روحه القدوس للقيام بالأعمال العظيمة ليظهر لاهوته الشخصي، مثلما يتكلم إنسان عادي منا مثلاً عن قوة بدنية أو مهارة معينة له بإنها تمجده. لأنه رغم أن الروح يوجد في أقنوم متمايز، ويُعرَف بالتحديد إنه هو الروح وليس الابن، إلا أنه مع ذلك ليس غريباً عن الابن، لأنه يدعى روح الحق والمسيح هو الحق، والروح يُرسَل منه (انظر يو ١٦: ١٣)، كما أنه

يُرسَل بلا شك من الله الآب أيضاً. لذلك فإن الروح صنع عجائب بأيدي الرسل القديسين بعد صعود ربنا يسوع المسيح إلى السماء، وبذلك مجده. لأنه بواسطة عمله الشخصي من خلال روحه الخاص نؤمن أنه هو الله بحسب الطبيعة. ولهذا السبب قال أيضاً: "لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو١٦: ١٤). ونحن لا نؤكد ولا للحظة أن الروح حكيم وقوى نتيجة المشاركة، لأنه كلي الكمال ولا ينقصه أي صلاح. ولكن حيث إنه روح قوة الآب وحكمته أي روح الابن، فهو بكل الحق الحكمة والقوة المطلقة.

١١- وحيث إن العذراء القديسة ولدت جسدياً، الله متحداً بالجسد حسب الأقنوم، فنحن نعلن أنها والدة الإله، ليس أن طبيعة الكلمة تأخذ بداية وجودها من الجسد لأنه (أي الكلمة) كان في البدء، والكلمة كان الله، وكان الكلمة عند الله" (يو١: ١)، وهو بشخصه خالق الدهور، وهو أزلي مع الآب، وخالق كل الأشياء. لكن، لأنه كما سبق وقلنا إنه إذ وحَّد الإنساني بنفسه أقنومياً، وجاز الولادة الجسدية من بطنها، فلم تكن هناك ضرورة لميلاد زمني وفي آخر الدهور، لطبيعته الخاصة. لقد وُلد لكي يبارك أصل وجودنا نفسه، ولكي بولادته من امرأة حينما يتحد بالجسد ترفع عن كل الجنس (البشري) اللعنة التي ترسل أجسادنا من الأرض إلى الموت، وبواسطته أبطل القول: "بالوجع تلدين أولاداً" (تك٣ : ١٦) لكي يظهر صدق قول النبي: "الموت إذ قوى قد ابتلعهم"

(من الترجمة السبعينية هو١٣: ١٤)، وأيضاً: "يمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه" (أش٢٥: ٨). هذا ما يجعلنا نؤكد أنه هو شخصياً قد بارك الزواج بتجسده وباستجابته للدعوة للذهاب إلى قانا الجليل مع الرسل القديسين.

١٢- لقد تعلمنا أن نعتقد بهذه الآراء من الرسل القديسين والبشيرين، ومن كل الأسفار الموحى بها، ومن الاعتراف الصادق لآبائنا المباركين. إنه من الضروري أن تقواك أيضاً ترضى بكل هذه وتوافق على كل واحدة بدون خداع. إن ما يلزم أن تحرمه تقواك قد ألحق بهذا الخطاب المرسل منا.

ملحق رقم (٢)

مخطوطة قبطية نادرة عن مجمع أفسس ٤٣١م

في زيارتنا لمدينة فيِّنا بالنمسا بصحبة قداسة البابا شنودة الثالث، من أجل تدشين بعض الكنائس هناك، وذلك في ٨-٧-٢٠٠٤م، وفي زيارتنا للمكتبة الوطنية بالنمسا، أهدتنا المكتبة صورة لصفحة من مخطوطة قبطية نادرة، يعود تاريخها للقرن الثامن. وهذا هو تعليق المكتبة على المخطوطة، نشرته على موقعها الالكتروني مع صورة المخطوطة:

> دعا الإمبراطور ثيئودوسيوس الثاني لعقد المجمع المسكوني المشهور الآن، في أفسس (٤٣١م)، الذي كان هدفه الأساسي إدانة تعاليم نسطور، ويرجع الفضل الأول في ذلك للقديس كيرلس بطريرك الإسكندرية. كانت أعمال المجمع ونتائجه على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للكنيسة المصرية... لدرجة أنه في القرن الثامن أُنجزت مخطوطة فخمة للترجمة القبطية لأعمال المجمع. والورقة المزدوجة في مجموعة برديات (P. Vindob. K. 381) هي الشاهد الوحيد الباقي.

يحتوي هذا الجزء على أسماء ثلاثين تلميذًا ليوحنا بطريرك أنطاكية الذي قاوم إدانة نسطور. تقدم لنا أيضًا ورقة المخطوطة الرِّقية، رسالة دورية مؤثرة جدًا لكيرلس ضد يوحنا، لكي يحظى بمؤيدين...، كما توضح النتيجة.
اليوم نحن أيضًا شهود لما حدث في المجمع، ونستطيع أن نفهم أهمية المجمع في تاريخ الكنيسة، خاصة بالنسبة للكنيسة القبطية.
كُتبت أعمال المجمع باللغة اليونانية ولابد أن تكون قد تُرجمت إلى القبطية بعد انعقاد المجمع مباشرة.

وقد قمنا بفحص الأسماء المُدَوَّنة في هذه المخطوطة ومقارنتها بالمراجع التي نشرت أسماء الأساقفة الذين ظلوا في الجانب المضاد للمجمع المسكوني في أفسس ٤٣١م، منحازين إلى البطريرك يوحنا الأنطاكي لحين المصالحة بينه وبين القديس كيرلس الكبير في ٤٣٣م.
تحوي المخطوطة ٣٥ اسمًا هم أسماء الموالين ليوحنا الأنطاكي الذين رفضوا الانضمام للمجمع المسكوني لإدانة نسطور، حسب المقدمة التي ذكرها آباء المجمع قبل القوانين[٢٥٥]. وقد قرروا فيها أن هؤلاء

[255] *The Canons of the Two Hundred and Blessed Fathers Who Met at Ephesus*, vol. 14 of NPNF, 2nd. Ser, p. 225.

الأشخاص يعتنقون آراء نسطور؛ لذلك قرر المجمع خلعهم من مناصبهم الكنسية.

لدينا ثلاث قوائم لهؤلاء الأشخاص: قائمة موجودة في مجموعة "آباء نيقية وما بعد نيقية *NPNF*"، وأخرى في "تاريخ المجامع المسيحية Hefele"[٢٥٦]، والثالثة هي التي تحويها المخطوطة القبطية التي نحن بصددها الآن. هناك اختلاف بسيط بين الثلاث قوائم، يرجع السبب فيه إلى أن هذه القائمة كانت تتذبذب بين الزيادة والنقصان لأن بعض الأفراد كانوا ينضمون ليوحنا الأنطاكي ثم يعودون مرة أخرى للمجمع المسكوني. وربما يكون قد حدث العكس أيضًا. ففي أول جلسة للمجمع المضاد كان عدد الذين وقّعوا ٤٣.

- من جهةٍ توجد قائمة بهذه الأسماء في *NPNF, The Canons of the Two Hundred Holy and Blessed Fathers Who Met at Ephesus* وتحوي ٣٥ اسمًا.

هناك ٣ اسماء في القائمة غير موجودين في المخطوطة، وهم فالنتينوس (of Mutloblaca)، وثيئوفانيس وبوليوس.

- توجد قائمة أخرى في هيفيلي Hefele: تحوي ٣ أسماء غير موجودين في المخطوطة: فالنتينوس وثيئوفانيس وبالاديوس.

[256] Hefele, vol. 3, p. 58, 67-8.

- تحوي المخطوطة اسم غير موجود في أي من القائمتين الأخريين وهو ترانكلينوس.

من هذه المعلومات نخلص إلى الآتي:

من المُرَجَّح أن الأسماء المذكورة في *NPNF* وهيفيلي وغير مذكورة في المخطوطة القبطية، ربما كانت لأشخاص من المؤيدين لجانب يوحنا الأنطاكي، في وقت كتابة أعمال المجمع الكبير باللغة اليونانية، لكن من المحتمل أن يكونوا قد انضموا للقديس كيرلس مؤخرًا. ولذلك فأسماؤهم موجودة في الأصول اليونانية وغير موجودة في المخطوطة القبطية التي نُسخت بعد المجمع.

وأيضًا نستنتج من احتواء المخطوطة على اسم ترانكلينوس وعدم وجوده في القائمتين الأخريين؛ أن ذلك الشخص انضم ليوحنا الأنطاكي في وقت لاحق.

هكذا نجد أن هذه المخطوطة القبطية تحوي القائمة النهائية بعد استقرار الأوضاع.

ترجمة لمخطوطة مجمع أفسس

من القبطية الصعيدية

إبتداءً من ذكر اسم يوحنا الأنطاكي (في آخر العمود الأول) ثم من تبعوه من أساقفة الإيبارشيات الذين انشقوا على مجمع أفسس

Ⲓⲱϩⲁⲛⲛⲏⲥ ⲛⲧⲁⲛⲇⲓⲟⲭⲓⲁ		يوحنا من أنطاكيا ....
Ⲁⲗⲉⲝⲁⲛⲇⲣⲟⲥ ⲛⲁⲡⲁⲙⲓⲁ		ألكسندروس من أباميا......................
Ⲁⲗⲉⲝⲁⲛⲇⲣⲟⲥ ⲛⲓⲉⲣⲁⲡⲟⲗⲓⲥ		ألكسندروس من يرابوليس...............
Ⲉⲗⲗⲁⲥⲓⲟⲥ ⲛⲧⲁⲣⲥⲟⲥ		ايلاسيوس من طرسوس.................
Ⲡⲉⲧⲣⲟⲥ ⲛⲧⲣⲁⲓⲛⲟⲩⲡⲟⲗⲓⲥ		بطرس من ترانوبوليس....................
Ⲉⲩⲑⲩⲣⲓⲟⲥ ⲛⲇⲩⲁⲛⲟⲛ		ايفثيريوس من ذيانون......................
Ⲁⲡⲣⲓⲡⲕⲓⲁⲛⲟⲥ ⲛⲭⲁⲗⲕⲧⲟⲥ		ابربكيانوس من خالكتوس.................
Ⲍⲱⲥⲏⲥ ⲛⲥⲉⲃⲟⲩⲛⲧⲟⲥ		زوسيس من سيفوندوس...................
Ⲏⲥⲩⲭⲓⲟⲥ ⲛⲕⲁⲧⲁⲃⲁⲗⲏⲥ ⲛⲧⲕⲓⲗⲓⲕⲓⲁ		إسيخيوس من كاتافاليس بـ كيليكيا........
Ⲫⲓⲗⲓⲡⲡⲟⲥ ⲛⲑⲉⲱⲇⲟⲥⲓⲁⲛⲟⲛ		فيليبُس من ثيوذوسيانون....................
Ⲓⲟⲩⲗⲓⲁⲛⲟⲥ ⲛⲁⲣⲓⲇⲟⲥ		يوليانوس من أريذوس......................
Ⲕⲩⲣⲓⲗⲗⲟⲥ ⲙⲛⲟⲗⲓⲟⲥ[257]		كيرلس من نوليوس........................
Ⲙⲟⲩⲥⲁⲓⲟⲥ ⲁⲅⲣⲏⲛⲟⲩⲡⲟⲗⲓⲥ		موسيوس من أغرينوبوليس...............
Ⲓⲱϩⲁⲛⲛⲏⲥ ⲛⲇⲁⲙⲁⲥⲕⲟⲥ		يوحنا من داماسكوس (دمشق)............
Ⲑⲉⲱⲇⲟⲣⲏⲧⲟⲥ ⲛⲕⲩⲣⲟⲥ		ثيوذوريتوس من كيروس.................
Ⲙⲁⲝⲓⲙⲟⲥ ⲛⲁⲍⲁⲣⲃⲟⲩ		مكسيموس من أزاربو......................
Ⲡⲁⲩⲗⲟⲥ ⲛⲉⲙⲓⲥⲏⲥ		بافلوس من إيميسيس........................
Ⲙⲉⲗⲓⲧⲓⲟⲥ ⲛⲧⲛⲉⲱⲕⲉⲥⲁⲣⲓⲁ		ميليتيوس من نيو كيساريا (قيصرية الجديدة)...
Ⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲥ ⲛⲧⲛⲟϭ ⲛⲗⲁⲟⲇⲓⲕⲓⲁ		مكاريوس من تنو بـ لاوديكيا.............
Ⲥⲁⲗⲟⲩⲥⲧⲓⲟⲥ ⲛⲕⲱⲣⲓⲁ(ⲛ)ⲟⲩ ⲛⲧ ⲗⲓⲕⲓⲁ		سالوستيوس من كوريانو بـ ليكيا..........

[257] يوجد حرف غير واضح هنا، يمكن أن يُقرأ الاسم إما ⲙⲏⲟⲗⲓⲟⲥ أو ⲙⲛⲟⲗⲓⲟⲥ

Ⲟⲩ..ⲧⲓⲛⲟⲥ ⲛⲱ..ⲕⲏⲥ		وا(لنتيـ)نوس من أو(..)كيس..............
Ⲇⲁⲛⲓⲏⲗ ⲙⲫⲁⲩⲥⲧⲓⲛⲟⲩⲡⲟⲗⲓⲥ		دانييل من فافستينوبوليس..................
Ⲱⲗⲩⲙⲡⲓⲟⲥ ⲛⲧⲁⲣⲓⲁⲓⲛⲟⲥ[258]		أوليمبيوس من تاريانوس..................
Ⲇⲓⲱⲕⲉⲛⲏⲥ ⲛⲁⲩⲅⲟⲩⲥⲧⲟⲥ		ذيوكينيس من أفغوستوس.................
Ⲉⲗⲗⲁⲧⲓⲟⲥ ⲙⲡⲇⲟⲗⲙⲁⲉⲓⲥ		ايلاتيوس من ابتولمايوس..................
Ⲉⲩⲥⲧⲁⲑⲓⲟⲥ ⲙⲡⲁⲣⲛⲁⲥⲟⲥ		افستاثيوس من بارناسوس.................
Ⲁⲩⲣⲏⲗⲓⲟⲥ		أفريليوس......................................
Ⲑⲉⲱⲇⲱⲣⲟⲥ ⲙⲙⲁⲣⲕⲉⲓⲟⲛⲟⲩⲡⲟⲗⲓⲥ		ثيوذوروس بـ ماركيانوبوليس.............
Ⲧⲣⲁⲅⲕⲩⲗⲓⲛⲟⲥ ⲛϩⲩⲙⲉⲣⲟⲥ ⲛⲛⲓⲕⲱⲙⲏⲇⲓⲁ[259]		ترانكيلينوس هيميروس بـ نيكوميديا.......
Ⲇⲉⲝⲓⲁⲛⲟⲥ ⲛⲫⲣⲓⲧⲓⲗⲁ ⲛϩⲏⲗⲁⲕⲣⲓⲁ[260]		ذيكسيانوس من فريتيلا بـ هيلاكريا........
Ⲡⲟⲗⲩⲭⲣⲱⲛⲓⲟⲥ ⲛϩⲏⲣⲁⲕⲗⲉⲱⲡⲟⲗⲓⲥ		بوليخرونيوس من هيراكليوبوليس.........

---

[٢٥٨] يذكر هيفيلي أن تاريانوس (Tarianus (Trajanus of Augusta شخص قائم بذاته:
Hefele, vol. 3, p. 58.
In *The Canons of the Two Hundred and Blessed Fathers Who Met at Ephesus,* vol. 14 of *NPNF*, 2nd Ser, p. 225, and also in Hefele, p. 67.
في القائمتين المذكورتين نجد أن اوليمبيوس وتاريان شخصان منفصلان. أما في المخطوطة فيظهر الاسمان متلاصقين فربما يكون الاسم الثاني اسم بلد.

[259] In vol. 14 of *NPNF*, 2nd Ser, p. 225, and also in Hefele, vol. 3, p. 58, 67 Himerius of Nicomedia is listed as one person.
في القائمتين المذكورتين يُذكر هيميريوس النيقوميدي كشخص واحد.
Also in M. U. Bouriant, *Mémoires: Actes Coptes Du Concile D'Éphèse*, ed. Ernest Leroux (Cairo: Mission Archèologique Francaise, 1832), p. 38 Trankilios and Himerius of Nicomedia are both also listed as two separate people.
أيضًا في أعمال أفسس المنشورة بالقبطية والفرنسية يظهر ترانكيليوس و هيميريوس النيقوميدي كشخصين منفصلين.

[260] In vol. 14 of *NPNF*, 2nd Ser, p. 225, and also in Hefele, vol. 3, p. 58, 67 both Dexianus and Fritilas of Heraclea are listed as two separate people. In Bouriant p. 38, Fritilas of Heraclea again is listed as one person.
في القائمتين المذكورتين نجد ديكسيانوس وفريتيلاس الهرقلي شخصين منفصلين. في أعمال أفسس المنشورة بالقبطية والفرنسية نجد فريتيلاس الهرقلي مرة أخرى شخص واحد.

المجمع المقدس الكبير المسكوني الذي بارك ميتروبوليتية (أي مطرانية/ المدينة الأم) أفسس. بنعمة الله أُمرنا من فم محبي الإله ثيئودوسيوس و(من فم محبي الإله) فالنتينوس المنتصرين والمبجلين، أن نكتب إلى الإيبارشيات الرومانية لكي يأتوا بسلام من الرب ويجتمعوا مع بعضهم البعض في ميتروبوليتية أفسس بحسب أمر محبي الإله. وإن ظهر أحد كمنشق كالثلاثين الذين كانوا مع يوحنا الأنطاكي والذين قطعنا انشقاقهم، (و) هؤلاء الذين يجب أن نظهر لكم أسماءهم وهم: يوحنا الأنطاكي ومكاريوس ويوليانوس والكسندروس و(ابر)بكيون. هؤلاء الخمسة الذين أخذوا معهم هراطقة آخرين وابتدأوا يمدحون ويُظهرون هرطقة نسطوريوس. ويذكرون (انتهى نص الصفحة من المخطوطة).

تعليق على المخطوطة:

هذه المخطوطة هي وثيقة هامة ضمن الوثائق القبطية غير المنشورة، التي تُكمل الكتاب المطبوع للمخطوطة الوحيدة المنشورة لأعمال مجمع أفسس باللغة القبطية[٢٦١]. إذ أنها تحوي قائمة بأسماء الأساقفة الذين تبعوا يوحنا الأنطاكي (قبل المصالحة مع القديس كيرلس) وساندوا نسطور ورفضوا إدانته. وقد حذَّرهم المجمع والإمبراطور. فتتميز المخطوطة باحتوائها على ما يلي:

- قائمة الأسماء
- تحذير الأساقفة الثلاثين لكي يرجعوا عن مساندتهم لنسطور وهرطقته.
- اسم الامبراطورين، وتحذير المجمع والملك المُوَجه إلى الـــ٣٥ أسقفًا إن لم يرجعوا عن مساندتهم لنسطور بالقطع من شركة الكنيسة.

لا يفوتنا أن نشكر د. رشدي واصف الأستاذ بالكلية الاكليريكية لقيامه بترجمة المخطوطة من اللغة القبطية الصعيدية إلى اللغة العربية. وعلى الملاحظات القَيِّمة التي أرسلها لنا بشأنها.

---

[261] M. U. Bouriant, *Mémoires: Actes Coptes Du Concile D'Éphèse*, ed. Ernest Leroux (Cairo: Mission Archèologique Francaise, 1832).

ملحق رقم (٣)

مشاركة الآباء المطارنة والأساقفة وعلماء من الكنائس الأخرى في الرد على الدكتور يوسف زيدان

- رسالة من نيافة الأنبا هدرا مطران كرسي أسوان ورئيس دير الأنبا باخوميوس بحاجر إدفو
- رسالة من نيافة الأنبا موسى أسقف الشباب
- رسالة من نيافة الأنبا دانييل أسقف سيدني وشمال شرق آسيا
- رسالة من الأرشمندريت د. يعقوب خليل، وكيل عام مطرانية صور وصيدا للروم الأرثوذكس بلبنان

حضرة صاحب النيافة الحبر الجزيل الاحترام

نيافة الأنبا بيشوي

قبلة روحية مع تقبيل يمينكم المباركة، راجيًا أن يمتعكم المسيح إلهنا بكامل الصحة والقوة.

لقد كانت سعادتي كبيرة عند قراءتي لكتاب نيافتكم **الرد على البهتان في رواية د. يوسف زيدان** "**عزازيل**"، والذي هو بحق بحث عميق وشيِّق في عِلم اللاهوت الأرثوذكسي السليم وفي تاريخ كنيستنا المقدسة وفي أقوال الآباء.

وجاء هذا البحث معتمدًا على مراجع موثَّقة في كل فروع المعرفة الكنسية. ويجب على كنيستنا المحبوبة أن تقدم لنيافتكم الشكر الجزيل على هذا الكتاب القيّم بالحقيقة.

وفي غيرة مقدّسة دافعتم عن آباء الكنيسة الذين أتّهِموا ظلمًا في هذه الرواية العجيبة "عزازيل"، والتي من بدايتها إلى نهايتها تكيل الاتهامات الباطلة على كنيستنا المقدّسة التي نفخر بها وبآبائها العظام المدافعين عن الإيمان المستقيم ونعتزّ برهبانها القدّيسين الذين صاروا أنوارًا للعالم كله بسيرتهم الطاهرة.

وجاءت رواية عزازيل لتشوّه صورة الرهبنة النقيّة من خلال الراهب هيبا المنحرف إيمانيًا وعقائديًا وسلوكيًا حتى صار مثال للراهب الفاشل تمامًا. والحقيقة أنه شخصية خياليّة في رواية غير واقعيّة بالمرّة.

كما أن رواية عزازيل مجّدت كثيرًا في شخصيات الهراطقة الذين حرمتهم الكنيسة وحرمت بدعهم وتعاليمهم الفاسدة.

بل إن رواية "عزازيل" عن عمدٍ وقصدٍ واضح شوّهت التاريخ الكنسي وأظهرت المسيحيين وكأنهم مجموعة من الرعاع الهمج القتلة يفرحون بسفك دماء الوثنيين.

لذلك كان يجب على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية -والمعني بها في هذه الرواية العجيبة- أن تتصدى لما جاء فيها وتناقش أدق التفاصيل وترد على الإفتراءات التي إمتلأت بها رواية "عزازيل" للمؤلف د. يوسف زيدان.

لأن السكوت عليها يُظهر كنيستنا وكأنها لا تملك الأسانيد والحجج الموثّقة التي تدحض الصورة المشوّهة جدًا التي أحزنت قلوبنا وأدمتها من كثرة السهام المسمومة التي جرحتنا حتى الأعماق.

ولذلك جاء كتاب **الرد على البهتان في رواية د. يوسف زيدان** "**عزازيل**" لنيافة الأنبا بيشوي بلسمًا شافيًا مداويًا جراحاتنا التي أوجعتنا جدًا، ولنجد في كتاب نيافته الحقيقة الساطعة كالشمس والغيرة المقدسة على مقدساتنا وإيماننا وعقيدتنا وآبائنا وتاريخ كنيستنا المجيدة.

فشكرًا لنيافتكم على هذا المجهود الذي يفوق طاقة البشر. وأيضًا جاء الرد في وقت قياسي حتى لا تكون هناك مساحة من الوقت تنتشر فيه هذه الرواية المفبركة وتستقر في وجدان القارئ وكأنها حقيقة واقعية، وبخاصة بعد أن حصلت على جائزة أدبية.

فجاء كتابكم هذا في وقته المناسب وفي دفاع قوي موثَّق بالأدلّة الدامغة والمراجع المعتمدة عالميًّا.

أخيرًا نهنئ نيافتكم بهذا العمل الرائع الذي فرحنا به جدًا واستفدنا منه روحيًّا وعلميًّا وثقافيًّا.

حاللني يا سيدنا راجيًا أن تذكر ضعفي في صلاتك.

٢٠٠٩/٦/١٨

نيافة الحبر الجليل/ الأنبا بيشوي

محبة روحية لنيافتكم، ملتمسًا صلواتكم المقدسة...

أشكر نيافتكم من أجل كتابكم الهام: "**الرد على البهتان في رواية يوسف زيدان**"، حيث قمتم نيافتكم بإظهار كيف أن هذه الرواية تخلط بين الأدب الروائي والخيال، وبين الثوابت التاريخية الموثَّقة، مع قلب للحقائق الرئيسية في الإيمان المسيحي رأسًا على عقب، يجعل من الهراطقة قديسين وعلماء لاهوت مسيحي، ومن آبائنا الأطهار قتلة ومجرمين!! وذلك في تزوير واضح للحقائق العلمية والتاريخية، وفي إيراد مغالطات غاية في الخطورة، كانت في حاجة إلى من يتصدَّى لها، وهذا ما قمتم به نيافتكم في هذا الكتاب خير قيام، وهذه بعض الأمثلة:

١. الادعاء بأن **البابا ألكسندروس السكندري قتل آريوس الهرطوقي**، بينما كان البابا قد تنيح قبل موت آريوس بثماني سنين.

٢. القول بأن **آريوس مات مسمومًا**، وفي نفس الوقت بأن أحشاءه خرجت منه.

٣. القول بأن **الإمبراطور قسطنطين ترأس مجمع نيقية**، وهو الأمر الخاطئ تاريخيًا وعلميًا ولاهوتيًا.

٤. الادعاء بأن **قسطنطين أحرق الأناجيل الحقيقية وأبقى الأربعة أناجيل الحالية (المزورة)**... وهذا ترديد أعمى لما قال به "دان براون" صاحب رواية "شفرة دافنشي"... وهو الأمر الخاطئ تاريخيًا وعلميًا ووثائقيًا.

٥. الادعاء بأن **القديس ثيئوفيلس أمر بهدم معبد سيرابيوم على رؤوس الوثنيين الذين كانوا فيه**... الأمر الذي يأباه المنطق المسيحي ويرفضه التاريخ العلمي الموثَّق.

٦. الادعاء بأن **البابا كيرلس عمود الدين حرَّض الغوغاء على قتل هيباتيا**، وهو من أهم آباء الكنيسة الذين قدَّموا لنا المسيحية الأمينة حياةً ولاهوتًا وكتابةً.

٧. الادعاء بأن **أسفار موسى الخمسة لم تُدَوَّن إلاَّ بعد السبي**، بينما تشهد أديان التوحيد الثلاثة، بأن كاتبها هو موسى النبي.

٨. **تشويه صورة الرهبنة**، بينما كان الأنبا أنطونيوس هو سبب نشر الرهبنة في كل العالم المسيحي، وكانت الرهبنة وستظل إحدى ركائز المسيحية الهامة عبر التاريخ، قدوةً وسلوكًا وقداسةً وأقوال آباء.

٩. **التشكيك في مجيء العائلة المقدسة إلى مصر**، الأمر الثابت في الإنجيل المقدس والتاريخ المسيحي والعالمي.

١٠. **تحويل نسطور الهرطوقي إلى قديس لاهوتي مسيحي** وهو المحروم من كل المسيحيين في العالم على مدى التاريخ، بسبب تعاليمه الخاطئة.

١١. الادعاء بأن **المسيحيين في الإسكندرية خربوها وقتلوا اليهود والوثنيين** بعد نياحة القديس كيرلس، وهو ادعاء يجافي المسيحية والعِلم.

✞✞✞

إن هذه الرواية التي تدعي أنها أدب خيالي فيها **هدم لأساسات المسيحية**، إذ **خلطت الخيال بالواقع، والشخصيات الروائية بالحقيقية، والتاريخ السليم بالادعاءات الباطلة**، بل أنها تكاد تكون دعوة لعدم الإيمان بالأديان والروحيات السامية.

لهذا أشكر نيافتكم على دراستكم المباركة التي استمتعت بها كثيرًا.

والرب يحفظ كنيسته بشفاعة أمنا العذراء وصلوات راعينا الحبيب قداسة البابا شنودة الثالث. وعندنا وعد المسيح له المجد لكنيسته أن "**أَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا**" (مت ١٦: ١٨).

٢٠٠٩/٧/٧ **الأنبا موسى**

الأسقف العام للشباب

القاهرة في يوم السبت المبارك ٧ بابه ١٧٢٦ ش، الموافق ١٧ أكتوبر ٢٠٠٩م.

تذكار نياحة القديس العظيم الأنبا بولا الطموهي.

حضرة صاحب النيافة الحبر الجزيل الاحترام والمكرم بكل نوع، والمدافع عن الإيمان المستقيم الأنبا بيشوي ...

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري، رئيس دير الشهيدة العفيفة الطاهرة دميانة وسكرتير المجمع المقدس لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

بعد تقديم مطانية الخضوع والاحترام ولثم يمينكم الطاهر، طالبًا بركة صلوات نيافتكم عن ضعفي وشعبكم المحب في سيدني باستراليا وشمال شرق آسيا.

الموضوع : خطاب شكر وامتنان على كتابكم القيم والذي حمل عنوان "الرد على البهتان في رواية يوسف زيدان" <الطبعة الثالثة>. والذي تضمن بحثًا وثائقيًا تاريخيًا لمواجهة "عزازيل"، الرواية التي نشرها الدكتور يوسف زيدان.

نيافة الأنبا بيشوي ...

الحقيقة إن هذا البحث عمل متكامل، ودراسة هامة جدًا جاءت في وقتها ويرقى إلى مستوى أعلى من مجرد كلمة بحث فهو يستحق أن يكون رسالة من الرسالات العلمية ذات الدرجات العالية.

أود أن أقول إنه بحث متكامل لأنه شمل كل نقاط البحث العملي المتبع في المواصفات العالمية ، فهذا البحث القيم شمل:

أ- **(مقدمة البحث):** والتي كانت رائعة، ذكرتم فيها نيافتكم الأهداف الهدَّامة في رواية الدكتور يوسف زيدان التي استخدم فيها الأدب الروائي بكتابة أقوال على لسان بعض الشخصيات الحقيقية في تاريخ المسيحية، كما ذكر أحداثًا تاريخية نسبها إليهم أيضًا بغرض تشويه سمعة وصورة وعقيدة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كنيسة الإسكندرية، بل واتهام أبطالها العظام – كذبًا – باتهامات زور وبهتان.

إن بحثكم القيم أتى في ثلاثة أبواب: الباب الأول عشرة فصول والباب الثاني خمسة فصول والباب الثالث خمسة فصول.

وكانت مجمل صفحات الكتاب ٣٨٢ صفحة، وهذا بالحقيقة يدل علي جهد عظيم.

ب- **(مشكلة البحث):** إن رواية زيدان، وفي هذا الوقت بالذات، قد أساءت ليس فقط إلى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية – كنيسة الإسكندرية – بل قد أساءت إلى كل الأديان، بأن أوحت من خلال سطورها بأن: الله من صنع البشر وكذلك الشيطان.

ت- **(أهمية البحث):** إن هذا البحث في غاية الأهمية، إنه أتى للدفاع عن كنيسة الإسكندرية وأبطالها العظام؛ بأن ألقى الضوء على الحقائق التاريخية الموثقة عالميًا، وليس البهتان في رواية زيدان، وأتى في وقت قياسي بعد ظهور رواية زيدان ببضعة شهور لكي لا يستشري الفكر الخاطئ في الرواية في أذهان القراء.

ث- **(هدف البحث):** بالحقيقة كانت أهداف البحث رائعة نذكر منها:

- الإنسانية: فالصداقة الإنسانية شئ عظيم والذي يخون الصداقة يسقط من نظر الإنسان: قال قداسة البابا شنودة الثالث أطال الرب حياته: "نحن خُلقنا لنحب الخير ونحب الغير ونحب الخير للغير". والدكتور زيدان لم يحترم الصداقة التي قُدمت له في مكان من أقدس أماكننا – دير

الشهيدة العفيفة دميانة – عندما استضفته هناك يا سيدي، فخرج يهاجم من قدَّم له الخير، ليس هو فقط، بل وكنيسته الحبيبة أيضًا، والتي قال عنها أحد عمالقة الأدب العربي وهو مسلم: "إن كنيسة الإسكندرية هي مجد مصري قديم".

- هدف تاريخي: وهو تصحيح الأخطاء التاريخية الخطرة في رواية زيدان والتي تبلبل الأذهان.
- هدف دفاعي: وهو التصدي للأخطاء الخطرة في الرواية والتي لم تنل فقط من أبطال إيمان كنيستنا القبطية العظام مثل: البابا ألكسندروس والبابا كيرلس عمود الدين، بل هاجمت أيضًا قانون إيماننا المقدس الذي أقرَّه الآباء العظام الـــ ٣١٨ في نيقية عام ٣٢٥م. وهدف آخر هو الدفاع عن الرهبنة العظيمة والتي ابتدأها القبطي المصري المسيحي الأرثوذكسي القديس أنطونيوس الذي تلقبه الكنيسة المقدسة بلقب "العظيم".
- هدف ديني وهو التصدي لدعوة الإلحاد الغير مباشرة التي ذكرها زيدان في روايته. وهنا أتذكر المحاضرة القيمة التي ألقيتها نيافتكم على طلبة الكلية الإكليريكية في ألمانيا

بأوروبا، في فبراير عام ٢٠٠٦، وكنت حينها في صحبة نيافتكم، وكيف أن نيافتكم أثبتم وجود الله ليس من الكتاب المقدس، بذكركم خمس نقاط تدل على وجود الله وهي: وجود المادة، وجود نظام في العالم، وجود الحياة، وجود الشريعة الأدبية ووجود الحركة.

- وأما الهدف الاجتماعي فهو التوصية على احترام شريعة الأسرة وأهميتها، وليس العيش في مجتمع كما تخيله زيدان أن نكون كالحمام في علاقتنا مع الآخرين.

ج-**(الدراسات السابقة)**: لقد وردت دراسة سابقة تحمل عنوان: "رواية عزازيل جهل بالتاريخ أم تزوير للتاريخ" لكاتبها القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير – كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد، وهو كتاب قيِّم قام بالرد على رواية زيدان في خمسة فصول فقط وبه ١٣٦ صفحة، ويعتبر بحثكم القيّم يا سيدي تكملة لهذا العمل الذي نُقَدِّر الجهد الذي بذله القمص عبد المسيح ونشكره عليه أيضا. فواحد يغرس وآخر يسقي والله ينمي الكل.

ح-**(حدود البحث)**: لقد عاد بنا يا سيدي بحثكم القيم والتاريخي وأقول العالمي أيضًا إلى القرون الأولى وحتى هذا القرن. وكما كان هكذا

يكون من جيل إلى جيل، فالحروب هي هي، ولكن في كل جيل يستخدم الرب من يدافع عن الحق وعن كنيسته. ففي القرون الأولى استخدم الرب القديس العظيم أثناسيوس الرسولي والقديس العظيم ألكسندروس، أما في هذا القرن فلقد استخدم الرب قداسة البابا شنودة الثالث صاحب الحجة والفهم والحكمة، ونيافتكم صاحب الغيرة المقدسة والعمق اللاهوتي والغوص في بطون المراجع القديمة، أقول لقد استخدمكما للدفاع عن الحق وعن كنيسته المجيدة، الرب يطيل أيامكما.

خ-**(المفاهيم والمصطلحات المفتاحية)**: لقد ذكرتم في بحثكم القيّم معانٍ لمصطلحات هامة منها: "إن الابن مولود غير مخلوق" صفحة ٢٣١، و "لماذا ثلاثة فقط " صفحة ٢٣٣، ومفاهيم أخرى كثيرة في غاية الأهمية، يتشكك فيها الكثيرون من غير المؤمنين.

د- **(منهج البحث)**: لقد استخدم نيافتكم المنهج الوصفي التحليلي وهو يقوم على جمع المعلومات ووصفها وتحليلها منطقيًا، وربطها بعضها ببعض واستنتاج دلائل جديدة. كما استخدمتم نيافتكم المنهج التاريخي عند دراسة تاريخ المجامع المسكونية والمنهج الحواري

عند مناقشة النتائج. وهذا يدل على عقلية جبارة لها غيرة مقدسة وحب لا نهائي للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كنيسة الإسكندرية.

ذ- **(أدوات البحث)**: وتضمنت وسائل جمع المعلومات سواء من الكتاب المقدس أو الموسوعات والقواميس والكتب التي لها علاقة بالموضوع. كما تضمنت أدوات تحليل البيانات مثل: وصف البيانات والربط بينها وإعادة بنائها واستنتاج دلائل جديدة. إن تفكير نيافتكم المرشَد بالروح القدس وبالأدوات التي استخدمت في البحث، **أدى إلى عدم استطاعة أحد أن يرد علي نيافتكم ولا حتى زيدان نفسه، فلم يرد هو ولا غيره على بحثكم حتى الآن.**

ر- **(مصادر البحث)**: لقد اعتمد نيافتكم في كثير من المواضع في البحث على نصوص من الكتاب المقدس من ترجمات عربية وانجليزية ويونانية. كما اعتمد نيافتكم على أقوال آبائنا القديسين وتفسيراتهم مثل: أقوال القديس كيرلس عمود الدين. كما ذكر نيافتكم بعض أقوال وشروحات كُتَّاب معاصرين. إن هذه المصادر أثرت البحث وجعلته بحثًا فريدًا في نوعه.

أبي وسيدي: أود أن أشكر نيافتكم على هذا الجهد المقدر بالرغم من مسئولياتكم الكثيرة في الدفاع عن الكنيسة المقدسة وإيمانها

العظيم وأبطالها العظماء مثل: الأنبا أنطونيوس العظيم مؤسس الرهبنة في العالم، والبابا أثناسيوس الرسولي والبابا كيرلس عمود الدين وغيرهم.

أودّ أن أذكر للتاريخ كشاهد عيان إن نيافتكم ليس مدافعًا عن الكنيسة المقدسة وإيمانها وأبطالها في مصر فقط في ردّكم القيّم على زيدان، بل أيضًا في المحافل العالمية. فببركة قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث ونيافتكم، كنتُ مشاركًا كمراقب فقط في الحوار اللاهوتي بين العائلة الأرثوذكسية التي تتضمن كنيستنا والكنيسة الإثيوبية والكنيسة الإريترية والكنيسة الأرمنية والكنيسة السريانية والكنيسة الهندية مع الكنيسة الكاثوليكية في أرمينيا وسوريا وروما في كل من عام ٢٠٠٧ و٢٠٠٨ و ٢٠٠٩ على التوالي ورأيت بأم عيني كيف ونيافتكم رئيسًا مشاركًا في الحوار تدافع عن الإيمان المسلم مرة للقديسين. رأيت كذلك دقتكم وعدلكم ومحبتكم، الأمور التي أدت إلى احترام الكل لشخصكم الكريم والفاضل.

إن بحثكم القيم أثرى المكتبة القبطية الأرثوذكسية، بل والمكتبات في العالم أجمع. وأتمنى أن تُعطى صورة من هذا البحث رسميًا لمكتبة الإسكندرية لحفظها فيها للأجيال القادمة. وأعتقد أن هذا حق عالمي لن يستطيع أحد أن يرفضه، ولا حتى المسئولين هناك مثل زيدان.

أشكركم مرة أخرى شكرًا خالصًا من عمق قلبي، الرب يحفظ حياتكم.

أتضرع إلى الرب يسوع المسيح إلهنا الصالح ومخلصنا وفادينا بشفاعة السيدة العذراء والدة الإله ودائمة البتولية، وصلوات راعينا الحبيب قداسة البابا شنودة الثالث، أن يحفظ كنيسته إلى أبد الدهور من الهراطقة والهرطقات، وعندنا الوعد العظيم "***على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسًا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام***" **(أش ٦٢: ٦).**

حاللني يا سيدي وصلِ عني.

ابنكم

الأنبا دانييل – أسقف سيدني وشمال شرق آسيا

إلى صاحب النيافة الأنبا بيشوي الكلي الطهر والورع،

أو ّلاً أودّ أن أشكر نيافتك جزيل الشكر، على إهدائك أحدث ثمارك النافعة، كتاب الردّ على البهتان. الكتاب يظهر الجهد والعمل الدؤوب لأجل الحقّ، وفقط لأجل الحقّ، الذي لم تخالطه أيّ مصلحة بشريّة، أو هدف شخصي. وهذا أمر نادر بين اللاهوتيّين المعاصرين.

عند قراءتي التوثيق التاريخي في مناقشتك، قرأت في الصفحة ٢١٨ المعلومة الرائعة المنقولة عن القدّيس ثيوفيلس الأنطاكي. القدّيس المدافع عن الإيمان والشهيد لأجل "المسيح الله"، الحقّ. لقد قرأت نصّ القديس الأسقف الشهيد بلغته اليونانيّة، وأودّ أن أنقل لكم الترجمة الحرفيّة للنصّ اليوناني، غير المعقّد بتاتًا. يقول القديس: "وكذلك الأيّام الثلاث قبل الكواكب النيّرة، هي رمز للثالوث، الله وكلمته وحكمته". ومن الممكن الترجمة أيضًا هكذا: "... هي رمز للثالوث، للهِ وكلمتِه وحكمتِه". وفي أيّ حال، هاتان الترجمتان هما أدقّ وأقوى من "ثالوث الله وكلمته وحكمته".

إنّي متأكّد أن نيافتكم ستفرحون بكلّ ما يزيد من الشهادة للثالوث القدّوس له المجد.

أدامكم الله كوكبًا ساطعًا في كنيسته، وعصًا مؤدّبة للضالين.

المخلص

الأرشمندريت د. يعقوب خليـــل

ملحق (٤)

ردّ نيافة الأنبا بيشوي على مقال الأستاذ بهاء جاهين في جريدة الأهرام وتعقيب الأستاذ بهاء جاهين الذي نشره مشكورًا في نفس الصفحة

(منشور بصحيفة "الأهرام" المصرية ٣٠ يونيه ٢٠٠٩ صفحة ٢٨)

رد على مقالة "عزازيل: الرواية خلف الرواية"

الروائي شوَّه تاريخ الكنيسة

نشرت صحيفة الأهرام مقالاً للأستاذ بهاء جاهين يمدح فيه رواية عزازيل التي تتهم مسيحيي مصر بالتعصب، وبالانحراف العقائدي منذ القرون الأولى للمسيحية وباضطهاد الوثنيين ومن بعدهم الهراطقة. كما أن الرواية قد أوردت قصة راهب خيالي منحرف في سلوكه وعقيدته. لهذا أردنا الرد على هذا المقال الذي جرح مشاعرنا كمسيحيين. وقد أصدرنا كتابًا وثائقيًا للرد على هذه الرواية، وهذا الكتاب هو رد لاهوتي وتاريخي موثق بالبراهين المستندة إلى أقدم المخطوطات

الحقيقية غير الزائفة، وذلك لتصحيح الأضاليل التي أوردها الدكتور يوسف زيدان في رواية عزازيل التي مزج فيها الأدب الروائي بالتاريخ والعقيدة والشرح اللاهوتي بنفس الأسلوب الذي كتب به دان براون روايته المشهورة شفرة دافنشي وكسب من ورائها ملايين الدولارات.

وقد نشرنا في الولايات المتحدة الأمريكية ردًا علي روايتَي دان براون وهما رواية ملائكة وشياطين ورواية شفرة دافنشي، وذلك الرد هو باللغة الإنجليزية في كتاب اسمه "الكأس المقدسة الحقيقية". كما أننا قمنا بالرد عليه في برنامج "البيت بيتك" مع المذيع الصديق العزيز تامر بسيوني في التليفزيون المصري. وقدَّمنا في تلك الحلقة التليفزيونية الوثائق التي تدحض ادعاءات دان براون في رواية شفرة دافنشي التي رفض مجلس الشعب المصري بقرار بالإجماع توزيعها في مصر بجميع اللغات وكذلك رفض عرض الفيلم الشهير المبني على هذه الرواية الهدَّامة.

وها نحن اليوم نواجه الحجة بالحجة في الرد على الأهداف الهدَّامة في رواية الدكتور يوسف زيدان، ولن يجديه نفعًا الاحتجاج المستمر بأن هذا نوع من الأدب الروائي الذي لا دخل لرجال الدين فيه، لأنه استخدم شخصيات حقيقية في تاريخ المسيحية، وأقوالاً وأحداثًا نسبها إليهم بقصد تشويه صورة وسمعة كنيسة الإسكندرية وعقائدها ودفاعها عن الإيمان المستقيم في المسيحية.

فمثلاً حينما ينسب إلى البابا القديس ألكسندروس التاسع عشر في عداد بطاركة الإسكندرية أنه قتل القس المبتدع آريوس بالسم ٣٣٦م، بينما الثابت تاريخيًا أن البابا ألكسندروس قد توفي قبل آريوس بثمانية أعوام كاملة وذلك في ٣٢٨م؛ فهل هذا نوع من الأدب الروائي؟!

أنا أطالب الأستاذ بهاء جاهين بقراءة كتاب الرد على رواية عزازيل الذي أصدرته منذ شهر أبريل هذا العام قبل أن يحكم بصحة الرواية وقبل أن يمدح فيها بهذه الصورة.

وهل أصبح تزييف التاريخ من الأمور التي يمدحها أصحاب الأقلام على صفحات جريدة الأهرام؟! وهل من العدل أن يتم الحكم على الأمور بالاستماع إلى جانب واحد؟! وهل يقبل المسلمون في مصر تشويه الديانة والعقيدة الإسلامية ورموزها الدينية في عصورها الأولى بسلسلة من الأكاذيب في صورة رواية تدعو في نهايتها إلى إنكار وجود الله وإنكار وجود الشيطان، وتدعو إلى أن يتزاوج جميع الرجال من جميع النساء مثل الحمام الجبلي ولا يعرف البشر من هم أولادهم من ثمار هذه الزيجات العابرة؟ نحن نأمل ألا تنطلي هذه الحيلة على علماء المسلمين في مصر والعالم العربي، مهما حكم غالبية أعضاء هيئة التحكيم لها بجائزة الأدب العربي لهذا العام.

الأنبا بيشوي

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

تعقيب بهـــــاء جــاهــــــين

أحب أن أسجل أولاً كل مشاعر الاحترام والتقدير للكنيسة المصرية، ولي في المحبة تاريخ مع كثيرين من المسيحيين المصريين، زاملتهم في المدرسة والجامعة والعمل فلم أشعر يومًا بأن هذا مسلم وذاك مسيحي.

أما بالنسبة لمقالتي عن رواية عزازيل فقد أحسست وأنا أطالعها ــ ومازلت أعتقد ــ أن الرواية معاصرة ترتدي من التاريخ قناعًا. فهي تعالج العنف العقائدي الحالي، لكنها تلجأ للتاريخ حتى لا تكون مباشرة كالمقالة، مما يضعفها فنيًا. وإذا كان العمل يحتوي على بعض المغالطات التاريخية، فذلك أمر مؤسف، لكن لا ينتظر من ناقد أدبي التمحيص التاريخي، فهو من شأن العلماء وحدهم ولا يقدر عليه غيرهم.

وأحب أن أعرب في النهاية عن تقديري الشخصي لنيافة الأنبا بيشوي الذي شاهدته على شاشة التليفزيون فوجدته مثالاً للدماثة والعذوبة والتفتح والاتزان.

وأخيرًا لابد أن أقول إني أشعر بالأسى لأنني بغير قصد مني تسببت في إيذاء مشاعر أحباء يحتلون موقعًا دافئًا في قلب كاتب هذه السطور.

رد على مقالة «عزازيل: الرواية خلف الرواية»

الروائى شوه تاريخ الكنيسة

نشرت صحيفة «الأهرام» مقالا للاستاذ «بهاء جاهين» يمدح فيه رواية «عزازيل» التى تتهم مسيحيي مصر بالتعصب، وبالانحراف العقائدى منذ القرون الأولى للمسيحية وباضطهاد الوثنيين ومن بعدهم الهراطقة. كما أن الرواية قد أوردت قصة راهب خيالى منحرف فى سلوكه وعقيدته. لهذا أردنا الرد على هذا المقال الذى جرح مشاعرنا كمسيحيين. وقد أصدرنا كتابا وثائقيا للرد على هذه الرواية، وهذا الكتاب هو رد لاهوتى وتاريخي موثق بالبراهين المستندة إلى أقدم المخطوطات الحقيقية غير الزائفة، وذلك لتصحيح الاضاليل التى أوردها الدكتور يوسف زيدان فى رواية عزازيل التى مزج فيها الأدب الروائى بالتاريخ والعقيدة والشرح اللاهوتى بنفس الاسلوب الذى كتب به «دان براون» روايته المشهورة «شفرة دافنشى» وكسب من ورائها ملايين الدولارات.

وقد نشرنا فى الولايات المتحدة الأمريكية ردا على روايتى «دان براون» وهما رواية «ملائكة وشياطين» ورواية «شفرة دافنشى» وذلك الرد هو باللغة الانجليزية فى كتاب اسمه «الكأس المقدسة الحقيقية» كما أننا قمنا بالرد عليه فى برنامج «البيت بيتك» مع المذيع الصديق العزيز تامر بسيونى فى التليفزيون المصرى. وقدمنا فى تلك الحلقة التليفزيونية الوثائق التى تدحض ادعاءات «دان براون» فى رواية شفرة دافنشى التى رفض مجلس الشعب المصرى بقرار بالاجماع توزيعها فى مصر بجميع اللغات وكذلك رفض عرض الفيلم الشهير المبنى على هذه الرواية الهدامة.

وها نحن اليوم نواجه الحجة بالحجة فى الرد على الأهداف الهدامة فى رواية الدكتور يوسف زيدان ولن يجديه نفعا الاحتجاج المستمر بأن هذا نوع من الأدب الروائى الذى لا دخل لرجال الدين فيه لانه استخدم شخصيات حقيقية فى تاريخ المسيحية وأقوالا واحداثا نسبها إليهم بقصد تشويه صورة وسمعة كنيسة الإسكندرية وعقائدها ودفاعها عن الإيمان المستقيم فى المسيحية.

فمثلا حينما ينسب إلى البابا القديس الكسندروس التاسع عشر فى عداد بطاركة الإسكندرية أنه قتل القس المبتدع أريوس بالسم ٣٣٦م بينما الثابت تاريخيا أن البابا الكسندروس قد توفى قبل أريوس بثمانية أعوام كاملة وذلك فى ٣٢٨م؛ فهل هذا نوع من الأدب الروائى؟!

أنا أطالب الاستاذ بهاء جاهين بقراءة كتاب الرد على رواية عزازيل الذى اصدرته منذ شهر ابريل هذا العام قبل ان يحكم بصحة الرواية وقبل أن يمدح فيها بهذه الصورة.

وهل أصبح تزييف التاريخ من الأمور التى يمدحها أصحاب الاقلام على صفحات جريدة الأهرام؟! وهل من العدل أن يتم الحكم على الأمور بالاستماع إلى جانب واحد؟! وهل يقبل المسلمون فى مصر تشويه الديانة والعقيدة الإسلامية ورموزها الدينية فى عصورها الأولى بسلسلة من الأكاذيب فى صورة رواية تدعو فى نهايتها إلى انكار وجود الله وانكار وجود الشيطان، وتدعو إلى ان يتزاوج جميع الرجال من جميع النساء مثل الحمام الجبلى ولايعرف البشر من هم أولادهم من ثمار هذه الزيجات العابرة؟ نحن نأمل ألا تنطلى هذه الحيلة على علماء المسلمين فى مصر والعالم العربى مهما حكم غالبية أعضاء هيئة التحكيم لها بجائزة الأدب العربى لهذا العام

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

تعقيب

أحب أن أسجل أولا كل مشاعر الاحترام والتقدير للكنيسة المصرية، ولى فى المحبة تاريخ مع كثيرين من المسيحيين المصريين، زاملتهم فى المدرسة والجامعة والعمل فلم أشعر يوما بأن هذا مسلم وذاك مسيحى.

أما بالنسبة لمقالتى عن رواية «عزازيل» فقد أحسست وأنا أطالعها ـ ومازلت اعتقد ـ أن الرواية معاصرة ترتدى من التاريخ قناعا. فهى تعالج العنف العقائدى الحالى، لكنها تلجأ للتاريخ حتى لا تكون مباشرة كالمقالة، مما يضعفها فنيا. وإذا كان العمل يحتوى على بعض المغالطات التاريخية، فذلك أمر مؤسف، لكن لا ينتظر من ناقد أدبى التمحيص التاريخى، فهو من شأن العلماء وحدهم ولا يقدر عليه غيرهم.

وأحب أن أعرب فى النهاية عن تقديرى الشخصى للباقة الأنبا بيشوى الذى شاهدته على شاشة التليفزيون فوجدته مثالا للدماثة والعذوبة والتفتح والاتزان.

وأخيرا لابد أن أقول أنى أشعر بالأسى لأننى بغير قصد متى تسببت فى إيذاء مشاعر أحباء يحتلون موقعا دافئا فى قلب كاتب هذه السطور.

بهاء جاهين

bahaajaheen@yahoo.com

Bibliography

- Athanasius, Saint. *Letter to Adelphius*. vol. 4 of NPNF: Second Series.
- _____ . *Letter to Epictetus*. vol. 4 of NPNF: Second Series.
- _____ . *Statement of Faith*. vol. 4 of NPNF: Second Series.
- _____ . *St. Athanasius on the Incarnation: With an Introduction by C.S. Lewis*. 1944. New York: St. Vladimir's Seminary Press, 2002.
- Bercot, David W. ed. *A Dictionary of Early Christian Beliefs*. Massachusetts: Hendrickson, 1998.
- Bettenson, Henry. ed. *Documents of the Christian Church*, 2nd ed. New York: Oxford University Press, 1963.
- *BibleWorks7*. Programmed by Michael S. Bushell, Michael D. Tan, and Glenn L. Weaver, 2006. Bible Concordance and Morphological Analysis Program.
- Bouriant, M. U. *Mémoires: Actes Coptes Du Concile D'Éphèse*. Edited by Ernest Leroux. Cairo: Mission Archèologique Francaise, 1832.
- Bright, Canon W. *A History of the Church from the Edict of Milan, A.D. 313, to the Council of Chalcedon, A.D. 451*. Oxford: Parker, 1860.
- Brown, D. *The Da Vinci Code*. New York: Doubleday, 2003.

- _____ . *The Da Vinci Code: Special Illustrated Edition*. New York: Broadway Books, 2004.
- Charles, R.H. *Apocrypha and Pseudepigrapha of the Old Testament*. vol.2. Oxford, 1913.
- *Commentary on the Gospel According to St. John by St. Cyril Archbishop of Alexandria*. Translated by Thomas Randell. Oxford, 1885.
- Cyril of Alexandria. *Commentary on the Gospel According to St. Luke*. Translated by Payne Smith. Oxford, 1859.
- Cyril of Alexandria, Saint. *Letters 1-50*. vol. 76 of *The Fathers of the Church*. Translated by John I. McEnerney. Washington D.C: CUA Press, 1987.
- _____ . *On the Unity of Christ*. Translated by John Anthony McGuckin. New York: St Vladimir's Seminary Press, 1995.
- Davis, Leo Donald. *The First Seven Ecumenical Councils: (325-787): Their History and Theology*. Minnesota: Liturgical Press, 1983.
- Davis, Stephen J. *The Early Coptic Papacy: The Egyptian Church and its Leaders in Late Antiquity*. Cairo: American University in Cairo Press, 2004.
- Di Berardino, Angelo. ed. *Encyclopedia of the Early Church*. 2 vols. Translated by Adrian Walford. New York: Oxford University Press, 1992.

- Douglas, James Dixon. ed. *The New International Dictionary of the Christian Church: Revised Edition*. Michigan: Zondervan, 1978.
- Dzielska, Maria. *Hypatia of Alexandria*. Cambridge: Harvard University Press, 1995.
- Easton M. G. *Easton Bible Dictionary*. 3rd ed. 1897 in *BibleWorks7*.
- Eisenberg, Ronald L. *JPS Guide to Jewish Traditions*. Philadelphia: Jewish Publication Society, n.d.
- Ferguson, E. ed. *Encyclopedia of Early Christianity*, 2nd ed. New York: Garland Publishing, 1999.
- Ferrar, W.J. *The Uncanonical Jewish Books*. London and New York, 1918.
- Geisler, Norman L., and William E. Nix. *A General Introduction to the Bible: Revised and Expanded*. Chicago: Moody Press, 1986.
- Gregory Nazianzen, St. *Theological Orations*. vol. 7 of *NPNF*: *Second Series*.
- Hefele, Charles Joseph. *A History of the Christian Councils*: *To the Close of the Council of Nicaea: A.D. 325*. Edinburgh: T. & T. Clark, 1894.
- _____ . *A History of the Councils of the Church*: *A.D. 326 to A.D. 429*. vol. 2. Edinburgh: T. & T. Clark, 1896.

- _____ . *A History of the Councils of the* Church: A.D. 431 to A.D. 451. vol. 3. Edinburgh: T. & T. Clark, 1883.
- Helm, Robert. 'Azazel in Early Jewish Tradition.' *Andrews University Seminary Studies* 32.2 (1994): 218.
- Irenaeus, Saint. *Against Heresies*. vol. 1 of *Ante Nicene Fathers*.
- John Bishop of Nikiu. *The Chronicle*. Translated, by R. H. Charles and D. Litt. Oxford University Press, 1916.
- Karesh, Sara E., and Mitchell M. Hurvitz. *Encyclopedia of Judaism*. New York: Facts on File, 2006.
- Kasser, Rodolphe, Marvin Meyer, and Gregor Wurst. eds. *The Gospel of Judas*. Washington D.C: National Geographic Society, 2006.
- Kidd, B.J. ed. *Documents Illustrative of the History of the Church: 313-461 A.D*. vol. 2. New York: Macmillan, 1932.
- Kingsley, Charles. (1853) *Hypatia: New Foes with an Old Face*. Rpt. New York: Garland Publishing, 1975.
- Laird, Harris R. ed. *Theological Wordbook of the Old Testament*. vol.2. Chicago: Moody Press, 1980.
- McGuckin, John Anthony. *St. Cyril of Alexandria: The Christological Controversy: Its History, Theology & Texts*. Leiden: E.J. Brill, 1994.
- Metropolitan Bishoy. *The Real Holy Grail: An Orthodox Response to Dan Brown's Deceptions in Angels and*

Demons and The Da Vinci Code. New Hampshire: Orthodox Research Institute, 2007.

- Migne, J. P., *Ελληνικη Πατρολογια (Patrologia Graeca)*. vol. 77.
- Mitchell, Margaret M., and Frances M. Young. eds. *The Cambridge History of Christianity*. Cambridge: Cambridge University Press, 2006.
- Morris, Dr Stanley. *The International Standard Bible Encyclopedia*, 1915, 1st ed. IBT, 1997 in *BibleWorks7*.
- Pro Oriente. *Syriac Dialogue: First Non-Official Consultation on Dialogue Within the Syriac Tradition*. Vienna: Author, 1994.
- Quasten, Johannes. *Patrology*. vol. 3. Westminster, Maryland and Texas: Christian Classics, 1950-1960.
- Roberts, Alexander, and James Donaldson. eds. *Ante-Nicene Fathers*. Massachusetts: Hendrickson Publishers, 1994.
- Schaff, Phillip. *History of the Christian Church*. vol. 3. Michigan: Eerdmans Publishing, 1910.
- Schaff, Phillip, and Henry Wace. eds. *Nicene and Post-Nicene Fathers: Second Series*. Massachusetts: Hendrickson, 1995.
- Skolnik, Fred. ed. *Encyclopedia Judaica*, 2nd ed. Jerusalem: Keter Publishing House, 2007.
- Socrates. *Ecclesiastical History: From A.D. 305-439*. vol. 2 of *NPNF: Second Series*.

- Sozomen. *Ecclesiastical History*: *From A.D. 325-425*. vol. 2 of *NPNF: Second Series*.

- Stevenson, J. *Creeds, Councils and Controversies*: *Documents Illustrative of the History of the Church A.D. 337-461*. SPCK: London, 1966.

- Strong, James. *The New Strong's Complete Dictionary of Bible Words*. Nashville: Thomas Nelson Publishers, 1996.

- Theodoret. *Ecclesiastical History*. vol. 3 of *NPNF: Second Series*.

- Theophilus, Saint. *Theophilus to Autolycus*. vol. 2 of *ANF*.

- Wace, Henry, and William C. Piercy. eds. *A Dictionary of Christian Biography.* Massachusetts: Hendrickson, 1994.

- Weinandy, Thomas G., and Daniel A. Keating. eds. *The Theology of St Cyril of Alexandria: A Critical Appreciation*. London: T&T Clark, 2003.

- Wessel, Susan. *Cyrill of Alexandria and the Nestorian Controversy: The Making of a Saint and of a Heretic*. New York: Oxford University Press, 2004.

- Whitfield, Bryan J. "The Beauty of Reasoning: A Reexamination of Hypatia of Alexandria." *The Mathematics Educator*. Volume 6 Number 1: 14-21.

- Wickham, Lionel R. *Cyril of Alexandria: Select Letters.* Oxford: Oxford at the Clarendon Press, 1983.

- Wigram, George V. *The Englishman's Hebrew and Chaldee Concordance of the Old Testament*. Michigan: Zondervan, 1970.

- Young, Frances. *From Nicaea to Chalcedon*. London: SCM Press, 1983.

- Young, Frances, Lewis Ayres, and Andrew Louth. eds. *The Cambridge History of Early Christian Literature: First Edition*. Cambridge University Press, 2004.

- Young, Robert. *Young's Analytical Concordance to the Bible*. Nashville: Thomas Nelson, 1982.

المراجع العربية

- **أدب اللغة الآرامية،** الأب ألبير أبونا، دار المشرق، المكتبة الشرقية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
- **تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، ج١، ج٢،** سويريوس يعقوب توما (قداسة مار إغناطيوس يعقوب الثالث فيما بعد)، بيروت ١٩٥٣م، ١٩٥٧م.
- **تجسد الكلمة، القديس البابا أثناسيوس الرسولي بطريرك الإسكندرية العشرون،** نصوص آبائية–٦٢، دكتور جوزيف موريس فلتس (ترجمة وتعليقات)، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، الطبعة الرابعة سبتمبر ٢٠٠٦م.
- **تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس الإسكندري** – المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة نصوص آبائية– الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
- **تفسير إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الإسكندري** – نصوص آبائية، الجزء السابع، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، عام ٢٠٠٧م. ترجمة عن كتاب *Commentary on the Gospel According to St. John by St. Cyril Archbishop of Alexandria*, trans. from Greek by Rev. Thomas Randell (Oxford, 1885).
- **ثيودورُس أسقف المصيصة ومفسر الكتب الإلهية، التراث السرياني ٣،** د. بولس الفغالي، دار المشرق، بيروت ١٩٩٣م.
- **خبز الحياة، كتاب القداس الإلهي حسب طقس كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية،** المطران مار ثاوفيلوس جورج صليبا، جبل لبنان ٢٠٠٢م.

- **الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة**، المجلد الأول، مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، حمص ١٩٤٠م.
- **رسائل القديس كيرلس الإسكندري ج ٤**، (٥١- إلخ)، الرسائل رقم ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٧٢، ٧٤، ترجمها عن اليونانية د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد، مركز دراسات الآباء، مؤسسة القديس أنطونيوس، نصوص الآباء ٣٩، يونيو ١٩٩٧م.
- **رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي**، نصوص آبائية-٥٦، رسالة رقم ٣٩، د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد (ترجمة)، مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، طبعة ثانية يوليو ٢٠٠١م.
- **رسائل القديس كيرلس ج٣**، ترجمها عن اليونانية د. موريس تاوضروس ود. نصحي عبد الشهيد، مؤسسة القديس أنطونيوس، مركز دراسات الآباء ١٩٩٥م.
- **عبر في سير**، أثناسيوس أفرام برصوم، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٧.
- **الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه**، حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١م.
- **الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.**
- **المجمع المسكوني الأول نيقية (٣٢٥م)**، الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

- **المجمع المسكوني الثالث في أفسس ٤٣١م والصراعات العقائدية في القرنين الرابع والخامس حول شخص وطبيعة السيد المسيح**، نيافة الأنبا بيشوي، دير الشهيدة دميانة للراهبات ببراري بلقاس، طبعة أولى ٢٠٠٥م.
- **محاضرة** ألقاها المؤلف في مؤتمر الدراسات الآبائية سنة ١٩٩٣م، في قاعة المؤتمرات بدير الأنبا بيشوي.
- **مخطوط سيرة القديسة دميانة** بديرها بالبراري، مخطوط رقم (٧٢٦٣١) وتاريخ نسخها ١٧٣٢م، ومخطوط رقم (٧٢٥٥٥) وتاريخ نسخها ١٧٨١م.
- **مقتطفات** من ترجمة عربية لمحاضرة للمؤلف ألقيت في المؤتمر الثاني للدراسات الآبائية بالاشتراك مع جامعات أثينا وتسالونيكى المنعقد تحت رعاية البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث في دير القديس الأنبا بيشوي بوادي النطرون في الفترة من ١٩٩٦/١٢/٢٦ إلى ١٩٩٦/١٢/٢٩م.
- **موسوعة الفراعنة، الأسماء – الأماكن – الموضوعات**، باسكال فيرنوس وجان يويوت، ترجمة د. محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة ٢٠٠١م.
- **الميلاد، مقال القديس مار ساويرس البطريرك الأنطاكي عن الميلاد**، مليكة حبيب يوسف، ويوسف حبيب، كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج ١٩٦٩م. مترجم من الجزء الثامن من مجموعة

Patrologie Orientolas R. Graffin – F. Nau Les Homélies Cathédrales de Sévère d` Antioche Homélie LX III., Publiée et traduite par Maurice Briére, Paris

- **نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى**، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مارجرجس اسبورتنج، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

المحتويات

الباب الأول: الأخطاء التاريخية

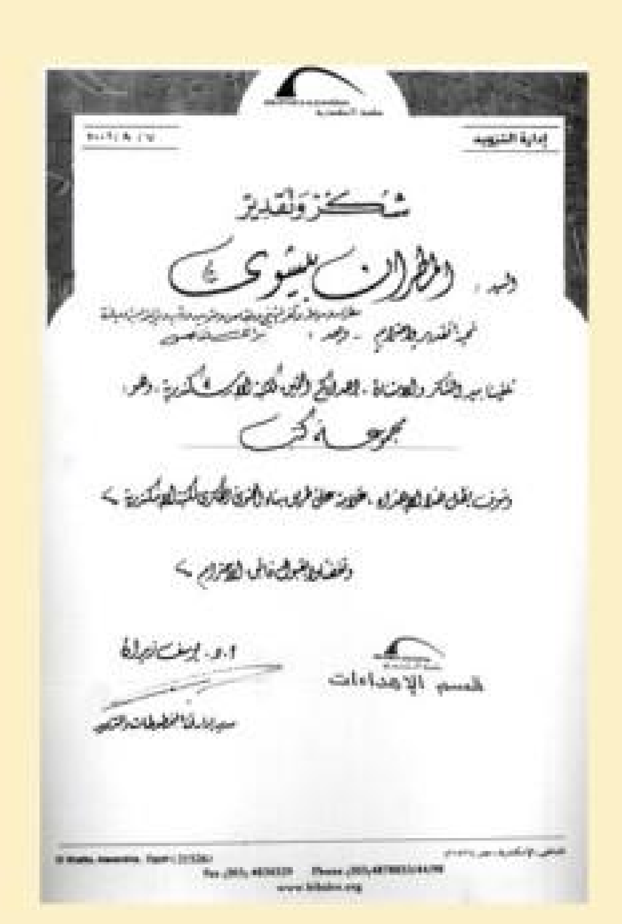
الباب الثاني: الأخطاء العقائدية

الباب الثالث

صديقٌ سابقٌ

كنت قد ذكرتُ أن الدكتور يوسف زيدان هو صديقٌ سابقٌ لنا. استقبلناه بدير الشهيدة دميانة بالبراري في ٢٠ يونيو٢٠٠٧م، وزار معنا أماكن عديدة بالدير، منها الأماكن الأثرية ومكتبة الدير، وألقى محاضرة على الراهبات وتعاملنا معه بمنتهى الودّ، وظننا وقتها أنه يبادلنا نفس المشاعر الحبّية لأنه أظهر لنا ذلك. واتضح لنا الآن أن كتابته لهذه الرواية المؤسفة والهدّامة، كان متزامنًا مع هذه الزيارة، مما آلمنا جدًا وترك أثرًا سيئًا في نفوسنا؛ كيف أنه في الوقت الذي أظهرنا نحوه كل مودّة ولطف وحفاوة صادقة، وهو أيضًا قد أظهر لنا أنه يبادلنا نفس المشاعر، نجده يؤلِّف هذه الرواية المسيئة جدًا لعقيدتنا التي نعتز بها، وكأنه يطعننا من الخلف في ظهرنا، طعنة آلمتنا كثيرًا. ويناسبني جدًا في هذا الموقف أن أستعير كلمات المزمور الذي تنبأ عن تسليم السيد المسيح بواسطة أحد رسله وأصدقائه الاثنى عشر، والذي أجده –مع الفارق في الشخصيات– أصدق ما يعبر عن مشاعري الآن:

"لأَنَّهُ لَيْسَ عَدُوٌّ يُعَيِّرُنِي فَأَحْتَمِلَ. لَيْسَ مُبْغِضِي تَعَظَّمَ عَلَيَّ فَأَخْتَبِئَ مِنْهُ. بَلْ أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي إِلْفِي وَصَدِيقِي. الَّذِي مَعَهُ كَانَتْ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةَ"! (مز٥٥ :١٢، ١٣، ١٤).



إدارة التزويد

شكر وتقدير

السيد / المطران بيشوي

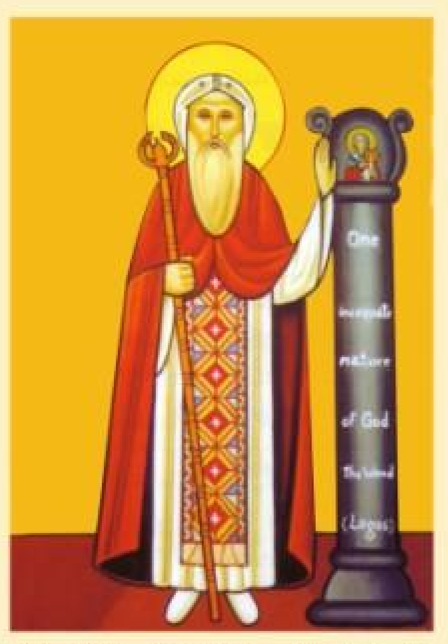
مجموعة كتب

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

قسم الإهداءات

أ.د. يوسف زيدان

www.bibalex.org



القديس الذي ظلمه الدكتور يوسف زيدان وهو القديس البابا كيرلس الأول
بابا الإسكندرية الرابع والعشرون. عمود الدين الذي كان وسيظل
عموداً في «كنيسة الله الحي، عمود الحق وقاعدته».
١تي ٣ : ١٥

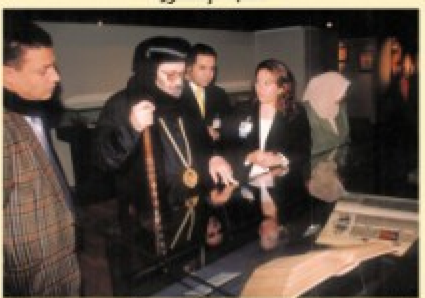


الأنبا بيشوي أثناء زيارته الأولى لمكتبة الإسكندرية
يهدي دكتور يوسف زيدان نسخة من كتاب
المجمع المسكوني الثالث في أفسس ٤٣١م





الأنبا بيشوي يهدي مجموعة من إصدرات كتبه
لمكتبة الإسكندرية



الأنبا بيشوي يشاهد النسخة الفاتيكانية من الكتاب المقدس بعهديه
أثناء زيارته لمكتبة الإسكندرية
(موجود نسخة كاملة في دير القديسة دميانة بالبراري)



الأنبا بيشوي يهدي دكتور يوسف زيدان لمكتبة الإسكندرية نسخة من أقدم مخطوطات العهد الجديد وهي بردية رقم ٧٥ وتحوي إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا وترجع إلى القرن الثاني الميلادي وقد حصل عليها من متحف «بودمر» ***Bodmer*** في جنيف – سويسرا





صورة إحدى المخطوطات التي أكتشفت في مغاير قمران بجوار
البحر الميت وبها سفر إشعياء بالكامل وترجع إلى
القرن الثاني قبل الميلاد وطولها ٧,٣٠ متر



الأنبا بيشوي يهدي دكتور يوسف زيدان أيقونة من الفن القبطي
لهروب العائلة المقدسة إلى مصر ليضعها في مكتبة الإسكندرية



الأنبا بيشوي يشرح للدكتور يوسف زيدان
نسخة لننجراد ***Lenningrad*** وترجع إلى القرن الحادي عشر
الميلادي (١٠٠٨م) وتحوي العهد القديم بالكامل باللغة العبرية

بردية ٦٦ تحوي إنجيل يوحنا ١ : ١ – ١٤ في متحف بودمر
كتبت باللغة اليونانية في مصر في منتصف القرن الثاني الميلادي

Bodmer Papyrus P66, opened to John 1:1-14
(Bibliotheca Bodmeriana)



بردية ٧٥ تحوي من إنجيل لوقا ٢٤ : ٥١ إلى
إنجيل يوحنا ١ : ١٦ في متحف بودمر
وهي التي أهدى الأنبا بيشوي نسخة منها إلى مكتبة الإسكندرية
كتبت ما بين ١٧٥م – ٢٢٥م في مصر باللغة اليونانية

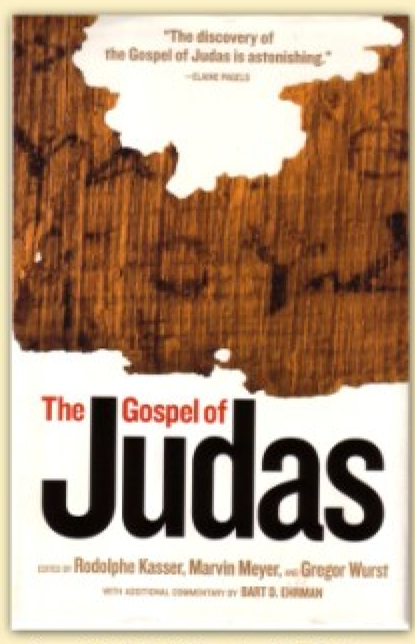
Bodmer Papyrus P75, opened to Luke 24:51 - John 1:16 (Bibliotheca Bodmeriana)



مخطوطة قبطية تعود إلى القرن الثامن تحوي وقائع من جلسات المجمع المسكوني الثالث في أفسس ٤٣١ م – انظر ملحق ٢ ص ٣٥١



صورة مخطوط لإنجيل يهوذا الغنوسي المزعوم باللغة القبطية



صورة غلاف كتاب الترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا
انظر الباب الأول – الفصل الثاني

three hundred sixty luminaries appear in the incorruptible generation, in accordance with the will of the Spirit, that their number should be five for each.[103]

"The twelve aeons of the twelve luminaries constitute their father, with six heavens for each aeon, so that there are seventy-two heavens for the seventy-two luminaries, and for each [50] [of them five] firmaments, [for a total of] three hundred sixty [firmaments ...]. They were given authority and a [great] host of angels [without number], for glory and adoration, [and after that also] virgin[104] spirits,[105] for glory and [adoration] of all the aeons and the heavens and their firmaments.[106]

The Cosmos, Chaos, and the Underworld

"The multitude of those immortals is called the cosmos—

[103] Everything finally happens in accordance with the will of the divine, the Spirit.

صفحة رقم ٣٦ من كتاب الترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا
الذى ورد فيه أن الشيطان هو الذى خلق البشرية
(انظر صـــ٣٩ من الترجمة الإنجليزية)

that is, perdition[107]—by the Father and the seventy-two luminaries who are with the Self-Generated and his seventy-two aeons. In him[108] the first human appeared with his incorruptible powers. And the aeon that appeared with his generation, the aeon in whom are the cloud of knowledge[109] and the angel, is called [51] El.[110] [...] aeon [...] after that [...] said, 'Let twelve angels come into being [to] rule over chaos and the [underworld].' And look, from the cloud there appeared an [angel] whose face flashed with fire and whose appearance was defiled with blood. His name was Nebro,[111] which means 'rebel';[112] others call him Yaldabaoth.[113] Another angel, Saklas,[114] also came from

---

107 Our cosmos, unlike the divine realm above, is susceptible to decay and hence may be termed a realm of perdition.
108 Or, "In it"—that is, in the cosmos.
109 Coptic, from Greek, *gnosis*.
110 El is an ancient Semitic name for God. In Sethian texts, related names, such as Eloaios, are used for powers and authorities of this world. The Secret Book of John also refers to Elohim, the Hebrew word for "God" in the Jewish Scriptures.
111 In Holy Book of the Great Invisible Spirit III:57, Nebruel is a great demoness who mates with Saklas and produces twelve aeons; cf. also the role of Nebroel in Manichaean texts. Here the name Nebro is given without the honorific suffix -el (also "God" in Hebrew; cf. the name El, above). In Secret Book of John II:10, the demiurge Yaldabaoth has the appearance of a snake with the face of a lion, and his eyes are like flashing bolts of lightning. In Holy Book of the Great Invisible Spirit III:56–57, Sophia of matter is bloody in appearance: "A cloud [named] Sophia of matter appeared.... [She] surveyed the regions [of chaos], and her face looked like ... in her appearance ... blood."
112 Or, "apostate" (Coptic, from Greek, *apostatēs*). Nebro most likely derives from Nebrod in Genesis 10:8–12 (cf. 1 Chronicles 1:10) of the Septuagint, where Nebrod (Hebrew Nimrod) reflects the tradition of a well-known legendary figure in the ancient Middle East. The word Nimrod may be related to the Hebrew word for "rebel."
113 Yaldabaoth is a common name for the demiurge in Sethian texts. Yaldabaoth probably means "child of chaos" (or, less likely, "child of (S)abaoth") in Aramaic.
114 Saklas (or Sakla, as in Gospel of Judas 52) is another common name for the demiurge in Sethian texts. Saklas (or Sakla) means "fool" in Aramaic.

صفحة رقم ٣٧ من كتاب الترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا

the cloud. So Nebro created six angels—as well as Saklas—to be assistants, and these produced twelve angels in the heavens, with each one receiving a portion in the heavens.[117]

THE RULERS AND ANGELS

"The twelve rulers spoke with the twelve angels: 'Let each of you [52] [...] and let them [...] generation [—*one line lost*—] angels':

The first is [S]eth, who is called Christ.[118]
The [second] is Harmathoth, who is [...].
The [third] is Galila.
The fourth is Yobel.
The fifth [is] Adonaios.

صفحة رقم ٣٨ من كتاب الترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا

These are the five who ruled over the underworld, and first of all over chaos.[117]

The Creation of Humanity

"Then Saklas said to his angels, 'Let us create a human being after the likeness and after the image.'[118] They fashioned Adam and his wife Eve, who is called, in the cloud, Zoe.[119] For by this name all the generations seek the man, and each of them calls the woman by these names. Now, Sakla did not [53] com[mand ...] except [...] the gene[rations ...] this [...]. And the [ruler] said to Adam, 'You shall live long, with your children.'"[120]

---

[117] [illegible]

[118] [illegible]

[119] Zoe, Greek for "life," is the name of Eve in the Septuagint.

[120] [illegible]

صفحة رقم ٣٩ من كتاب الترجمة الإنجليزية لإنجيل يهوذا المزعوم وفيها أن الملاك ساكلاس الذي خلقه الملاك نيرو«المتمرد» هو الذي خلق الجنس البشري

رواية عزازيل تدعو إلى الإلحاد

قُرب النهاية الأليمة للرواية، والتي فيها -حسب الرواية- دفن الراهب هيبا كل خوفه الموروث وأوهامه القديمة -أي تراثه الديني- لكي يرحل حُرًا من الدين، يقول د. يوسف زيدان على لسان الراهب هيبا (مُدّعيا أن "عزازيل" هو صدى الشيطان): "غلبني الغياب، فتركت عزازيل يقول ما يريد، وانصرفتُ عنه.. بعد حين عدتُ إليه، فكان يتكلم متفردًا، أنصتُّ، فوجدته يقول بلغة غريبة ما معناه إن الله محتجبٌ في ذواتنا، والإنسانُ عاجزٌ عن الغوص لإدراكه! ولما ظنّ البعض في الزمن القديم، أنهم رسموا صورة للإله الكامل، ثم أدركوا أن الشر أصيل في العالم وموجود دومًا، أوجدوني لتبريره. هكذا قال.." (صفحة ٣٤٨ من رواية عزازيل).

إذا كان هيبا قد غاب كما صوّر د. زيدان هذا الموقف، وإذا كان "عزازيل" زيدان ينكر وجود نفسه وهو يتكلم نفسه بقوله إن البشر قد أوجدوه لتبرير وجود الشر، فلسفيا مَنْ يكون المتكلم هنا؟ خاصة أن هيبا قد استمع لعزازيل وهو يتكلم متفردًا بلغة غريبة. وطالما أن عزازيل لا وجود له، فمن يكون المتكلم في هذه الفقرة باللغة الغريبة إلا الدكتور يوسف زيدان الذي اخترع المخطوط السرياني الذي لا وجود له، و ادّعى أنه قام بترجمته، وأن الراهب الوهمي هيبا قد كتبه.

وهكذا نرى أن رواية عزازيل -من بنات أفكار الدكتور زيدان- توحي بأن الله نفسه هو من صنع البشر، وكذلك أيضا الشيطان. أليست هذه الرواية دعوة إلى الإلحاد والوجودية وهدم جميع الأديان بلا استثناء مستترة وراء الهجوم على الديانة المسيحية في الإسكندرية؟!...

نحن نأمل أن لا تنطلي هذه الحيلة الشيطانية على علماء المسلمين في مصر مهما نالت -يا للعجب!!- من جوائز الأدب العربي.



الأنبا بيشوي (المؤلف) مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري ورئيس دير القديسة دميانة وسكرتير عام المجمع المقدس والأستاذ بمعهد الدراسات القبطية والكلية الإكليريكية وهو خريج كلية الهندسة جامعة الإسكندرية عام ١٩٦٣م بتقدير امتياز، وحاصل على درجة الماجستير في هندسة القوى الميكانيكية بدرجة امتياز أيضًا في ١٩٦٨/٥/٢٨ وقد قام بالتدريس في نفس الكلية بجامعة الإسكندرية قبل اعتزاله العالم وذهابه إلى دير السريان للترهب في ١٩٦٨/٥/٣٠ حيث صار راهبا في ١٩٦٩/٢/١٦ وسيم أسقفا في ١٩٧٢/٩/٢٤ ومطرانًا في ١٩٩٠/٩/٢

